الجمهوريـــــــة الجزائريــــــة الديمقراطيــــــة الشعبيــــــة
وزارة التعليــــم العــــالي والبحـــث العلـــمي

جـــــامعة الحــــاج لخضــــــر - بـــــاتنة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية والإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار



الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا

مذكـــرة لنيــل شهادة المـــاجستير في التـــاريخ الوســيط

إعــداد الطـــالب :
عبد الوهاب عيفة

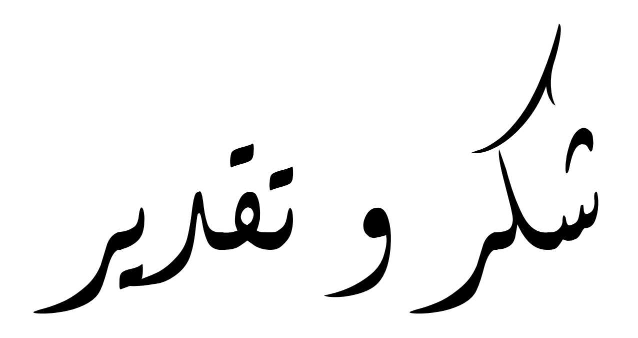
إشراف الأستاذ الدكتور:
بـــــاقة رشيــــــد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الرتبة	الصفة
أ.د مسعــود شبــاحي	جامعـــة باتنة	أستاذ التعليم العالي	رئيســـــا
أ.د بـــاقة رشيـــد	جامعـــة باتنة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
أ.د مسعود مزهــودي	جامعـــة باتنة	أستـــــاذ محــاضر	عضوا مناقشا

السنــــة الجـــامعية:

1435 - 1436 هـــ / 2013 - 2014م



أشكر المولى عز وجل الذي أعانني على انجاز هذا البحث كما انتهز الفرصة لأقدم

الشكر

إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة وفي مقدمتهم أستاذي المشرف الدكتور المحترم

باقة رشيد على ما قام به من جهد وما أسدى إلي من نصح.

ولا يفوتني أن أقدم شكري و تقديري لأساتذتي في قسم التاريخ بجامعة الحاج لخضر

بباتنة والى إدارة القسم و الكلية.

ولا يفوتني أن أقدم شكري و تقديري إلى المكتبة المركزية في الجزائر العاصمة , والى

جميع القائمين عليها لما قدموه لي من مساعدة أثناء فترة البحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى........

الشمعة المنيرة التي تضئ حياتي

أمـــــــــــــــــــي........

إلى ....

طيور النورس المحلقة في حياتي

إخـــــــوتي و أخـــواتي

إلى........

كل من قدم لي يد العون والإسناد

اهدي ثمرة جهدي المتواضع

مقدمة

شهدت أوروبا الغربية بما فيها بلاد الأندلس بداية من نهاية القرن التاسع الميلادي موجة عارمة من الغزو من طرف شعب قادم من أقصى شمل أوروبا وبالضبط من اسكندنافيا هو الشعب النورماني، وقد شرع هؤلاء النورماند في التروح عن أوطانهم نتيجة لتظافر عدة عوامل جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية.

وقد تفرع النورماند إلى ثلاثة أقسام هي السويديون والنرويجيون والدنماركيون أو الدانيون، فعبر السويديون بحر البلطيق ونزلوا عند مصب نهر الدنيبر وتوغلوا في روسيا، وأتجه النرويجيون غربا ووصلوا إلى الجزر الشمالية وسواحل انجلترا وايرلندا، أما الفرع الثالث القادم من الدنمارك وهم الدانيون – فقد اتجهوا نحو الجنوب الغربي لأوروبا فاجتاحوا أراضي الدولة الكارولنجية ثم امتد خط سيرهم إلى بلاد الأندلس وانجلترا وايرلندا ووصلوا إلى سواحل المغرب الأقصى وجزر البليار الشرقية ميورقة – منورقة – يابسة ثم إلى السواحل الايطالية.

ولما كان للغزو النورماندي تأثير كبير جدا على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأوروبا وبلاد الأندلس، فقد أردت أن أتتبع هذا الغزو وأسبابه ونتائجه وما له من آثار وأبعاد سياسية واقتصادية وعسكرية لا سيما إذا علمنا أن هؤلاء الغزاة قد نجحوا في تحقيق مكاسب كبيرة في أنحاء متفرقة من أوروبا واستطاعوا اقتطاع أجزاء من أراضيها واستيطانها.

ومن هنا كانت لهذه الدراسة الموسومة بـــ: **الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا** أهمية كبيرة.

و يمكن تلخيص أهم الأسباب التي دفعت بي لاختيار هذا الموضوع في النقاط التالية:

1 – أن هذا الموضوع لم تسبق دراسته من قبل دراسة علمية وافية، وإنما جاء الاهتمام به ضمن دراسات شاملة.

2 – الرغبة في سبر أغوار تلك الحقبة من التاريخ وكشف ملابساتها.

3 – الرغبة في كشف تأثير هذه الغارات على الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية في أوروبا والأندلس.

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة المتواضعة الإجابة على الإشكالية الرئيسية للموضوع وهي: **الغزو النورماندي بين انعكاساته الايجابية وآثاره السلبية.**

كما حاولت الإجابة على أهم الأسئلة الفرعية: **من هم النورمان، ما هو أصل تسميتهم، ما هي أهم قبائلهم، ما هي نظم حياتهم قبل نهاية– القرن التاسع الميلادي.**

– ما هي أهم الدوافع التي جعلت النورماند يتركون موطنهم الأصلي ويتجهون نحو حياة الغزو.

– ما هي مراحل التوسع النورماندي في بلاد الفرنجة.

– ما هي نتائج التوسع النورماندي في بلاد الفرنجة.

– ما هي مراحل الغزو النورماندي لإسبانيا وما هي أهم النتائج والآثار المرتبة عنه.

– وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وعدد من الملاحق أما **الفصل الأول**: وهو بعنوان النورماند فقد تحدثت فيه عن أصل هذا الشعب الذي يعود للعنصر الجرماني كما تحدثت فيه عن أهم قبائلهم السويديون، النرويجيون، الدانيون وعن عاداتهم وتقاليدهم ونظمهم.

كما تناولت فيه أهم الأسباب التي دفعتهم للغزو سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية.

واشتمل **الفصل الثاني** وهو بعنوان التوسع النورماندي في بلاد الفرنجة على أربعة مباحث:

المبحث الأول: وهو بعنوان مرحلة الغارات الاستكشافية وتحدثت فيه عن الغارات الأولى التي قام بها النورماند في بلاد الفرنجة.

المبحث الثاني: وهو بعنوان مرحلة اشتداد الغارات وتوسعها، وتحدثت فيه عن توسع غارات النورماند حيث تعرضت الكثير من المدن الفرنسية إلى غارات رجال الشمال، وتحولت طبيعة هذه الغارات من غارات فصلية إلى غارات مستمرة وبأعداد كبيرة من المقاتلين.

المبحث الثالث: وهو بعنوان مرحلة الاستقرار وتأسيس دوقية نورماندي، وتحدثت فيه عن توجه النورماند نحو الاستقرار في المنطقة الواقعة شمال غرب فرنسا حيث ركزوا هجماتهم في تلك المنطقة وتمكنوا من تأسيس إمارة شبه مستقلة لهم هناك وفق اتفاقية سانت كلير سنة 911 م.

المبحث الرابع: وهو بعنوان التمازج الحضاري بين النورماند والفرنجة، وتحدثت فيه عن المجتمع الجديد اذي نشأ من اختلاط العنصري الفرنجي والنورماندي حيث أخذ هذا المجتمع الجديد الكثير من عادات النورماند ونظمهم، حيث سلطت الضوء على هذه التأثيرات.

آما **الفصل الثالث:** وهو بعنوان الغزو النورماندي لشبه الجزيرة الأيبيرية فقد اشتمل على ثلاثة عناصر:

المبحث الأول: وهو بعنوان غارة النورماند الأولى ضد شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحدثت فيه عن هجوم النورماند على سواحل شبه الجزيرة حيث تعرض كل من المسيحيون في الشمال والمسلمون في الغرب والجنوب إلى هجوم نورماندي مفاجئ كانت له نتائج عميقة في تطور نظم الدفاع ضد الغارات البحرية.

المبحث الثاني: وهو بعنوان غارتي النورماند الثانية والثالثة سنتي 245 – 247 للهجرة – 859-861 م، وتحدثت فيه عن الهجومين الذين تعرضت لهما شبه الجزيرة وبينت الآثار المترتبة عنهما.

المبحث الثالث: وهو بعنوان اشتداد الغارات النورماندية على بلاد الأندلس 355 – 361 للهجرة وتناولت فيه الحديث عن الغارات الثلاث التي تعرضت لها شبه الجزيرة الأيبيرية سنوات355 - 360- 361 للهجرة 966- 970- 971 م وبينت الآثار المترتبة عن هذه الغارات.

أما **الفصل الرابع** وهو تحت عنوان: نتائج الغزو النورماندي لشبه الجزيرة فقد اشتمل على ثلاثة عناصر:

أما **المبحث الأول:** وهو بعنوان تطور البحرية الإسلامية في الأندلس، حيث تتبعت نمو وتطور البحرية الأندلسية منذ فتح الأندلس وحتى عهد عبد الرحمن بن الحكم ثم استكملت ذكر إسهامات من بقي من الأمراء والخلفاء الأمويين في مجال البحرية الأندلسية.

المبحث الثاني: وهو بعنوان تطور نظام الرباطات في الأندلس، حيث تتبعت فيه نشأة الأربطة وتطورها نتيجة الغارات على بلاد الأندلس.

المبحث الثالث: وهو بعنوان سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى ملك النورماند سنة 230 للهجرة، حيث تحدثت في هذا العنصر عن ما دار خلال هذه السفارة التي تمثل أول اتصال دبلوماسي بين المسلمين والنورماند وبينت نتائجها.

ثم استخلصت بعد ذلك أهم النتائج التي لاحت لي في ثنايا البحث ووضعتها في خاتمة هذه الرسالة، لتكون بمثابة خطوط عريضة لأهم الأفكار التي اشتملت عليها هذه الدراسة.

وقد تلى هذه الخاتمة عدد من الملاحق التي اشتملت على صور وخرائط وفهارس.

ولتحقيق هذه الخطة اتبعنا منهج تاريخي تحليلي مثل تحليل أهم الأسباب إلي دفعت بالنورماند لهجرة أرضهم والبحث عن وطن جديد، وتحليل الظروف التي ساعدت النورماند على التوسع في بلاد الفرنجة أما فيما ما يتعلق بالمراجع التي تخدم الموضوع فقد تنوعت بين مصادر تاريخية وجغرافية وتراجم ومراجع عربية وأجنبية ودوريات وموسوعات ورسائل علمية وفيما ما يلي عرض وتحليل لأهم هذه المصادر على سبيل المثال لا الحصر.

1 – أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها لمؤلف مجهول، ويتناول هذا الكتاب أحداث الدولة الإسلامية في الأندلس منذ الفتح وحتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ت 350 هـ / 961 م وتاريخ هذا الكتاب مختلف فيه فالبعض يجعله في القرن الرابع الهجري، والبعض الأخر يجعله في القرن الخامس الهجري وقد استفدت من هذا الكتاب أثناء حديثي عن عهد الإمارة في الأندلس إذ يعتبر هذا الكتاب مصدرا أساسيا في تاريخ الفترة الأولى لحكم المسلمين في الأندلس، ومؤلفه قد تتبع أخباره من جميع مصادرها السماعية والكتابة وتوخي فيها الدقة ما جعل لروايته قيمة تاريخية كبيرة.

2 – تاريخ افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد القرطبي الشهير بابن القوطية الشهير بابن القوطية توفي 368 للهجرة / 977 م وهذا الكتاب عظيم القيمة فمؤلفه من حفدة غيطشة الذي غصبه لذريق عرش الأندلس، وكان ابن القوطية عالما بالنحو حافظا للغة متقدما فيها على أهل عصره كما يقول ابن الفرضي، و لم يقتصر ابن القوطية في كتابه هذا على ذكر فتح الأندلس بل نجد أنه قد تناول فيه مجموعة من الأخبار عن أمراء

الأندلس منذ الفتح وحتى وفاة الأمير عبد الله بن محمد ومن هنا كان أهميته بالنسبة إلي إذ استفدت منه عند حديثي عن الولاة والأمراء الأمويين.

3 – المقتبس في أنباء آهل الأندلس، لابن حيان القرطبي ت 469 هـ / 1076 م ويعتبر مؤلف هذا الكتاب من أعظم مؤرخي الأندلس وقد امتازت روايته بالدقة والعمق كما امتازت عباراته بالقوة والمرونة مما يجعل لمؤلفاته طابعا خاصا ويعد كتابه هذا من أصول التاريخ الأندلسي، وقد تناول تناول فيه تاريخ الأندلس من الفتح العربي حتى أواخر القرن الرابع الهجري، وقد احتوى هذا الكتاب على الكثير من النقولات لمؤرخين سابقين أمثال محمد بن أحمد الرازي وعيسى بن أحمد الرازي مما جعل مادة هذا الكتاب تمتاز بالغزارة العلمية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على جزئين فقط من أجزاء المقتبس الأول يتناول عصر الحكم الربضي وجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط وقد حققه ونشره الدكتور محمود مكي، والثاني يتناول خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر وقد نشره الدكتور عبد الرحمن الحجي، وقد كانت استفادتي من هذا الكتاب عظيمة أثناء حديثي عن غارات النورماند الدانيين في عهد الحكم المستنصر.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي وهو من كتب القرن السابع

4- الهجري الثالث عشر الميلادي، ويعد كتابه هذا من أهم المصادر الأساسية التي يعتمد عليها في كتابة التاريخ الأندلسي، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على الجزء الثاني من هذا الكتاب.

5 – الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الحميري، وهو كتاب ضخم يضم بين دفتيه تعاريف للبلدان والمدن والمواضع على اختلاف أقطارها، وقد اختلف في تاريخ تأليف هذا الكتاب إلا أنه يعتبر من الكتب القيمة لما احتوى عليه من مادة جغرافية وتاريخية، وكانت استفادتي من هذا الكتاب كبيرة أثناء التعريف بالعديد من الكتب الأندلسية والمغربية الواردة في البحث.

ثانيا: المراجع العربية

1- أبو الفضل محمد احمد: تاريخ مدينة المرية الأندلسية، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 1996

2- أبو الفضل محمد احمد: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996.

3- ألسمرائي خليل إبراهيم: الثغر الأعلى الأندلسي، مطبعة اسعد، بغداد، 1976 م.

4- البنداق محمد صالح: يحي بن الحكم الغزال، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1979.

5- الخلف سالم بن عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، المدينة المنورة، 2003.

6- الداية محمد رضوان: ديوان يحي بن حكم الغزال، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت، 1993.

7- عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، 1969.

8- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، الإسكندرية، 1984.

9- شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 4، 1975.

10- الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة، الجامعة الليبية، كلية الآداب.

11- طرخان إبراهيم علي: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى دار النهضة العربية القاهرة، 1958.

12- عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

13- العبادي احمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1969م.

14- السيد عبد العزيز سالم، العبادي أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، 1969.

15- العبادي احمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، ط الأولى، 2000م.

16- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1988م.

17- مكي محمود علي: التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954.

18- النخيلي درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام، 1974.

ثالثا: المصادر المعربة:

1- فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، مصر 1968 م.

2- هادريل: أوروبا في صدر العصور الوسطى، ترجمة، حياة ناصر الحجي، مؤسسة الصباح، الكويت، ط1، 1979 3- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة، زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

رابعا: المراجع الأجنبية:

1- Tacite: La Germanie ،Traduction de Panckoucke ،Paris ،1827.

والواقع أن هذا الكتاب يعتبر من المصادر إذ أن مؤلفه تاكيتوس قد عاش في النصف الأخير من القرن الأول الميلادي وأوائل النصف الثاني للميلاد 55- 120 م وقد افادني هذا المؤلف القيم كثيرا في التعريف بالنورماند ومعرفة طريقة عيشهم ونظمهم.

2- Capefigue: Essai sur les invasions maritimes des Normands dans les Gaules.

3- Depping.B: Histoire des expéditions maritimes des Normands dans les-Gaules. Bruxelles

4- Dozy: recherche sur l'histoire et la littérature de l'Espagne musulmane Pendant le moyen âge ،Tome premier.

5- Henri Wheaton: Histoire des peuples du Nord ،Paris ،1844

ولقد كان هذا عرض لبعض من كل المصادر والمراجع التي خدمت هذا البحث وسيجد القارئ الكريم عرضاً تفصيلياً لها في نهاية الرسالة.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني أثناء كتابتي لهذه الرسالة فإنها تتمثل في ناحيتين أولهما ندرة المراجع الأجنبية في المكتبات المحلية سواء الجامعية منها أو العامة وثانيهما تكرار المعلومات في بعض المراجع حتى ليخيل للباحث بعد قراءته للعديد من المراجع أنه ما قرأ كتابا واحدا بأسماء مختلفة وطبعات متعددة فلا تكاد تجد معلومة إضافية في بع المراجع عن سواها.

والحقيقة أن هذا البحث من أعمال البشر والعل البشري لا يخلو من النقص والخطأ ولله در قائل:

قل للذي يـــدعي في العلم معرفـــة   عرفت شيئا وغـــابت عنك أشيـــاء

وحسبي أني بذلت وسعي في جهد كي أخرج هذا الموضوع في صياغة جيدة تتناوله من جميع جوانبه وأنني بعد هذا لأرجو من العلي القدير أن يكلل سعي بالنجاح والتوفيق وعملي بالإخلاص والقبول.

الفصل الأول:

النورماند أصلهم، قبائلهم، عاداتهم ودوافع توسعهم

المبحث الأول: التسمية والأصل

المبحث الأول: قبائلهم

المبحث الأول: عاداتهم ونظمهم

المبحث الأول: دوافع توسعهم

المبحث الأول: التسمية والأصل

النورماند هم مجموعة الشعوب التي سكنت شبه جزيرة إسكنديناوة [1] Scandinavie، وشبه جزيرة جتلاند Jutland .

وقد ذكر هؤلاء الأقوام في التاريخ بعدة أسماء، فعند سكان أوروبا الغربية من الفرنجة والأنجلو سكسون عرف هؤلاء بالنورماند Normand وهو مصطلح مشتق من كلمة North Men الانجليزية أو Normandos الأسبانية، وجميعها تعني رجال الشمال [2] أي الرجال القادمين من أرض الشمال وهي بذلك تسمية مأخوذة من الموقع الجغرافي لبلاد النورماند الواقعة أقصى شمال أوروبا.

كما عرف النورماند أيضا بالفايكنج Vikings [3] المشتقة من كلمة Vik، التي تعني الخليج أو الفيورد Fjord حيث تعني كلمة الفايكنج رجال أرض الخلجان، ووصف أرض النورماند بهذا الاسم هو وصف دقيق إذ تتميز شبه جزيرة إسكنديناوة بكثرة خلجانها وفيوردالها [4].

وعرف النورماند بين القبائل السلافية التي سكنت شمال شرق أوروبا بالورنك Varangins أو Varègues [5] وينسب إليهم تأسيس مدينة كييف مهد الأمة الروسية.

كذلك نجد أن بعض المصادر قد أطلقت عليهم اسم الروس وأصل هذه الكلمة اشتقاق من كلمة روتسي Ruotsi التي أطلقها الفنلنديون Finnois على جيرانهم السويديين Swardes الذين هم فرع من فروع النورماند وهي تعني أصحاب المجاذيف، حيث اشتهر النورماند بمراكبهم التي تتحرك بالمجاذيف [6].

أما عند المسلمين فقد عرف النورماند بالمجوس[7] وقد اختلف المؤرخون في تعليلهم لهذه التسمية فيرى

[1]- سميت شبه جزيرة اسكنديناوة بهذا الاسم نسبة إلى تسمية المؤرخ الروماني بيليني – Plinyلأرض السويديين بإسم سكنديا Scandia ثم عمم هذا الاسم على شبه الجزيرة ونشأ منها لفظ إسكنديناوة الذي يشمل الأمم الأربعة السويد، النرويج. الدنمارك، فنلندا، انظر ويل ديورانت، قصة الحضارة، ر – زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف وم 4، ج 2، ص 308.، 1968 الترجمة والنشر، القاهرة

[2]- The Cambridge Médiéval History ،Cambridge At the university press ،1957 ،Volume ،3 P 306

[3]- ترجع كلمة الفايكنج إلى اللغة الأيسلندية – Iselanda القديمة ومعناها الخليج أو الشرم، انظر الموسوعة العالمية، ترادكسيم، جنيف، م 9، ص 153.

[4]- Mawer A: The Vikings ،Cambridge ،1930 ،P 1

[5]- هادريل: أوروبا في صدر العصور الوسطى، ترجمة، حياة ناصر الحجي، مؤسسة الصباح، الكويت، ط1، 1979 ص 357.

[6]- Henri Wheaton: Histoire des peuples du Nord ،Paris ،1844 ،P 86

[7]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 2، 1989، ص 78.

البعض أنها لا تعدوا كونها خلطا بينهم وبين المجوس الزرداشتية [1] لكثرة إشعالهم للنيران في الأماكن التي يترلون بها، أو في المناطق التي يهاجمونها، أما لإثارة الرعب والخوف، أو بغرض التدفئة والاستئناس بها غي معسكراتهم ليلا، أو لحرق جثث زعمائهم الموتى، فغلب على ظن المسلمين أنهم مجوس يعبدون النار فسموهم بالمجوس [2].

أما البعض فيرى أن هذه التسمية ذات صلة وثيقة بما كان عليه النورماند من الوثنية، وعبادتهم لقوى الطبيعة مثل النار، لا سيما في الوقت عرفهم فيه مسلمو الأندلس لأول مرة قبل اعتناقهم للنصرانية فأطلق عليهم المسلمون لذلك مجوسا أو وثنيين.

كما سمتهم بعض المصادر العربية بالأردمانيين [3]، على صيغة الجمع من لفظ أردماني، وهي تحريف لكلمة النوردمانيين، المشتقة من الكلمة اللاتينية Nordmanni أي سكان الشمال [4]، وقلب حرف النون إلى همزة في أوائل أسماء الأعلام ليس بالغريب على الأندلسيين.

ويضع المؤرخ الروماني الشهير تاكيتوس Tacite النورماند ضمن الشعوب الجرمانية التي تعود أصولها إلى الجنس الهندو أوروبيIndo- Européenne ، وهو نفس الجنس الذي تنتمي إليه الشعوب الايطالية والأرمينية والإيرانية[5].

والمعروف أن الجرمان القدامى قد استقروا أول الأمر بعد قدومهم من آسيا الوسطى في شبه جزيرة إسكنديناوة، وقد انقسموا إلى مجموعتين عظيمتين، خرجت المجموعة الأولى منذ القدم واتجهت نحو الإمبراطورية الرومانية وتفرعت بدورها إلى تيارين شرقي وغربي [6].

وكان هذان التياران هما اللذان اصطدمت بهما الإمبراطورية الرومانية اصطداما خطيرا آذن بوقوعها بعد ذلك في أيديهم منذ بداية القرن الثالث الميلادي.

---

[1]- ابن حيان: المقتبس في أخبار آهل الأندلس 360- 364ه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965 م، ج 1، ص 250.

[2]- انظر ابن فضلان: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ص 155.

[3]- انظر ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ذخائر العرب، ط 4، ج 1، ص 49، ونشير هنا إلى أن الحميري والبكري قد ذكرا النورمان بإسم الروذمانون ويبدو أن هذا اللفظ ليس إلا تحريفا لكلمة الأردمانيون، انظر البكري: جغرافية الأندلس، ص 93، الحميري: الروض المعطار في خبر الأخبار،
تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1984، ص 90.

[4]- G. B. De Lagreze: Les Normands Dans les deux Monde ،Paris ،1890 ،p 1

[5]- Tacite: La Germanie ،Traduite par Panckoucke ،Paris ،1827

[6]- G. B. De Lagreze: Les Normands Dans les deux Monde ،P 56

وعلى الرغم من أن هذه القبائل عند بداية ظهورها على مسرح الأحداث لم يكن لها هدف أو سياسة مرسومة ترنوا إلى تحقيقها، إلا أنها حين اقتربت من الحدود الرومانية انبهرت بما تتمتع به الإمبراطورية من تقدم ورخاء ومناخ لطيف معتدل فأثرت بتجوالها خلف حدودها ومشاركتها ثرواتها وخيرات أرضها من وتأمين مأوى ناسب للعيش من جهة أخرى.

فتحركت هذه القبائل في شكل موجات متتابعة وكثيرا ما كانت تصطدم ببعضها البعض فتعطي للرومان فرصة للراحة.

وفي الوقت الذي وصل فيه سيل الهجرات الجرمانية إلى حدود الإمبراطورية الرومانية تنبهت السلطات الرومانية إلى خطر تلك القبائل، فأرسلت الجيوش لمحاربتهم ولكنها لم تتمكن من القضاء عليهم أو الحيلولة دون تغلغل بعض القبائل الجرمانية داخل تخومها [1].

أما المجموعة الثانية من الجرمان فهي التي فضلت البقاء في الجهات الشمالية في شبه جزيرة اسكنديناوة وما حولها، وهذه المجموعة هي التي أطلق عليها اسم النورماند أو الفايكنج واتخذت غاراتهم شكلا خطيرا في القرن التاسع الميلادي [2]، وهم وإن كانوا يرجعون لأصول جرمانية، إلا أنهم يختلفون عن العناصر الجرمانية الأولى في بقائهم قابعين في تلك الأطراف الشمالية، بعيدا عن العالم الروماني القديم، فأدى تطرف وضعهم الجغرافي وعزلتهم إلى عدم تأثرهم بالمؤثرات اللاتينية [3]، لذلك ضلوا بدائيين حافظين على أوضاعهم التيتوانية القديمة، فيما يختص بديانتهم وبنائهم الاجتماعية ونظم حكمهم، بخلاف أسلافهم من الجرمان الذين سبقوهم في الاتصال بالحضارة الرومانية والديانة المسيحية قبل اقتحامهم لحدود الإمبراطورية بقرون وخلال تلك الفترة لم يحاول الرومان أو الفرنجة مد سيطرتهم إلى تلك المناطق حتى كان القرن التاسع الميلادي، حيث بدأوا يغيرون على العالم الأوروبي، مما جعل الكثير من الكتاب يرددون تلك العبارة التي صارت سمة ملازمة لذكرهم وهي أن الشماليين هم الذين تحركوا لاستكشاف أوروبا وليست أوروبا ه التي كشفت عنهم [4].

---

[1]- Ernest Lavisse: Histoire de France ‹Librairie Hachette ‹Paris ‹1901 ‹Tome II ‹Première Partie ‹p 46.

[2]- Thompson (J. W): Economic and social History at the middale Ages. New York.1959. ‹P 306.

[3]- Geffroy. A: Histoire des Etats Scandinavie ‹librairie Hachette ‹Paris ‹1851 ‹P 38.

[4]- Thompson: op.cit. ‹306.

المبحث الثاني: قبائل النورماند

ضم الشعب النورماندي الذي سكن ارض اسكندنافيا أربعة قبائل أساسية تمثلت في السويديين Swardesوالنرويجيين Norvégien والدنماركيين أو الدانيين Danees والفنلنديين[1] Finnois.

أما السويديون الذين أطلق عليهم المؤرخ الكبير تاكيتوس اسم Suiones[2] فقد اشتهروا بحسبه بصلابتهم وشجاعتهم كما اشتهروا بمهارتهم في ركوب البحر حيث امتلكوا سفنا متطورة بمنظور ذلك العصر، ويذكر ناكيتوس أن السويديين كانوا خاضعين لسلطة زعماء يملكون سلطة مطلقة [3].

و السويديون هم الذين توسعوا بداية من القرن التاسع الميلادي شرقا حيث عبروا بحر البلطيق ووصلوا إلى خليج ريجا Riga ثم أوغلوا عبر نهر الدون Don حتى بلغوا السهول الجنوبية الشرقية لروسيا [4].

وعلى الرغم من أن السويديين كان لهم نشاط في شمال أوروبا وحوض بحر البلطيق إلا أنه كان ضئيلا بالنسبة لنشاطهم في السهول الجنوبية الشرقية لأوروبا ويبدوا أن الذي ساعدهم على ذلك هو انهيار قوة الآفارAvars[5] في القرن التاسع الميلادي، إذ مهد ذلك الحدث الطريق أمام السويديين للوصول إلى حوض الدنبير وسواحل البحر الأسود[6]، ومن ثم توسعوا في تلك المناطق حتى وصلوا إلى حوض الفولجاVolga وبحر القزويين Mer Caspien.

وأسس السويديون في تلك الجهات عدد من المحطات التجارية وأنشاوا قواعد عسكرية لحمايتها زودت بجيوش صغيرة وعين لها أمراء يتمتعون بسلطات معينة ويعملون على جمع الضرائب، ثم ما لبثت هذه المحطات أن تطورت إلى مدن كبيرة كان من أهمها دوقية كييف Kievالتي اتسعت حتى صارت مركزا كبيرا للفايكنج في شرق أوروبا واستطاعت أن تفرض سيطرتها على تلك المناطق [7].

---

[1]- Geffroy: op.cit. p 38
[2]- Tacite: La Germanie. Traduction de Panckoucke.Paris.1827. P 224
[3]- Tacite: op.cit. p 225
[4]- السعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص 177.
[5]- عن انهيار قوة الأفار: انظر نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق 1414- 1415 للهجرة، 1994 – 1995 م، ص 45.
[6]- Stephenson C: Médiéval History. New York. 1943. P171- 172
[7]- Thompson: op.cit. P 325

وقد أعطى السويديون للتجارة جل اهتمامهم. وكثير ما كانوا يشعلون الحرب مع القسطنطينية من أجلها.

لم يكد ينتصف القرن الحادي عشر الميلادي إلا وكان الروس السويديون قد ذابوا وسط المحيط السلافي الذي عاشوا فيه وانطبعوا بطابعه العام [1] .

أما النرويجيون فقد تحدث عنهما كل من الجغرافيان بلينيوس وسترابون، وذكرا أنهم فرع من فروع السويديين كما ذكروا أن الاسم الذي عرفوا به وهو Norway يعني الطريق المؤدي إلى الشمال وذلك عائد إلى استقرارهم في أقصى شمال اسكندنافيا [2] .

وقبل ذلك تحدث الرحالة المارسيلي الشهير المدعو بيثياس **Pythéas le massaliote** الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد عن النرويجيين وأرضهم، حيث أطلق على أرضهم اسم ثولي **Thulé**، وذكر أنهم قوم محاربون، كما أشاد بمهاراتهم في ركوب البحر وذكر أن معيشتهم قائمة على صيد الأسماك بمختلف أنواعها وكذا على رعي الأيائل، كما قدم وصفا دقيقا للطبيعة الجغرافية لهذه البلاد، خاصة فيما يتعلق بكثرة خلجانها، كما تحدث عن ظاهرة عدم غياب الشمس في بعض أوقات السنة وهو ما جعل المؤرخين المحدثين يشيدون اشد الإشادة ببيثياس حيث اعتبروه واحدا من كبار الجغرافيين على الإطلاق [3] .

وبحكم موقعهم في أقصى الشمال فقد شمل نشاط النرويجيين الجزر والأراضي الواقعة شمال أوروبا مثل جزر شتلاند **Iles de shetland** ، وأوركني **Les Orcades** وجزيرة مان **Ile de Man** واسكتلندا **Ecosse** وانجلترا **Angleterre** وايرلندا **Irlande**، حيث تعرضت هذه المناطق ابتداء من نهاية القرن الثامن الميلادي إلى غارات مستمرة من طرف القراصنة القادمين من النرويج [4] .

وينسب للبحارة النرويجيين كذلك اكتشاف جزيرة أيسلندا **Islande** وجزائر فارو**Iles de Féroé** وجزيرة جرينلاند **Ile de Groenland**

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط 1، 1982 م، ج 1، ص 244.

[2]- Henri Wheaton: op.cit. p 19

[3]- Eyries M ‹J ‹B: Danemark ‹Paris ‹1827 ‹P 18

[4]- G. B. De Lagreze: Les Normands Dans les deux Monde ‹P 110

أما الدانيون Les Danois فقد تحدث عنهم الكثير من المؤرخين اليونانيين والرومان القدامى بدءا بسترابون Strabon مرورا ببليني الأكبر Pline l'ancien وتاكيتوس Tacite وبطليموس Ptolémée حيث ذكروا أن الدانيين هم فرع من فروع قبيلة القوط الجرمانية التي انحدرت منها جميع القبائل النورمانية الأخرى [1] .

وأطلق عليهم الجغرافي الإغريقي الكبير بطليموس اسم الدوكيون Daukiones وذكر أن موطنهم الأول هو إقليم سكانيا Scanie، جنوب السويد ثم انتقلوا إلى شبه جزيرة جتلاند مستغلين هجرة قبائل الجوت [2] انتقالهم إلى الجزر البريطانية، أما بليني فقد أطلق على سكان الدنمارك اسم السيمبر [3] Cimbres وهو نفس الاسم الذي عرفهم به تاكيتوس كورنيلوس حيث وصفهم بأنهم شعب محارب، ذو بأس وجلد في الحرب.

أما المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس Procope فقد سماهم بالقوط وهو نفس الاسم الذي أطلقه عليهم كل من المؤرخ الروماني كاسيدروس Cassiodore والمؤرخ القوطي جوردناس[4] Jordanes.

أما أصل اسم الدانيين الذي عرف به سكان الدنمارك بعد ذلك فقد اختلف فيه المؤرخون المعاصرون فالبعض يعيد أصل اسم الدنمارك وأهلها إلى اسم الملك دان ماكيلاتي Dan Makillati الذي تولى حكم هذه البلاد في القرن الثالث الميلادي، حيث قالوا أن معنى الدنمارك هو البلاد العائدة إلى دان [5]، بينما الرأي الثاني وهو الرأي الذي اتفق عليه أغلب المؤرخين، فيعيد أصل التسمية إلى الطبيعة الجغرافية لبلاد الدنمارك فهي بلاد تتميز بطابعها السهلي المنخفض الارتفاع بالنسبة لمستوى سطح البحر، ولذلك فقد سماها سكانها بـــ Deun Maerk، وهي تعني في اللغة الدنماركية الأرض المنخفضة. وبعد ذلك حرف الاسم الحالي إلى Danemark[6].

وإلى الدانيين تنسب الغارات التي تعرضت لها بلاد الفرنجة وشبه الجزيرة الأيبيرية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وهم بذلك محور دراستنا في هذه البحث.

---

[1]- Eyries M. J. B: Danemark. op.cit. p 7 .
[2]- Ibid.p 11.
[3]- Tacite: la Germanie.op.cit. p 177.
[4]- Henri Wheaton: op.cit. p 13.
[5]- Eyries M. J. B: op.cit. p 12.
[6]- Ibid. p 6.

أما الفنلنديون وهم آخر الفروع الكبرى للشعب النورماندي فقد عرفوا عند الكثير من المؤرخين الإغريق والرومان الكلاسيكيين كبركوبيوس وتاكيتوس، حيث أطلق عليهم هذا الأخير في مؤلفه جرمانيا اسم الفيني fenni[1] وذكر أنهم أكثر الشعوب الاسكندينافية تخلفا حيث ذكر أنهم يعيشون عيشة بدائية ترتكز على الصيد والالتقاط، كما سلط الضوء على حياة البداوة التي يعيشون في ظلها، فحتى عصر هذا المؤرخ لم يعرف الفنلنديون حياة الاستقرار كما غابت عندهم ابسط نظم الحكم، أما بروكوبيوسProcope، الذي عاش في القرن السادس الميلادي فأطلق عليهم اسم سكريثفيني Skrithfinniحيث أشار إلى ما هم عليه من تخلف بالمقارنة مع باقي الشعوب الاسكندينافية، وقد كان لحياة البداوة التي عاش فيها الفنلنديون وجهلهم لأمور البحر دور كبير في عدم خروجهم في حملات توسعية على غرار بقية القبائل الاسكندينافية حيث لم يشر أي مؤرخ غربي أو عربي إلى وجود قراصنة فنلنديين إبان الغارات التي تعرضت لها بلاد الفرنجة والجزر البريطانية وبلاد الأندلس.

[1]- Tacite: La Germanie ،p 238

المبحث الثالث: عادات النورماند ونظمهم

لم يختلف النورماند كثيرا عن غيرهم من الشعوب الجرمانية في نظمهم وعادتهم وأساليب حياتهم اللهم إلا أن طبيعة بلادهم الجبلية ذات الغابات والأحراش والمستنقعات، لم تترك لهم مجالا يعيشون سوى السهول الساحلية، وهي لا تعدو في معظم الأحيان أشرطة ضيقة من الأرض الخصبة، وهكذا دفعت الطبيعة النورماند نحو البحر، فبرعوا في بناء السفن الصغيرة المكشوفة التي اتصفت بطولها وقلة عرضها وسارت كما يذكر تاكيتوس بالمجداف والشراع [1]، حيث جابوا بها شواطئ أوروبا من البحر البلطي حتى البحر المتوسط.

وبالعودة إلى حياة للنورماند يذكر المؤرخ الروماني تاكيتوس أن النورماند تميزوا بحبهم الشديد للقتال والحرب وقد ساعدهم على ذلك قوتهم الجسمانية الكبيرة، فقد تمتع النورماند مثل غيرهم من الجرمان ببنية قوية أدهشت المؤرخ الروماني حيث ذكر تاكيتوس أن طول اغلبهم يتجاوز الستة أقدام [2]، وقد كانت صفة المحارب من أكبر مباعث الشرف والفخر عند الرجال النورماند لهذا فقد حرصوا على تعليم أبنائهم ومنذ الطفولة جميع الفنون القتالية إضافة إلى تعليمهم الصيد والسباحة وركوب البحر [3]، كما حرص أمرائهم على توفير أساطيل صغيرة لأبنائهم من أجل استخدامها في الإغارة على المناطق المجاورة.

وفي أوقات الفراغ التي عادة ما تكون بين الحروب يشغل النورماندي نفسه بقليل من الصيد وكثير من الدعة والراحة، موزعا هذه الدعة بين الفراش والمائدة، ومن المتناقضات في حياة النورماندي أنه رغم ما جبل عليه من حب المغامرات وركوب الأخطار وإيثار هذا النهج على ما سواه، يترك الإشراف على شؤون المنزل وأراضيه الزراعية إلى زوجته وكبار السن في أسرته، تاركا لنفسه العنان لأخذ اكبر قسط من الراحة في وقت فراغه، فهو لا يؤمن بشيء سوى: أما حرب فيحارب وإما فراغ فراحة وسكون، وفي ماعدا ذلك من شؤون الحياة، يجب أن يتولاه غيره [4].

وكانت معيشة النورماند في منازل متفرقة في القرى وليست في المدن، على الأقل في فجر تاريخهم وبكل منزل فناء كبير متسع، ويملأ الأثرياء منازلهم بالخدم من أسرى الحروب، أما ملابسهم فقد كانت تصنع من

[1]- Tacite: op.cit. p 224.
[2]- Ibid. p 16.
[3]- Ibid. p 106.
[4]- Ibid. p 80.

جلود الحيوانات وكانت عبارة عن وشاح أو عباءة تغطي الكتف والصدر حتى أول البطن ويشد هذا الوشاح بمشبك حتى العنق، وهذا الزي خشن غليظ لا ينفذ منه المطر، ويتميز الأغنياء فيهم بصدرية مغلقة بشكل يظهر كل أعضاء الجسم، ولا تختلف أزياء النساء عن أزياء الرجال، فيما عدا أن النساء كثيرا ما يلبسن الكتان المصبوغ باللون الأحمر، وجرت العادة أن تترك النساء اذر عتهن ووجزءا من صدروهن عاريا [1].

وقد عرف المجتمع النورماندي الكثير من العادات السلبية مثل عادة شرب الخمر، حيث انتشرت هذه العادة بينهم ولعل للمناخ دخلا في هذا، فهم يشربونها حتى الثمالة ويهيمون في عالم الشراب والأحلام، والشاذ فيهم هو الذي لا يشرب [2]، يصنعون خمرا من الشعير والقمح، ومع ميل النورماندي إلى الشراب والمغامرات، فإنه كان يقنع بزوجة واحدة، ويندر من يشذ على هذه القاعدة، وجرت العادة في مراسيم الزواج أن يقدم الزوج لأهل الزوجة عدد الحيوانات الأليفة وبعض الحلي، وبمقتضى هذه الهدية أو هذا الصداق يتم عقد الزواج، وبالمثل تقدم العروس إلى زوجها كمية من الأسلحة كهدية منها، وهدية السلاح في نظر النورماندي أوثق رباط وأكده للعلاقة الزوجية [3]، والفجور في المجتمع النورماندي نادر ولا يعرف الزوجان شيئا من علاقات خائنة أو مريبة، وإذا صادف ووقعت خيانة وثبتت، عوقبت الزوجة بقلع الشعر والتجريس في القرية [4].

هذه صورة عامة لحياة النورماند الاجتماعية الخاصة، أما الطبقات في المجتمع النورماندي القبلي فهي ثلاث: أولها طبقة الحكام والنبلاء Earl ثم طبقة الرجال الأحرار Karl تليها طبقة العبيد Esclaves [5].

مثلت طبقة النبلاء الطبقة المحاربة في المجتمع النورماندي وتمتعت هذه الطبقة باحترام وتقدير كبيرين وكان الابن الأكبر في العائلة النبيلة يرث اسم وممتلكات العائلة أما بقية الأبناء فيتجهون نحو حياة الغزو والقرصنة والسلب والنهب حيث يقوم كل نبيل يجمع مجموعة من رفاقه وينطلق في حملات بحرية تشمل سواحل بحر البلطيق وبحر الشمال وأطلق المؤرخون على هؤلاء القراصنة اسم ملوك البحار [6]، أما طبقة الرجال

[1]- Tacite: op.cit.90
[2]- Ibid. p 118
[3]- Ibid. p 94
[4]- Ibid. p 101
[5]- Capefigue. B: Essai sur les invasions maritimes des Normands dans les Gaules Paris. 1823. p 25
[6]- تتحدث المصادر الاسكندينافية القديمة عن بطولات ملوك البحار وحملاتهم البحرية في فرنسا وبريطانيا ويعتبر مؤسس دوقية نورماندي رولو Rollon أشهر ملوك البحار على الإطلاق اذ تمكن هذا النبيل النرويجي من تأسيس إمارة في فرنسا كما تمكن أحفاده فيما بعد من غزو بريطانيا وللمزيد راجع:

Guizot.F: Collection des mémoires relatifs a L Histoire de France.Paris.1825.p 33

الأحرار فقد كان أفرادها يختصون بالمهن غير القتالية مثل الزراعة، والصيد كما كانوا عند الحاجة يشاركون في المجهودات الحربية.

أما الطبقة الثالثة والتي مثلت نسبة معتبرة من تركيبة المجتمع النورماندي القديم فتمثلت في طبقة العبيد أللدين تشكلوا بشكل أساسي من أسرى الحروب والحملات البحرية ومن أناس فقدوا حريتهم نتيجة خسارة في القمار أو لعدم قدرتهم على تسديد ديونهم مما يجعلهم يفقدون حريتهم ويصبحون عبيدا خاضعين لسلطة أسيادهم [1].

وفي العادة كانت الطبقة النبيلة تدعي نسبها إلى أصول مقدسة والجد الإلهي الذي يعتبر آبا للجميع هو الإله أودين woden إله الحرب[2]، ومن حق كل فرد من أفراد الطبقة النبيلة أن يكون له أتباعا من طبقة الأحرار تكون خاصته، وخاصة الملك عادة ما يكونون من الطبقة الأرستقراطية، وتحضر مائدته كما تكون حرسه الخاص في المعركة، ومن المظاهر البارزة في المجتمع النورماندي إخلاص أولئك الأتباع الذين يلازمون سيدهم في الغارات الحربية، بحيث أنهم كانوا يقاتلون إلى جانبه حتى الموت فإذا حدث وغلب هذا السيد أو قتل في المعركة آثر هؤلاء الموت بجانبه على الهرب أو الاستسلام.

واختلف البناء الاقتصادي للنورماند خاصة السويديين والنرويجيين والدنماركيين عن غيره من المجتمعات البدائية الأولى ذلك أن النورماند لم يعتمدوا على مجرد الصيد والقنص والرعي.

صحيح أن هذه الأنشطة مثلت العمود الفقري لاقتصادهم، إلا أنهم صاروا إلى شيء من الحياة الزراعية المستقرة منذ زمن تاكيتوس[3] والزراعة تتطلب الاستقرار، والاستقرار لا شك أنه أولى المراحل في نشوء المدينة، صحيح أنها كانت شعوب جائلة في اغلبها، لكن ذلك انطبق على حياتهم قبل القرن الأول الميلادي غير أنهم لم يعودوا كذلك فيما بعد، فقد أضحوا يبحثون عن أوطان جديدة يستقرون فيها أو أراضي زراعية يستثمرونها.

وقد أخذت الزراعة تأخذ أهمية متصاعدة في تركيبة الاقتصاد النورماني، صحيح أنهم مارسوها بالطرق البدائية، إلا أنها ساعدتهم على الاستقرار ودفعتهم للبحث عن أراضي جديدة صالحة للزراعة حيث آثروا

[1]- Tacite: op.cit. p 130

[2]- Geffroy: op.cit. p 12

[3]- فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف، مصر، ط م 5، 1966ص 16.

الحصول على أراض صالحة عن طريق الغزو عوض طريق الإصلاح وقطع الغابات، فالغزو أفضل في نظرهم من مشقة الإصلاح والتمهيد، ومن هنا جاء استعدادهم للرحلة والنقلة وتغيير مساكنهم وأوطانهم في سبيل وضع اليد على أراضي أكثر خصوبة، كلما تحدثهم البيئة التي يعيشون فيها وجرت العادة على أن تقسم الغنائم من هذه الأراضي حصصا بين الأسر النورمانية الفاتحة[1].

أما الصيد البحري والرعي فقد مثلا النشاط الأساسي للنورماند أنذلك حيث تذكر المصادر التاريخية أن النورماند برعوا في صيد اسماك التونة والحوت والقرش من المحيط، كما اشتهروا بتربية الأبقار والأيائل، وكانت ثروة النبيل عند النورماند تقاس بشكل خاص بما يمتلكه من قطيع وما يمتلكه من قوارب صيد[2].

ومن حيث النظام الحربي والسياسي، لا شك أن النورماندي محارب بطبعه وتكوينه الجسماني فحياته القاسية تطلبت منه مثل هذه الصفة، حتى أنه في حياته الخاصة كان لا يؤدي عملا خاصا أو عاما إلا وهو في سلاحه الكامل، والدعوة إلى الحرب أقدس نداء يتحتم الاستجابة إليه، فإذا رفض أو أهمل عوقب بالشنق، ومن العار على القائد في المعركة أن يفوقه أحد في الشجاعة والإقدام كما أنه من العار على الجنود آلا يحاولوا التشبه بقادتهم.

وبني النظام السياسي عند النورماند على عدة مؤسسات أهمها على الإطلاق مجلس الشعب[3]، فقد كان لكل فرد حر الحق في الانتساب لهذا المجلس[4]، لكن ومع تزايد عدد السكان وضعت شروط جديدة للانتساب منها أن لا يكون الشخص مفلسا أو واقعا تحت طائلة الديون وأن لا يكون قد ارتكب جريمة كبيرة كالقتل أو السرقة، وفيما بعد ظهر شرط جديد وهو أن يكون الشخص مالكا لبعض الثروة وهنا نلاحظ أن هذا المجلس قد تحول تدريجيا إلى مجلس للأعيان [5] وتمتع هذا المجلس بسلطة كبيرة في تسيير شؤون المجتمع الاسكندينافي فكل أمر ذي أهمية كان لا بد أن يمر على هذا المجلس فمثلا كان انتخاب الملك يتم طريقه وتعيين القضاة المكلفين

---

[1]- فشر: المرجع السابق، ص 402.

[2]- Geffroy: op.cit. p 26

[3]- عرف مجلس الشعب عند النورمان القدامى باسم الثينج Althing وتمتع بأهمية بالغة في تسيير شؤون الشعب الاسكندينافي، ووصل تطور هذا المجلس إلى قمته في أيسلندا في منتصف القرن الحادي عشر حيث تمتع بسلطات واسعة جعلت منه اقرب إلى مجلس النواب في الأنظمة البرلمانية الحديثة وللمزيد راجع:

Capefigue.B: op.cit.p 63

[4]- Depping.B: Histoire des expéditions maritimes des Normands dans les Gaules.Bruxelles 1844.p 43

[5]- Capefigue.B: op.cit.p 42

بمعاقبة المجرمين يتم بموافقته، وكان المجلس يجتمع مرتين على الأقل في السنة، كما كانت له فروع في الأقاليم فمثلا في أيسلندا كان هناك المجلس الأعلى للأمة وكانت له أربعة فروع كل منها يسير شؤون منطقة من مناطق أيسلندا الأربعة [1]، كان المجلس ينتخب أيضا رئيسه الذي يستمر في قيادته للمجلس لمدة سنة، وله الحق في الترشح مرة أخرى لشغل المنصب [2]، المؤسسة الثانية في النظام السياسي عند النورماند القدامى هي المؤسسة الملكية، نقول هنا أن بلاد اسكندنافيا قد عرفت عددا من الممالك فمثلا النرويج كان بها قبل توحدها على يد الملك هارالد هرفجارد في القرن العاشر الميلادي ثلاثة عشر مملكة متنافسة أما السويد فقد كان بها أيضا أكثر من خمسة ممالك، أما الدنمرك قبل توحدها على يد الملك جورم العجوز Gorm le vieux فقد وجد بها أكثر من عشرة ممالك.

كانت سلطة الملك عند النورماند بعيدة على أن تكون سلطة مطلقة [3] فقد كان الملك مجبرا على استشارة الشعب في كل الأمور الهامة، أما عن طريقة اختيار الملك فالمصادر الاسكندينافية تخبرنا أن الملك يجب أن ينحدر من سلالة الإله أودن المقدسة [4]، لكن ليس بالضرورة أن يكون اكبر أبناء الملك الراحل فبسبب طبيعة أرض النورماند الصعبة وحاجتهم إلى ملك قوي حازم فقد حرصوا على اختيار أكثر أبناء الملك كفاءة وقدرة ولو كان الأصغر سنا [5].

كانت مراسم الانتخاب تتم في جو مهيب أين يتم اختيار الملك في حضور أعضاء مجلس الشعب ويقوم رئيس المجلس بتقديم المرشحين لتولى العرش وكانت علامة موافقة الشعب على أحد المرشحين هي بالقرع على الأرض بالسيوف [6].

فيما يتعلق بالنظام القضائي الذي عرف عند النورماند آنذاك تذكر المصادر أن هذا النظام تطور بتطور المجتمع الاسكندينافي آنذاك واجه مشكلة العنف كما واجه تفشي ظاهرة الانتقام داخل العشيرة الواحدة وبين العشائر المختلفة وبين العشائر المختلفة وبلغت هذه الظاهرة من الحدة أن أصبحت تأخذ شكل حروب محلية

[1]- Mallet P H: Histoire de Danemark. Genève.1787. 104
[2]- Ibid.p 105
[3]- Mallet P H: introduction a Histoire de Danemark. Genève.1763.p 178
[4]- اعتقد النورمان إن ملوك الدنمرك والسويد والنرويج الأوائل هم من سلالة الإله اودن وسميت أول أسرة حاكمة بينجلينجا Ynglinga واستمر حكم أفراد هذه السلالة إلى منتصف القرن الثاني عشر ميلادي .أنظر:
De Lunblad.J.F: Histoire De Danemark et de Norvège. Paris.1825.p 14
[5]- Capefigue.B: op.cit.p 64
[6]- Ibid. p 65

بين عشائر المنطقة الواحدة مورست فيها أبشع أنواع الجرائم والفظائع وأصبحت هذه الحروب فيما بعد لا منتهية وذلك لترسخ الأحقاد والضغائن بين العشائر المتقاتلة لكثرة ما بينها من دماء مسفوكة.

لكل هذه فقد طور النورماند نظامهم القضائي الذي أصبح مبنيا على هيئات قضائية محلية وأخرى جهوية وأخرى وطنية، اختار النورماند لهذه الهيئات أناس مشهود لهم بالحكمة والنزاهة، كان المعتدي يجبر على دفع فدية كبيرة للضحية إضافة إلى تعهده بعدم التعرض له مرة أخرى أما في حالات القتل فقد كان المعتدي وعشيرته مجبرين على دفع فدية كبيرة جدا[1] أما في بعض الحالات أين يكون متعذرا على القضاة تحديد من هو الضحية ومن هو المعتدي فكانوا يعتمدون عند إذ على مبدأ العدالة الإلهية حيث يتبارز الخصمان والذي ينتصر يكون في نظر القضاة الضحية أما المهزوم فيعتبرونه المعتدي، سميت هذه المبارزة بالاوردالي Ordalie[2]، أن هذا المبدأ ورغم أنه ظلم الكثيرين إلا أنه بقي صامدا حتى أوائل القرن الثالث عشر أين الغي نتيجة تطور أساليب التحقيق.

من خلال دراستنا لأهم التنظيمات الإدارية والسياسية عند النورماند القدامى نلاحظ أن مجتمع النورماند تمتع بمساحة واسعة من الحرية والاستقلالية في تسيير شؤونه الخاصة، وقد كان لهذه الحرية اثر كبير في تكوين شخصية وعقلية الإنسان الإسكندنافي فجعلته يرفض كل أنواع الخنوع والخضوع كما جعلت منه إنسانا لا يهاب المغامرة والاستكشاف وجعلته إنسانا مبدعا خلاقا وقد ظهرت هذه القدرات حينما تمكن النورماند من تأسيس إمارة حملت اسمهم في فرنسا إذ سرعان ما تخلى رجال الشمال عن عاداتهم السلبية واندمجوا مع السكان الأصليين وبثوا في المنطقة روحا جديدة من النشاط والحيوية وغدت إمارة نورماندي في بضع سنين زهرة المقاطعات الفرنسية، وظهرت كذلك روحهم الخلاقة في انجلترا التي غزوها منتصف القرن الحادي عشر إذ انتقلوا بها من بلاد تمزقها الصراعات والخلافات إلى مملكة متحدة قوية ووضعوا اللبنة الأولى لتطور بريطانيا من جزيرة معزولة إلى مملكة قوية ومؤثرة في أحداث القارة العجوز، صحيح أن النورماند تميزوا بشراسة وهمجية كبيرة في تعاملهم مع أعدائهم وقد ظهرت هذه الهمجية أثناء حملاتهم في أوروبا لكن النورماند وبعد احتكاكهم بالشعوب الأكثر تحضرا تخلوا على الكثير من عاداتهم البربرية لكنهم لم يتخلوا عن صفاتهم الايجابية التي جعلت منهم بعد دالك من أكثر الشعوب تطورا وتقدما.

1- Depping.B: op.cit.p 30

2- Capefigue.B: op.cit. p 65.

المبحث الرابع: دوافع التوسع النورماندي

إن الدوافع التي أدت بالنورماند إلى الخروج من بلدهم الأصلي والاتجاه نحو حياة الغزو يعود إلى عدد كبير من العوامل منها ما هو متعلق بطبيعة بلدهم ومنها ما هو متعلق بظروف وعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية لهذا وجب علي معرفة وتحليل هذه العوامل والظروف.

يصف تاكيتوس بلاد الجرمان والذي يعتبر النورماند فرعا من فروعهم بالأرض الكئيبة التي لا تبعث على السرور فهي بلاد ذات مسالك وعرة ومناخ بالغ القسوة، كما أنها معرضة للرياح الشديدة وهي بلاد مليئة بالغابات والأحراش، كما تكثر بها البرك والمستنقعات ما يجعلها غير صالحة للزراعة، فضلا على ما تميزت به سواحلها من خلجان عميقة كثيرة التعاريج [1]، فلم يدع ذلك للنورماند مجالا رحبا يعيشون فيه سوى رؤوس تلك الخلجان على شريط ساحلي ضيق وكانت قراهم في أقصى الأزقة البحرية حيث الزراعة وتربية الماشية ممكنة في أراضي قليلة الخصب [2].

وقد تظافر عامل نقص الأراضي الصالحة للزراعة مع عامل تزايد عدد السكان ما أدى إلى عدم قدرة الإنتاج الزراعي على تلبية الحاجات الغذائية الأساسية للمجتمع النورماندي القديم، وكان هذا العجز يتحول في المواسم الزراعية السيئة إلى مجاعة مدمرة، حيث تتحدث المصادر الاسكندينافية عن الكثير من قصص المجاعات التي عرفتها بلاد النورماند في القديم فمثلا شهدت مملكة الدنمارك في منتصف الثامن الميلادي مجاعة كبيرة اضطر معها الملك سنيو إلى استخدام كامل الاحتياطات المتوفرة إضافة إلى تقنين الاستهلاك، لكن المجاعة طالت فاضطر الملك إلى الدعوة إلى انعقاد مجلس الشعب Althing الذي اتخذ قراره بإعدام جميع الأشخاص الغير القادرين على حمل السلاح أو على خدمة الأرض ولما تمت مراجعة القرار تقرر إجبارهم على البحث عن أراض جديدة ليعشوا فيها [3].

بالإضافة إلى العامل السابق كان هناك دافع آخر جعل النورماند يتوجهون نحو الغزو والقرصنة وهو ما جبلوا عليه من طمع وجشع وما تميزت به أنفسهم من رغبة جامحة في الحصول على الغنائم والأسلاب، ولما كانوا على علم بما تحتويه قصور وكنائس بلاد الفرنجة من كنوز وتحف وما كانوا يعلمونه أيضا من ازدهار

[1]- Tacite: op.cit. p17 – 23.
[2]- Depping: op.cit. p 23.
[3]- Ibid.p 24.

كبير في بلاد الأندلس فقد قرروا القيام بكل ما في وسعهم للاستيلاء على هذه الثروات [1] ومما يؤكد أن الرغبة في الحصول على الغنائم كانت هي المحرك الأساسي لهذه الحملات البحرية هو أن النورماند كانوا عند استيلائهم على أي مدينة يتجهون مباشرة صوب القصور والكنائس لعلمهم أنها الأماكن التي تتواجد فيها الأموال والكنوز [2]، وقد ظهر هذا بجلاء لما فرغت بلاد الفرنجة من الثروات بعد أن لم يترك النورماند مكانا فيه شيء من الثروة إلا واستولوا عليه وحتى ما كان في يد ملوك الفرنجة من مال فقد أخذوه في شكل جزية دفعها هؤلاء لاتقاء شر ملوك البحار، حيث نجد أن هؤلاء حولوا وجهتهم نحو إيطاليا لما سمعوه عن الثروات الهائلة التي تحويها كنائسها.

وقد دخل الجميع في بلاد النورماند في هذا السباق للاستيلاء على الغنائم فلم يكن ملوك البحار فقط هم المبادرين بالغزو بل حتى الملوك المتوجون دخلوا هذا الميدان وقاموا بتجهيز أساطيل كبيرة بغية الحصول على اكبر كمية من الغنائم، فمثلا امتلك الملك الدنماركي رجنار لودبروك Regnard Lodbrok أسطولا ضخما قام بإرساله للإغارة على سواحل فرنسا والجزر البريطانية، ويمكن أن نعيد ذلك إلى أن الحالة المادية المزرية للملوك النورماند التي لم تختلف كثير عن الحالة المادية لبقية النبلاء، فقد كانت عائداتهم تأتي من مداخيل أراضيهم القليلة والفقيرة والتي لا تقارن مع الثروات التي يمكن أن يجنوها من الغزو [3].

وقد كان لتوقف تجارة النورماند في الدنمارك مع جيرانهم السكسون نتيجة غزو شارلمان لأرض السكسون نهاية القرن الثامن الميلادي دور كبير في زيادة المتاعب الاقتصادية للملوك النورماند وهو ما دفعهم أكثر للاتجاه نحو الإثراء عبر غزو بلاد الفرنجة وبلاد الأندلس.

بالإضافة إلى الدافع الاقتصادي الذي يعتبر الدافع الأساسي لموجة الغزو النورماني، كانت هناك عوامل اجتماعية وسياسية دفعت النورماند للغزو، أما العامل الاجتماعي فتمثل في عادة الاسكندينافيين ولقلة ما يملكونه من أراضي صالحة للزراعة أن يورثوا ملكية الأرض للابن الأكبر في الأسرة وذلك لكي يحافظوا على ارث العائلة لعلمهم أن تقسيم ارض هي أصلا صغيرة هو أمر غير مجدي وتترتب عنه مشاكل أكثر مما يمكن أن ينتج عنه من مكاسب، هذا الوضع أجبر بقية الأبناء على البحث عن مصادر أخرى للعيش و لم يكن هناك حل

[1]- حاطوم: تاريخ العصر الوسيط، ص 290.

[2]- العريني: تاريخ أوروبا، ص 358- 359.

[3]- Depping: op.cit. p 44

أفضل من الدخول في خدمة ملك من ملوك البحار يضمن له مأوى ولو كان على ظهر سفينة إضافة إلى أنه كان يضمن له مدخولا كبيرا من المال لهذا نجد أن ملوك البحار من القراصنة لم يجدوا اي مشكل في تجنيد الإتباع والمقاتلين [1].

كما كانت للتغييرات السياسية الجذرية التي حدثت في الدنمارك والنرويج منذ نهاية القرن التاسع الميلادي دور كبير في اشتداد حركة الغزو والقرصنة التي قام بها النورماند ضد سواحل بلاد الفرنجة وشبه الجزيرة الأيبيرية، فقد شهدت هذه الفترة بداية تشكل الممالك الأوتوقراطية المركزية [2]، والتي حرصت على تطبيق القوانين بصرامة وسعت إلى إخضاع رجال الشمال لسلطة الدولة.

لا يمكن أن نتوقع لتغييرات بهذا العمق أن تمر من دون إحداث مقاومة شديدة من طرف النورماند الذين عرفوا برفضهم للخضوع لأي سلطة مركزية آيا كانت [3]، فقد قاوم النبلاء الدنماركيون بشدة جهود الملك جورم العجوز Gorm le vieux لتوحيد الدنمارك التي وجدت بها أكثر من ستة دويلات [4] وقد كان لنجاح هذا الملك في مسعاه بعد أن تمكن من هزيمة النبلاء هزيمة كاملة نتيجة مدوية تمثلت في ترك المنهزمين لبلادهم وتحولهم لحياة الغزو والقرصنة أملا في الحصول على وطن جديد [5].

ما حدث في الدنمرك تكرر في النرويج على يد الملك هارالد هارفجار Harald Harfager (هارالد ذو الشعر الجميل) حيث قام هذا الملك بمحاربة بقية الزعماء النرويجيين وتمكن من الانتصار عليهم انتصار حاسما في معركة خليج هافرسفيورد عام 872م [6]، وقد كان لهذه المعركة انعكاسات كبيرة إذ أدت إلى هجرة الكثير من النبلاء النرويجيين ولعل أهمهم رولو Rollon أول دوق لنورماندي والذي كان أحد الذين هزموا ورفضوا الخضوع لسلطة الملك هارالد.

[1]- Capefigue: op.cit. p92.

[2]– نعيم فرح: تاريخ أوروبا السياسي، ص153.

[3]- Capefigue: op.cit. p93.

[4]- Geffroy.A: op.cit. p70.

[5]– ديورانت: قصة الحضارة، م 4، ج2 ، ص311.

[6]– نفس المرجع، ص311.

و بالإضافة إلى الدوافع السالفة الذكر، كان هناك عامل أخر لعب دورا مهما في هذه الغارات وهو عامل الدين، إذ أن الديانة الوثنية التي تبناها النورمان[1] جعلتهم شديدي الشغف بحياة الغزو فالجنة التي عرفت عندهم الفالهالا[2] Walhalla كانت حكرا على المقاتلين والمحاربين الشجعان الذين يسقطون في أرض المعارك أين تقوم عدد من الإلهات عرفن بالفالكيري Walkyrie باختيار أشدهم بأسا وثباتا وقوة وأكثرهم شجاعة وتقوم بنقلهم إلى جنة الإله أودن السماوية حيث تخلد أرواحهم ويعيشون في سعادة ونعيم أبدي حيث تقوم إلهات عذراوات بخدمتهم، أما الذين يموتون على أسرتهم فكان ينتظرهم العذاب الأبدي في عالم الموت والبرد الذي تحكمه الإلهة هيلا[3] Héla، ولنا أن نتصور تأثير مثل هذه المعتقدات على شعب غير مثقف مثل المجتمع النورماندي القديم.

إضافة إلى ذلك فقد كانت حكايات الآلهة وبطولاتهم خاصة المتعلقة بالإله ثور[4] Thor تولد عند الرجال النورماند رغبة جامحة في السير على نهجه والاقتداء به وهذا ما سنلاحظه عند التطرق لحملاتهم البحرية ضد سواحل فرنسا وشبه الجزيرة الأيبيرية، من هنا نرى عظمة التأثير الذي أحدثته هذه العقيدة في نفوس متعطشة أصلا للانتقام ومحبة فطريا للحروب والمعارك.

و يرى بعض المؤرخين أنه من بين أهم الأسباب التي دفعت النورماند للغزو هو ذلك الشعور العميق العميق بالحقد والغيرة اتجاه الشعوب التي سكنت أراضي أحسن وأخصب من أراضيهم وتمتعت بمستوى حضاري أعلى وأفضل، وقد ظهر دور هذا العامل النفسي في الكثير من الحملات التي قامت بها الشعوب، البربرية ضد الشعوب الاكثر تحضرا [5].

---

[1]– عبد النورمان القدامى آلهة كثيرة بلغ عدد اثني عشر اله من أهمها الإله أودن كبير الألهة والإلهة فريجا إلهة الأرض والإله ثورThor إله الحرب، انظر:

Geffroy. A: op.cit. p 47 .

[2]– الفالهالا: هو قصر الإله أودين المتواجد في عالم الآلهة في هدا القصر وحسب ما تذكر الايدا يوجد اكثر من خمسمائة باب، أعده الإله الأب للمحاربين والأبطال حيث يأكلون ويشربون أشهى الطعام والشراب وتقوم على خدمتهم حسناوات من الآلهة يسمين بالفالكيري، أنظر:

Ricard S: Précis de la mythologie scandinave.Hagerup libraire.Copenhague.1863.p38.

[3]– الإلهة هيلاHela: هي ابنة الإله لوكي اله الشر كانت تحكم العالم السفلي المسمى بالنفلهيم وهو عالم الموتى، وكانت حسب المعتقدات الاسكندينافية القديمة رفقة أبيها لوكي وأخويها الذئب فنريس والأفعى ميدجار أشد أعداء الآلهة وهم اللذين تسببوا في قتل الإله بالدر وفي نهاية الكون. أنظر:

Capefigue.op.cit. p 46 .

[4]- Mallet P H: op.cit. Fable 11 ،Geffroy A: op.cit. p 45 ،Ricard S: op.cit. p 23.

[5] - وليم لانجر: المرجع السابق. ج 2، ص.467 .

بالإضافة إلى ما سبق يمكن القول أن هناك دوافع نفسية متعلقة بطبيعة وشخصية الرجل النورماندي حيث تميز بحبه للمغامرة والقتال والاستكشاف والتطلع لتحقيق أمجاد عسكربة من خلال غزو البلدان المجاورة، كما حرص النورماند على تلقين أبنائهم أساسيات هذه الشخصية حيث حرصوا على تلقينهم فنون ركوب البحر والسباحة والمصارعة والصيد [1]، وقد كان لهذا التكوين دور مهم في نجاحات النورماند في غزواتهم.

وكان لإدراك النورماند لتفوقهم البحري على الأمم الأخرى دور كبير في دفعهم نحو حياة الغزو البحري فقد كان للبيئة التي عاش فيها النورماند دور كبير في تأهيلهم للنشاط الذي به فيما بعد، إذ أن بلاد النورماند كانت محاطة بالمياه من كل جانب، وكانت إضافة إلى ذلك مليئة بالمستنقعات والبحيرات التي تفصل بين قراهم ومدنهم وهذا من دون ذكر سكان الجزر الذين كانوا مجبرين على ركوب البحر من اجل التواصل والتجارة مع بقية جيرانهم، وان أضفنا إلى ذلك أن صيد السمك الذي كان أحد أهم مصادر الغذاء قد ارتبط ارتباطا وثيقا بضرورة التمرس في فن ركوب البحر، فنجد أن النورماند كانوا بإرادتهم ومن دونها مدفوعين لركوب البحر، وهذا ما جعلهم متفوقين على غيرهم من الشعوب الأوروبية الأخرى التي لم تولي البحر أهمية كبيرة لارتباط اقتصادها بما تنتجه الأرض ولتواصل مدنها وقراها بالطرق البرية [2]، ونجد أن خبرتهم في أمور البحر إضافة إلى براعتهم في أمور الملاحة وبناء السفن قد جعلت منهم امة من أعظم الأمم البحرية في أوروبا العصور الوسطى [3].

ومما زاد من قوة النورماند البحرية تطور السفن التي استعملوها وامتلاكها لميزات لا توجد في سفن أي أسطول أخر، فهي سفن خفيفة سريعة الحركة ولها قدرة فائقة على المناورة والكر والفر، وعرفت هذه السفن بالدراكر Drakkars [4]، وقد تميزت هذه السفن إضافة إلى ما سبق بعدم ارتباطها بالرياح لأنها وان احتوت على شراع يضمن لها طاقة تحركها إلا أنها صممت لاحتمال عدم ملائمة الرياح للحركة وذلك عن طريق تجهيزها بعدد كبير من المجاذيف تتفاوت في عددها من اربعين إلى ثمانين على حسب حجم السفن.

[1]- ديورانت: قصة الحضارة. م 2، ج3، ص314.

[2]- Depping: op cit. p 24

[3]- Stephenson op.cit. p.171

[4]- كان الدراكر آو الكنور أو فرس الأمواج كما لقبه البحارة النورمان يصنع من خشب السنديان أما شراعه فمن الجلد أو صوف الأغنام، انظر الموسوعة العالمية، م9، ص174.

نجد هنا أن إدراك النورماند لقوتهم وتفوقهم البحري على بقية الشعوب المجاورة لهم يضاف إليه قضاء الإمبراطور شارلمان على القوة البحرية للشعب الوحيد المنافس لهم والمتمثل في الشعب الفريزي الذي سكن البلاد المنخفضة قد ساهم في تشجيهم على بد حملاتهم البحرية ضد بلاد الفرنجة [1].

بالإضافة إلى العوامل والظروف التي عاش فيها النورماند والتي ساهمت في اندفاعهم نحو حياة الغزو والقرصنة نجد أن هناك عوامل خارجية دفعتهم وشجعتهم على الغزو.

من أهم هذه العوامل الحملات التي قام بها ملوك الفرنجة خاصة بيبين القصير[2] Pépin le bref وشارلمان من اجل إخضاع قبائل السكسون الوثنية[3] ومحاولتهم إجبارهم على اعتناق الديانة النصرانية مما اضطر أحد القادة السكسون والذي عرف باسم ويدوكيند Witikind إلى الالتجاء إلى أحد ملوك الدنمارك المسمى سيجفريد Siegfried، وقد أثارت القصص التي نقلها هذا اللاجئ والتي وصف فيها بشاعة الاضطهاد الذي تعرض له قومه من طرف الفرنجة مشاعر القلق والريبة من طرف النورماند كما أثارت فيهم شعورا بالحقد والرغبة في الانتقام من هذا العدو المتغطرس [4].

ومما زاد من غضب النورماند اتجاه الفرنجة هو إعطائهم لأراضي السكسون المصادرة إلى قبائل الابودريت السلافية [5] والتي تعتبر العدو التقليدي لهم.

لقد كان لهذا التصرف من طرف الكارولنجيين بإعطاء أراضي اعتبر النورماند أنها من حقهم إلى عدو لدود رد فعل سريع وقوي وذلك بان قام الدانيون بهجوم كاسح على حلفاء الفرنجة الابودريت وانزلوا بهم

[1]- Depping.B: Op.cit. p 30

[2]- الشيخ: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص 279.

[3]- السكسون: هم مجموعة القبائل الجرمانية التي كانت تتوغل فيما وراء الراين وكانت الحدود بينهم وبين الفرنجة تكسوها الغابات الواسعة والأحراش والسلاسل الجبلية مما جعل الحرب التي خاضها شارلمان طويلة حيث دامت أكثر من ثلاثين سنة من 772م حتى 804 م ولكنها لم تكن مستمرة إنما كانت تتجدد بين فترة وأخرى بالإضافة إلى ذلك فقد كان لتمسك السكسون باستقلالهم وعقائدهم الوثنية دور في اندلاع تلك الحروب أنظر:

Depping. B: op.cit.p 63 .

[4]- Depping: op cit. p 64.

[5]- الاوبودريت: هم شعب سلافي عاش على ضفاف نهر الألب وكانت لهم حروب عديدة مع النورمان.

هزيمة قاسية مما أدى إلى نشوب الحرب بين القوتين الكبيرتين واعلن عن بدء الغارات البحرية النورمانية ضد الفرنجة [1].

إضافة للعوامل السابقة وجدت هناك ظروف داخل الدولة الكارولنجية شجعت النورماند على توسيع حملاتهم والقيام بها من دون خوف ولا وجل واهم هذه الظروف على الإطلاق هو الضعف الكبير الذي أصاب الإمبراطورية الكارولنجية منذ وفاة الإمبراطور شارلمان عام 814 م، فقد كان خليفته لويس التقي Louis le pieux أقل كفاءة وأقل اهتماما بأمور الدولة وأدت سياسته وسياسة خلفاءه إلى تفكك وحدة الإمبراطورية ودخولها في حالة مزرية من الحروب الأهلية التي لم تبق و لم تذر.

ويمكن في الأخير أن نقول أن موجة الغزو النورماندي كانت نتيجة طبيعية لتظافر الظروف والعوامل التي سبق ذكرها ويمكن اعتبارها امتدادا لموجة الغزو الجرماني التي وقعت قبل ذلك بأربعة قرون.

[1]- Depping.B: op cit p 66.

الفصل الثاني:

التوسع النورماندي في فرنسا 800 -911 م

المبحث الأول: مرحلة الغارات الاستكشافية 800-840 م .

المبحث الثاني: مرحلة اشتداد الغارات وتوسعها 840-877 م.

المبحث الثالث: مرحلة الاستقرار وتأسيس دوقية نورماندي877-911م.

المبحث الرابع: التمازج الحضاري بين النورماند والفرنجة.

المبحث الأول: مرحلة الغارات الاستكشافية 800– 840 م

كانت بلاد الفرنجة[1] من أكثر البلاد التي تعرضت لموجة الغزو النورماني، وبحسب المصادر التاريخية فقد بدأت إرهاصات هذا الغزو منذ بداية القرن السادس الميلادي أين قام قرصان دنمركي عرف باسم جويثلاك Guithlac، بالإغارة على سواحل مملكة أستراسيا[2] وانتهت هذه الحملة بتعرض النورماند لهزيمة ساحقة على يد رجال الملك ثيودوريك الذين تمكنوا من قتل جويثلاك ورجاله وتمكنوا من استرجاع الأموال والمواشي المسلوبة[3].

لقد كان لهذه الهزيمة أثر كبير في نفوس النورمان، إذ أن خوفهم من التعرض لهزيمة جديدة جعلهم يحجمون عن القيام بأي حملة جديدة ضد بلاد الفرنجة لأكثر من قرنين من الزمن، فقد فضل النورماند أن يغيروا على الجزر البريطانية وجزر بحر البلطيق لغياب مقاومة قوية بها، كما لم يحاول الميروفنجيون من جانبهم إثارة النورماند أو الدخول معهم في صراعات، لكن هذا الوضع تغير منذ وصول شارلمان إلى سدة الحكم فقد اشتهر هذا القائد العظيم بطموحه الشديد لإحياء الإمبراطورية في الجزء الغربي من العالم العالم الروماني القديم، كما تميز بامتلاكه لرغبة جامحة في نشر المسيحية بين الشعوب الوثنية المجاورة ولتحقيق هذا الهدف قام شارلمان بخمسين حملة عسكرية ضد السكسون واللومبارديين والأفار[4]، لكن وبالرغم من حملاته الكثيرة فقد كانت حربه ضد السكسون أشهر حروبه على الإطلاق فبالإضافة لطول مدتها وكثرة الضحايا الذين سقطوا إبانها فقد كانت لها نتائج عظيمة سواءً بالنسبة له ولشعبه أو بالنسبة للسكسون وجيرانهم النورمان.

---

[1] الفرنجة: شعب جرماني استقر في مرحلة غارات الجرمان في شمال وغرب غالة، ومن هذا الشعب ظهرت السلالتين الميروفنجية والكارولنجية، وفي القرن الحادي عشر الميلادي أطلق على البلاد التي حكمتها هاتين السلالتين مملكة الفرنجة.

[2] مملكة استراسيا Austrasie : هي مملكة فرنجية نشأت سنة 511 م بعد تقسيم مملكة كلوفيس وقد ضمت هذه المملكة المناطق الشرقية لمملكة الفرنجة وكانت عاصمتها مدينة ميتز الحالية، وتميزت هذه المملكة بغناها ما سمح لأمرائها أن يكونوا اقوي ملوك الفرنجة، أنظر:
Adrian P: Histoire de l’armée et de tous les régiments. Paris 1860. p 66.

[3] Adrian. P: Op.cit. p 43.

[4] Depping.B: op cit.p 62.

واجه السكسون الغزو الفرنجي بثبات وهمة عالية، وظهر القائد السكسوني فيدوكيند كبطل قومي مدافع عن حرمة هذا الشعب، ولكن ورغم كل ما بذله السكسون فإنهم وبسبب فارق القوة من حيث العدة والعدد فقد تعرضوا للهزيمة المرة تلو الأخرى واضطر فيدوكيند للالتجاء للملك سيجفريد ملك جتلاند [1].

نقل فيدوكيند لجيرانه النورماند أخبار التنصير القسري الذي تعرض له قومه، إضافة إلى ما تعرضت له تماثيل الآلهة من تخريب وتدمير[2]، وقد أثارت هذه الأخبار قلق ومخاوف النورماند من احتمال أن يصبحوا الهدف التالي للفرنجة خاصة وأنهم أصبحوا الحاضن الأساسي للمقاومة السكسونية، كما أثارت فيهم شعورا عميقا بالحقد والغضب من هذا العدو المتكبر، في ظل هذه الظروف والتحديات قرر النورماند أن يبدؤوا بالهجوم، ففي عام 800 م وبأمر من جودفريد Godfroi ملك جتلاند قام النورماند بالإغارة على فريزيا وعلى المناطق الواقعة عند مصب نهر الالبه Elbe[3]، ولدى وصول أنباء هذه الغارة إلى الإمبراطور في اكس – لاشابيل Aix la chapelle[4] قرر التوجه من فوره لتفقد الساحل وذلك لردع النورماند من جهة ولإعطاء أوامره بتعزيز التحصينات الموجودة وبناء تحصينات جديدة وذلك لإدراكه مدى الخطورة التي يمثلها النورماند خاصة وأنهم يتمتعون بتفوق واضح في البحر.

وعلى الرغم من وجود شارلمان فقد واصل النورماند حملتهم حيث أغاروا على إقليم أكيتانيا[5] أين تسببوا في دمار وخراب كبير في هذا الإقليم، وتذكر المصادر التاريخية أن شارلمان أثناء هذه الجولة التفقدية

---

[1]- كانت بلاد الدانيين في أواخر القرن الثامن الميلادي تتكون من ثلاثة أقسام، القسم الأول تمثل في شبه جزيرة جتلاند التي تملك حدودا مع ألمانيا، القسم الثاني تمثل في جزر سيلاند، لالاند وفيوني، القسم الثالث تمثل في مقاطعة سكانيا التي تعتبر حاليا جزءا من أراضي مملكة السويد. انظر محمد احمد أبو الفضل. دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص94.

[2]- قام الفرنجة بهدم تمثال الإله ارمنسول Erminsul أعظم آلهة السكسون أثناء حملة شارلمان الكبرى سنة 771 م، أنظر:

Guizot.F: collection des mémoires relatives à l'histoire de France. Paris. p53.

[3]- نهر الألبه هو ثاني نهر في ألمانيا ويبلغ طوله 1176 كلم، وينبع من سلسلة الجبال البوهيمية، ويصب في بحر الشمال قرب مدينة كوكس هافن، وأهم المدن التي تقع على هذا النهر هي هامبورج ودريسدن. أنظر:

Moore.W.G: The penguin encyclopedia of places.Great Britain.1978.P56.

[4]- اكس لاشابيل هي مدينة أخن في ألمانيا الاتحادية حاليا وهي تقع على بعد 64كلم جنوب غرب مدينة كولن على الحدود الألمانية البلجيكية، ويبدو أن المشاريع التوسعية التي قام بها شارلمان في المناطق الشرقية حتمت عليه نقل عاصمته من باريس إلى اكس لاشابيل. أنظر:

Moore.W: op.cit.p.9.

[5]- اكيتانيا هي مقاطعة تقع في الجنوب الغربي من فرنسا، وتقع بين نهر اللوار شمالا والجارون جنوبا والرون شرقا وخليج بسكاي غربا وكان الرومان قد اخضعوا هذه المقاطعة سنة 56 ق م، واستولى عليها القوط الغربيون سنة 418 م، وانتزعها منهم كلوفيس سنة 507 م، وأصبحت دوقية مستقلة في القرن السابع الميلادي، من أهم مدنها نجد بوردو، تولوز، وبواتييه، أنظر :

Moore.op.cit. p 44.

شاهد بنفسه سفن النورمان، وتوقع أن يتسبب هؤلاء البرابرة في متاعب كبيرة لأبنائه وأحفاده، حيث قال: "لقد تأثرت لذلك كثيرا، وإنني اشعر بالحزن والآسف عندما انظر للأمام، وأرى كم من الضرر سيلحقه هؤلاء بذريتي وخلفائي وشعوبهم" [1].

قرر الإمبراطور أن يرد بحزم على هذا العدوان، فأصدر لابنه شارل الأمر بالإغارة على جنوب جتلاند[2] إضافة إلى ذلك آمر بإنشاء حصن على نهر الالبه لمراقبة تحركات النورماند [3]، و لم تكن هذه الإجراءات إلا جزءا من الخطة الشاملة التي اعتمدها شارلمان للانتقام من النورماند وعزلهم، فقد أمر بنقل السكسون حلفاء النورماند من موطنهم الأصلي في الأراضي الواقعة بين الراين[4]Rhin والالبه، إلى أراضي الفرنجة في اكيتانيا واوستراسيا وأحل مكانهم حلفاءه من قبائل الاوبودريت[5] هذا الإجراء الذي قام به شارلمان زاد الأمور تعقيدا، إذ زاد من تصميم النورماند على محاربة الفرنجة وحلفائهم، فبحلول سنة 808 م قام الملك الدنمركي جوفريد وبالتحالف مع قبائل الويلتز بهجوم كبير ضد تجمعات الابودريت المتمركزة على ضفاف الالبه وتمكن من هزيمتها هزيمة كاملة.

أيقن شارلمان بعد هذا الهجوم أنه أمام عدو قوي يعتمد على طريقة مختلفة في الهجوم فهو وبفضل تفوقه البحري قادر على القيام بهجمات قوية خاطفة ثم ينسحب بنفس السرعة التي هاجم بها، وكان لاحتواء أراضي الإمبراطورية على عدد كبير من الأنهار القابلة للملاحة طوال السنة مثل الراين والألب والويزر دور كبير في تسهيل مهمتهم، فقرر شارلمان بناء أسطول دائم قاعدته مدينة بولونيا على ساحل بحر المانش، يناط به حماية السواحل الغربية للإمبراطورية [6]، كما أرسل جيشا بقيادة ابنه شارل للإغارة على مملكة جودفريد وأمره بتدمير جميع القرى النورماندية الواقعة على حدود الإمبراطورية بغية إقامة منطقة عازلة تفرق بين المملكتين.

---

[1]- محمد مرسي الشيخ: المرجع السابق. ص 28.

[2]- شارل هو اكبر أبناء الإمبراطور وكان والده قد منحه لقب ملك نوسترية الغربية سنة 795 م، كان يعتبر وريث العرش الإمبراطوري، لكنه توفي في حياة أبيه سنة 811م.

[3]- Depping.B: op.cit. p 68

[4]- ينبع الراين من جبال الألب ويجري نحو الشمال الغربي، ويصب في بحر الشمال يبلغ طوله 1378 كلم ويرتبط. بقنوات مع نهر الدانوب، ويعتبر من أهم طرق الملاحة البحرية في أوروبا الغربية. أنظر:

Moore. op.cit. p 652

[5]- Frantin.F: Louis le Pieux et son siècle. Paris. 1839. Tome 2.p 220.

[6]- Adrian.Pascal: op.cit. p 76.

لكن وبالرغم من كل الحملات التي قام بها شارلمان لردع جودفريد إلا أن هذا الأخير لم يتوانى عن القيام بغارة جديدة، ففي سنة 810م وبناء على أوامره هاجم فريزيا أسطول دانماركي مكون من مئتي سفينة مشحونة بالجنود، فاستباحوا شواطئ فريزيا طولا وعرضا، ولم يغادروا إلا بعد أن حصلوا على إتاوة من السكان[1]، وأعلن الملك الدنماركي الذي بقي في بلاده أثناء هذه الإحداث بأن جيشه سيشق طريقه إلى عاصمة الإمبراطورية اكس لاشابيل Aix la chapelle وسيدخلها عنوة [2]، الأمر الذي استشاط له شارلمان غيظا، فتوجه على رأس جيش ضخم إلى فردان وهناك سرعان ما تلقى أخبارا تشير إلى مقتل جودفريد على يد حراسه[3].

سارع خليفة جودفريد المدعو هيمنج Hemming الذي عرف بميله للسلم إلى طلب الهدنة، ثم قام في السنة الموالية أي سنة 811م بإرسال مبعوثيه لملاقاة سفراء الإمبراطور من اجل الاتفاق على ترسيم حدود ثابتة بين الدولتين وهو ما تم فعلا إذ تم الاتفاق على اعتبار وادي الايدر[4] Eider في الحد الفاصل بين المملكتين [5].

ولكي يضمن الإمبراطور أمن المناطق القريبة من أرض العدو قام بترميم حصن قديم واقع على الحدود يدعى هوهبوكي Hohbuoki وقام بشحنة بالرجال والعدة اللازمة، كما قام بزيارة إلى مرفأ مدينة غنت الواقعة على نهر الاسكو [6] Escaut حيث تفقد دار صناعة السفن بها، عرج بعدها على مدينة بولونيا قاعدة الأسطول البحري وحث الصناع على الإسراع في تجهيز الأسطول بالسفن اللازمة[7]، ثم قفل راجعا إلى عاصمته اكس لاشابيل وهو مطمأن البال.

---

[1]- اينهارد: سيرة شارلمان. ص94

[2]- Frantin.F: op.cit. p 221.

[3]- Depping.B: op cit. p 77.

[4]- ينبع نهر الايدر من ضواحي مدينة كيل الألمانية، ويعبر ولاية هولتشتاين – شلزويج قبل أن يصب في بحر الشمال يبلغ طول هذا النهر 188كلم. أنظر:

Ibid.p 71.

[5]- Guizot.F: op.cit.p 106

[6]- ينبع نهر الاسكو من شمال فرنسا ويمر على مدينتي فالنسيان وكامبري قبل أن يواصل مساره داخل الأرضي البلجيكية أين يعبر مدن تورناي وغنت، وصولا إلى محطته الأخيرة في بحر الشمال عند مدينة أنفرزAnvers . أنظر:

Le petit larousse. Paris. Edition 2005.p 1344.

[7]- بدأت عملية ترميم قاعدة بولونيا البحرية منذ سنة 807 م بأوامر من الإمبراطور شارلمان، وفي العام الموالي بدأت في إنتاج أولى السفن الحربية للأسطول الإمبراطوري وقد ساهمت هذه القاعدة بشكل كبير في الارتقاء بأداء الأسطول سواءا في الحروب ضد النورمان في السواحل الغربية أو ضد المسلمين والبيزنطيين في البحر المتوسط خلال عهدي شارلمان ولويس التقي. أنظر:

وعلى الرغم من وفاة الملك هيمنج سنة 812 م إلا أن خليفته هارولد كلاك حافظ على سياسة الصلح والمهادنة مع الإمبراطورية وقام بإرسال سفارة إلى اكس لاشابيل سنة 813 م لتأكيد المعاهدة السابقة وهو ما تم فعلا إذ اتفق الطرفان على المحافظة على الحدود المتوافق عليها[1].

ليأتي العام التالي ويشهد وفاة الإمبراطور شارلمان ذلك القائد الفذ الذي يعتبر ابرز شخصية في العصور الوسطى في أوروبا الغربية، والذي سمحت تدابيره الحكيمة من خلال إنشاء التحصينات والمرافئ على طول السواحل وكذا على طول ضفاف الأنهار وكذلك من خلال بناء أسطول بحري دائم مكلف بالدفاع عن السواحل البحرية سمحت كل هذه التدابير في الحد من الخطر النورماندي طيلة عهده وحتى عهد ابنه وخليفته لويس الأول التقي.

ورث لويس الأول التقي إمبراطورية قوية مرهوبة الجانب، فبفضل التدابير والإجراءات التي أمر بها والده العظيم أضحت الإمبراطورية مهابة ومنيعة على الغزاة، وأصبح واجبا على أي عدو أن يفكر ألف مرة قبل أن يتجرأ على التعرض لأراضيها أو رعاياها، لكن هذا الإمبراطور المتدين كان على العكس من والده فاتر الهمة عديم الكفاءة في تسييره لشؤون الحكم، وعلى الرغم من النصائح التي أعطاها له والده خاصة المتعلقة بضرورة الاهتمام بتعزيز المراكز الدفاعية الواقعة عند السواحل وضرورة تقوية الأسطولإلا أن الإمبراطور الشاب ألقاها جانبا بمجرد تسلمه لمقاليد الأمور [2].

اعترضت لويس التقي في عامه الأول في الحكم مشكلة متعلقة بجيرانه النورماند تمثلت في لجوء الملك هارولد كلاك الذي تم خلعه من طرف أولاد الملك جودفريد السابق الذكر إلى البلاط الإمبراطوري طلبا للعون والنصرة من أجل استعادة عرشه[3] و لم يجد الإمبراطور القليل الخبرة بداً من الاستجابة لاستغاثة المخلوع، فقام سنة 815م بإرسال جيش مكون في أغلبه من الابودريت إلى الدنمرك لإعادة هارولد إلى عرشه، لكن هذا الجيش قوبل بمقاومة شرسة من طرف أبناء جودفريد مما اضطره للتراجع[4].

Adrian.p: op.cit.p 77.

1- Depping.B: op.cit. p 69

2- Ibid.p71.

3- Guizot. F: op cit.p 113.

4- Depping.B: opcit.p 72.

بمرور الوقت أصبح وجود هاورلد في البلاط الإمبراطوري مصدرا للتوتر مع النورمان، مما اضطر الفرنجة إلى تكثيف جهودهم للتخلص منه، وأرسل الإمبراطور مبعوثيه إلى جتلاند من اجل إيجاد حلول وسط ترضي جميع الأطراف، وفعلا كُللت جهود الفرنجة بالنجاح بعد موافقة أبناء جودفريد على تقاسم السلطة هارولد وذلك في عام 819م[1]، لم تكن موافقة أبناء جودفريد على تقاسم السلطة مع هارولد إلا بسبب خشيتهم من سطوة الإمبراطور الذي اعتقدوا أنه مماثل لوالده في القوة والبطش، وبفعل هذه الهيبة نجد أن النورماند لم يتجرؤوا على المساس بأمن الإمبراطورية في السنين الأولى من حكم لويس التقي.

لكن الوضع بدأ يتغير بفعل السياسة العرجاء التي تبناها الإمبراطور والتي أدت إلى عودة الصراع وأدت كذلك إلى تغيير ميزان القوى في غير صالح الفرنجة.

فعلى الصعيد الداخلي أدت سياسة لويس وقراراته المزاجية إلى كسر وحدة البيت الحاكم، وما تنكيله بابن أخيه برنارد ملك ايطاليا إلا مثال على هذه السياسة[2]، أما على صعيد تعامله مع النورماند فقد تبنى سياسة مبنية على مسارين، المسار الأول تمثل في محاولة تنصير النورماند وذلك بدعمه ورعايته للبعثات التبشيرية إلى الدنمارك والسويد [3] ، أما المسار الثاني فتمثل في إصراره على دعم حليفه هارولد في صراعه مع أبناء جودفريد، وقد كان لهذه السياسة نتائج وخيمة على العلاقة مع النورمان، ذلك أن بعثة القديس انسكار Anschaire إلى الدنمارك قوبلت برفض كبير، إذ وجد فيها النورماند تدخلا سافرا في شؤونهم الداخلية وهو ما ترجم بطردهم لانسكار ومن معه، أما دعمه لهارولد الذي كان فاقدا لأي شعبية بين قومه فقد ساهم في تفجير الأوضاع بين النورماند والفرنجة.

ففي سنة 826 م وسعيا منه للمحافظة على دعم الإمبراطور أعلن هارولد الذي كان مرفوقا بزوجته وأولاده وعدد من أتباعه اعتناقه للديانة المسيحية، وتم تعميده على يد الإمبراطور في قصر انجلهيم الإمبراطوري[4]، في حفل كبير حضره الأمراء والوزراء ورجالات الحاشية [5]، لقد كان لهذا الحدث الذي ظن

---

[1]- Guizot. B: op cit. p 122.

[2]- برنارد كان الابن الوحيد لبيبين بن شارلمان، وبعد وفاة والده سنة 810 م قام جده بتعيينه خلفا لأبيه ملكا لايطاليا، ولكن عند اعتلاء لويس التقي للعرش قام باضطهاد برنارد حتى أنه أمر بسمل عينيه مما أدى لوفاته سنة817 م. انظر اينهارد، سيرة شارلمان. ص123.

[3]- Depping.B: op.cit.p 75.

[4]- شيد قصر انجلهيم عام 798 م وهو بناء شاسع مترامي الأطراف بحيث يتسع لجميع رجال البلاط، وقد بني على طراز قصور رافينا بايطاليا، وتوجد أطلال هذا القصر بالقرب من مدينة ماينتس الألمانية الحالية.

[5]- Guizot.F: opcit.p 147.

الإمبراطور أنه دليل على نجاح مسعاه في نشر المسيحية بين النورماند اثر كارثي على العلاقة بينه وبين الاسكندينافيين.

فقد ووجه هارولد فور عودته إلى الدنمارك بموجة عداء ورفض شديدين، وقامت ضده ثورة انتهت بخلعه وطرده سنة 827م[1]، وهنا وجد الإمبراطور نفسه مجبرا على دعمه.

حيث قام بإرسال قوة عسكرية كبيرة بغرض إعادة هارولد إلى عرشه، وتحت ضغط هذه الحملة قبل أبناء حودفريد بالدخول في مفاوضات مع هارولد[2]، لكن تصرفات هذا الأخير أثناء سير المفاوضات جعلت النورماند يهاجمون معسكر هارولد وحلفائه الفرنجة على ضفاف الايدر ويلحقون بهم هزيمة مدوية وتذكر المصادر التاريخية أن هذه الموقعة حدثت في شهر سبتمبر سنة 828م[3]

لقد جاءت هذه الهزيمة لتظهر للنورماند زيف القوة التي يدعيها الفرنجة، وأسقطت عنهم حاجز الخوف والرهبة من صولة الإمبراطورية، لتأتي أحداث عام 829 والتي عرفت بدء الحرب الأهلية بين لويس التقي وأبناءه لوثير، لويس، ييبن [4] وتقضي على ما تبقى من هيبة للإمبراطورية في أعين النورمان.

وهكذا ومع حلول صيف سنة830م أغار أسطول نورماندي على جزيرة نوارموتييه[5] Iles de Noirmoutier عند مصب نهر اللوار[6] Loire، حيث قاموا بنهب دبر القديس فيليب الشهير الذي أسسه شارلمان[7]، ثم اتجهوا صوب جزيرة ري[8] Iles de Ré المجاورة وقاموا بنهب كنائسها وأديرتها الغنية، ولما ملئوا

1- Guizot.F: op.cit.p151 ،Depping.B: op.cit.p75.

2- Frantin.F: op.cit. p 260.

3- بدأت الحرب بين الإمبراطور وأولاده بعد أن قرر إعادة تقسيم الإمبراطورية وإدخال ابنه الأصغر من زوجته الثانية في التقسيم الجديد، وهو ما رفضه أولاده الثلاثة الأكبر سنا وقد أدت هذه الحرب إلى إضعاف الإمبراطورية وتقسيمها فيما بعد. انظر عاشور: المرجع السابق. ص171.

4- Guizot. F: op.cit. p 153.

5- نوارموتييه هي جزيرة فرنسية تقع في المحيط الأطلنطي غير بعيد عن مصب نهر اللوار، ونظرا لغناها وطيب مناخها فقد استقطبت الكثير من سكان المناطق المجاورة. أنظر:

petit Larousse: op.cit.p1599

6- ينبع نهر اللوار من الكتلة المركزية في فرنسا، ثم يتجه نحو الشمال ثم الشمال الغربي مارا بمدن اورليان وتور، وهو أطول نهر في فرنسا، ويصب في خليج بسكاي. أنظر:

Moore: op.cit. p 446

7- Depping. B: op.cit.p 76

8- ري هي جزيرة فرنسية تقع في المحيط الأطلسي تبلغ مساحتها 80 كلم مربع.أنظر:

Petit Larousse. P.1671.

سفنهم وأحسوا بقرب حلول فصل الشتاء قفلوا عائدين إلى بلدهم كل هذا وسط تخاذل إفرنجي لم يسبق له مثيل.

و نتيجة للحرب الأهلية التي كانت تعاني منها الإمبراطورية بسبب التزاع الذي وقع بين الإمبراطور وأبنائه من زوجته الأولى حول التقسيم الجديد الذي وضعه سنة 829م فإن ردة فعل الفرنجة اتجاه غارات النورماند كانت ضعيفة وهو ما شجعهم على الاستمرار بل والتمادي، حيث تعرضت جزيرة نوارموتييه في السنوات الأربع التي تلت غارتهم الأولى لهجمات دورية كل صيف[1]، وحتى المحاولة الوحيدة التي قام بها الفرنجة في سبتمبر من عام835 م بقيادة الكونت رينوا Renaud، من اجل طرد النورماند لم يكتب لها النجاح[2].

و لم يكتفي النورماند بالإغارة على الجزر الصغيرة بل اتسعت أطماعهم لتشمل المدن الكبرى ففي 837م هاجم النورماند إقليم الفلاندر Flandre الغني شمال الإمبراطورية حيث نهبوا مدينة أنفرز Anvers و لم يخرجوا منها إلا بعد أن نهبوا كل ثرواتها وغدت هذه المدينة التي اشتهرت بأسواقها وتجارتها الواسعة مجرد مدينة للأشباح[3].

وقبل ذلك وفي عام834 م قام النورماند بنهب أهم ميناء تجاري كارولنجي على بحر الشمال وهو ميناء دورشتد Dorestad واحتوت هذه المدينة الذي كانت ملكية شخصية للإمبراطور شارلمان على دار للسكة حيث طبعت فيه مختلف أنواع النقود الكارولنجية [4]، كما احتوت على العديد من الكنائس ما جعل منها مكانا مقصودا من طرف الكثير من المتدينين، هذه العوامل بالإضافة إلى كون المدينة أصبحت آنذاك تحت إدارة هارولد كلاك الملك المخلوع [5]، جعلت من المدينة هدفا رئيسيا لغزوات النورماند ومنذ ذلك الحين أضحت المدينة تتعرض سنويا للنهب فقد تعرضت في كل من أعوام 835 -836 -837 م، إلى غارات متصلة جعلت من تلك المدينة المزدهرة تتراجع شيئا فشيئا إلى أن زالت نهائيا.

1- Depping. B: op.cit. p 77.
2- Frantin.F: opcit. p 642.
3- Depping. B: op.cit. p 76 .
4- Frantin. F: op.cit. p560.
5- Depping.B: op.cit.p80.

أمام هذه الاعتداءات المتتالية قرر الإمبراطور سنة 836 م إرسال سفارة إلى الملك هوريك بن جودفريد يبلغه فيها احتجاجاته وتحذيراته من أن أي اعتداء جديد لن يمر دون عقاب[1]، ورد هوريك بإرسال سفارة إلى اكس لاشابيل، لكنها تعرضت للإبادة من طرف بعض الفرنجة الحانقين على النورماند وأعاد هوريك إرسال سفارة ثانية يدعي فيها أنه غير مسئول عن الغارات السابقة وأنها من فعل عدد من القراصنة الذين يعملون لحسابهم الخاص، ولإدراك النورماند حجم الاضطراب الذين تعانيه الإمبراطورية فقد أيقنوا أن تهديدات لويس التقي ما هي إلا محض أقوال غير قابلة للتطبيق لهذا فقد واصلوا غاراتهم ففي سنة 837 م أغار النورماند على جزيرة والشرن Walcheren الواقعة عند مصب نهر الراين، وقاموا بنهب وحرق قراها وبلداتها، ثم دخلوا نهر الراين واتجهوا صوب مدينة دورشتد حيث أكملوا نهب ما لم تصل إليه أيديهم بعد.[2]

أمام هذه الاعتداءات الجديدة قرر الإمبراطور التوجه صوب مدينة نيموجن Nimègue في إقليم فريزيا وذلك لإخافة النورماند وإجبارهم على الانسحاب وهو ما حدث إذ ومع إحساسهم باقتراب جيوشه قاموا بجمع غنائمهم وعادوا إلى بلدهم.

وفور وصوله إلى نيموجن عقد لويس التقي اجتماعا مع الكونتات المكلفين بحماية السواحل وأمرهم بتعزيز الدفاعات الموروثة عن عهد والده، كما أمر بتعزيز عدد سفن الأسطول[3].

وفي العام الموالي أي عام 838 م امضي الإمبراطور الصيف في نيموجن بغية حماية أقاليم الدولة الشمالية من الغزو، وهناك استقبل الإمبراطور سفارة من هوريك يعرض فيها السلام في مقابل انسحاب الفرنجة من فريزيا وإجلاء قبائل الابودريت من الأراضي التي سلمها لهم شارلمان.

وجد لويس في عرض هوريك تطاولا على الإمبراطورية وقرر الامتناع عن الرد عليه، لكن ورغم جرأة النورماند المتزايدة لم يستطع الإمبراطور أن يرد عليهم بسبب انشغاله بصراعاته الداخلية المزمنة مع أولاده[4].

وفي سنة 839م وصلت إلى اكس لاشابيل سفارة جديدة من هوريك يطلب فيها عقد معاهدة سلام مع الإمبراطور وفق الشروط التي اتفق عليها في المعاهدات السابقة، وهو ما وافق عليه لويس التقي لكن وحتى قبل

1- Depping.B: opcit.p78.
2- Frantin.F: opcit. p 643.
3- Oman: opcit.p 400.
4- Depping. B: op.cit.p 79

أن يجف الحبر الذي كتبت به الاتفاقية فإذ بأخبار غارة جديدة تصل إلى العاصمة حيث هاجم النورماند جزيرة ولشرن وقاموا بأبشع أعمال النهب والتدمير لكل ما وقعت عليه أيديهم فلم يتركوا كنيسة ولا ديرا ولا قصرا إلا وقاموا بنهبه ثم حرقه، وحتى الأشياء الحقيرة التي امتلاكها الفقراء لم تسلم من جشعهم وطمعهم وهكذا لم يترك النورماند الجزيرة إلا بعد أن أحالوها إلى ارض منكوبة [1] ورغم هول هذه الأحداث فإن الإمبراطور لم يحرك ساكنا، وذلك لانشغاله بحلقة جديدة من حلقات مسلسل صراعه مع أولاده، فقد كان آنذاك في حرب مع ابنه لويس الملقب بالجرماني، وهكذا أصبحت الإمبراطورية العظيمة التي بناها شارلمان رهينة صراعات داخلية ما جعلها تفقد سمعتها ووضعها كقوة مهيمنة بين الأمم، وأصبحت بسبب غياب الردع فريسة سهل لكل طامع ومغتصب، ليأتي العام التالي ويشهد موت الإمبراطور لويس التقي ويشهد نهاية عهد ملئ بالاضطرابات والفتن، فقد تسببت القرارات الغير الحكيمة التي تبناها هذا العاهل في تدمير كل انجازات والده، وامتدت تبعات هذه القرارات حتى بعد وفاته، حيث لم براعي هذا الإمبراطور المصلحة العليا للدولة وراح تحت تأثير زوجته الثانية يفضل ابنه الأصغر شارل على حساب بقية أبناءه ما أدى إلى وقوع حرب أهلية أتت على الأخضر واليابس وهوت بهيبة العاهل والدولة إلى أسفل سافلين، كما فتحت شهية الطامعين على مصرعيها.

[1]- Frantin: op.cit.p 676.

المبحث الثاني: مرحلة اشتداد الغارات وتوسعها 840-877م

تعتبر الفترة التي أعقبت وفاة الإمبراطور لويس الأول التقي من أحلك فترات تاريخ الفرنجة، فما أن انتهت مراسيم دفن الملك الراحل حتى عادت الحرب الأهلية بين أبنائه لتطل برأسها من جديد حيث تحالف لوثير الأول مع ابن أخيه بيبين Pépin ضد أخويه لويس الجرماني وشارل الثاني الأصلع، أين التقى الفريقان في معركة فونتونوي الدموية[1] la bataille de Fontenoy التي أتت على خيرة صفوة المقاتلين والمحاربين الفرنجة، والتي أعقبها اتفاق الإخوة الأعداء في شهر أوت من عام 843 م على اقتسام إمبراطورية شارلمان في إطار ما يعرف تاريخيا بمعاهدة فردان [2] traité de Verdun.

وفي الوقت التي كان فيه أحفاد شارلمان يحشدون الجيوش لقتال بعضهم البعض استغل النورماند خلوا السواحل من الحاميات المكلفة بحمايتها وقاموا في آوت841 م بأول غارة على حوض نهر السين[3].

حيث قام أسطول نورماندي يقوده أحد النبلاء الاسكندينافيين عرفته المصادر التاريخية ب اوجريك Ogeric بدخول مصب نهر السين، ليصل في 14 آوت إلى مدينة روان [4] Rouen، أين قام أجريك ورجاله بأبشع أعمال القتل والنهب والحرق لكل ما صادفهم، حتى الكنائس التاريخية والعتيقة لم تسلم من همجيتهم حيث تعرضت كنيسة القديس أوين الشهيرة –L'abbaye de saint Ouen إلى النهب والحرق، ولم يكتفي النورماند بنهب روان بل قاموا بنفس الممارسات الوحشية في الضواحي والبلدات المحاذية لها [5]، كل هذا وسط غياب تام لأي مقاومة من طرف السكان المحليين في موقف أثار دهشة واستغراب رجال الشمال وفتح أعينهم على درجة الهوان والضعف الذي بلغته بلاد الفرنجة [6].

---

[1]- حاطوم: المرجع السابق. ص 213

[2]- Eyre: op.cit. p 99.

[3]- يعتبر نهر السين من أهم انهار فرنسا، يبلغ طوله 776 كلم وتبلغ مساحة حوضه 80000 كلم مربع، ينبع هذا النهر من هضبة لانجرس قرب مدينة ديجون ويصب في بحر المانش عند مدينة لوهافر. أنظر:

Petit Larousse.opcit.p 1721.

[4]- روان: عاصمة مقاطعة نورماندي العليا، تقع شمال غرب فرنسا على نهر السين، وتعتبر واحدة من اعرق المدن الفرنسية، يبلغ عدد سكانها 106756 نسمة. أنظر:

Petit Larousse. Op.cit. p 1691.

[5]- Capefigue. B: op.cit. p 135.

[6]- Depping. B: op cit. p 82.

وبعد أن انهي النورماند مهمتهم بنجاح فاق ما كانوا يتصورونه قفلوا عائدين إلى بلدهم بكل ما هو ثمين وذلك في نهاية شهر آوت من ذات السنة.

ويمكن القول أن هذه الحملة وما رافقها من نجاح كانت الدافع الأكبر للموجة الرهيبة من الغارات النورماندية التي تعرضت لها بلاد الفرنجة فيما بعد.

ففي بداية شهر جوان من سنة843 م دخل أسطول نورماندي مكون من 67 سفينة نهر اللوار تحت قيادة ثنائي أصبح فيما بعد عراب أبشع الغارات التي تعرضت لها بلاد الفرنجة، هذا الثنائي تكون من، ومن قرصان ذو أصل فرنسي عرف في المصادر التاريخية بهاستينج Hasting [1] وابن أحد ملوك جتلاند عرف ب بيورن Biorn، واتجه هذا الأسطول صوب مدينة نانت[2] Nantes، وهناك قام النورماند بهجوم خاطف مستغلين انشغال السكان بإحياء عيد القديس يوحنا، حيث قاموا بنهب وحرق كل ما وقعت عليه أيديهم، وأمام هول الصدمة لاذ الساكنة بكنيسة القديس بولس وسط المدينة اعتقادا منهم أن النورماند لا يملكون الجرأة لحرق بيت من بيوت العبادة، لكن زعيم النورماند لم يتوان في حرق الكنيسة بمن فيها وذلك بعد أن قتل جوهارد أسقف نانت الذي حاول إقناعه بالامتناع عن ارتكاب هذه الجريمة[3].

تعتبر هذه الحملة الشنعاء ابرز مثال لحالة التمزق التي عانت منها مملكة الفرنجة آنذاك، إذ أن هذه الحملة كانت بطلب من قائدين فرنجيين منشقين عن سلطة الملك شارل الأصلع[4]، حيث استعملا رجال الشمال من

---

[1] بحسب المؤرخ الإفرنجي راؤول جلابار الذي عاش في القرن الحادي عشر، فان هاستينج هو ابن فلاح فرنجي عاش في ضواحي مدينة تروا التابعة لإقليم شامباني الفرنسي، وقد تميز ابن الفلاح هذا بطموحاته الكبيرة والتي أدرك أن تحقيقها يتطلب منه الخروج من بلده، فاتجه نحو بلاد النورمان أين دخل في خدمة رجنار لودبروك احد كبار ملوك الدنمارك الذي كلفه بغزو بلاد الفرنجة وبعث معه ابنه بيورن، ليصبح اسم هذا الثنائي مقترنا بأبشع أعمال النهب والتدمير الذي تعرضت له العديد من المدن المزدهرة في كل من فرنسا وشبه الجزيرة الأيبيرية وحتى ايطاليا. أنظر:

Depping.op.cit. p 87.

[2] نانت: مرفأ في غربي فرنسا بالقرب من مصب نهر اللوار، تعتبر العاصمة الإدارية لمقاطعة اللوار، يبلغ عدد سكانها 270 ألف نسمة، وهي بذالك سادس اكبر مدينة في فرنسا، بنى الغاليون مدينة على الموقع الذي تحتله نانت حاليا قبل أن يعاد بناؤها في العهد الروماني وتصبح من أهم مدن غاليا الرومانية. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1588.

[3] Capefigue: op.cit. p 221.

[4] بعد معركة فونتونوي طالب لامبرت Lambert أحد قادة الملك شارل الأصلع بمقاطعة نانت كجائزة على حسن بلائه وخدمته للملك، لكن شارل قام بتوليه الكونت رينو على هذه المقاطعة وهو ما دفع لامبرت وحليفه قائد شعب البريتون نومينوي Nominoë للاستعانة بالنورمان للضغط على الملك حتى يستجيب لمطالبهم. أنظر:

Depping: op.cit. p 90.

اجل الانتقام من الملك، وذلك دون ادنى اعتبار لما يمكن أن تسببه هذه الحملة من ضحايا ابرياء لا ذنب لهم سوى الانتماء لبلد امسك بمصائره أناس عديموا الكفاءة.

بعد أن أتم رجال هاستينج وبيورن نهب مدينة نانت خرجوا من نهر اللوار، واتجهوا جنوبا نحو مقاطعة اكيتانيا أين دخلوا نهر الجارون[1] وتوجهوا صوب مدينة تولوز[2] Toulouse، التي سمعوا الكثير عنها وعن ثرواتها، ولم يكن مصير تولوز بأحسن من غيرها من المدن التي دخلها النورماند فقد عانت وعانى سكانها من أبشع صور التخريب والنهب والقتل، وعلى الرغم من وصول أنباء حملة النورماند ضد تولوز إلى بيبين الثاني أمير اكيتانيا إلا أنه لم يحرك ساكنا، وذلك لانشغاله بالحرب ضد عمه شارل الأصلع الذي أراد عزله وتولية ابنه في محله[3].

أمام هذا التخاذل الذي قابل به أحفاد شارلمان الغزاة النورمان، واصل رجال الشمال غاراتهم ضد مدن اكيتانيا، حيث نهبوا كل من تاربس[4] Tarbes وبوردو[5] Bordeaux، وبعد أن أتموا مهمتهم خرج النورماند من نهر الجارون واتجهوا جنوبا صوب شبه الجزيرة الأيبيرية علهم يصيبون فيها غنائم مثل التي أصابوها في بلاد الفرنجة[6].

لتأتي سنة 845 م وتشهد تطور واشتداد خطر النورماند أكثر، حيث تعرضت مدينة باريس التي تقع في قلب مملكة الفرنجة إلى واحدة من اشد غارات النورماند ضراوة، ففي بداية شهر مارس من هذه سنة دخل

---

[1] الجارون: نهر يقع في فرنسا اسمه اللاتيني القديم: Garumna جارومنة طوله579 كم، ينبع من أواسط جبال البرانس ويصب في المحيط الأطلسي. أنظر:

Moore. op.cit.p 298.

[2] تولوز: مدينة تقع جنوب غرب فرنسا على نهر الجارون يبلغ عدد سكانها 450 ألف نسمة، أسست هذه المدينة في القرن الخامس قبل الميلاد، وخضعت لسيطرة الرومان والقوط والفرنجة وكانت عاصمة مملكة اكيتانيا 781 -877 م. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1771.

[3] Capefigue: op.cit. p 254.

[4] تاربس: مدينة تقع في جنوب غرب فرنسا يبلغ عدد سكانها 46 آلف نسمة، كانت عاصمة منطقة بيجور المحاذية لجبال البرانس منذ القرن التاسع الميلادي. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p 1755

[5] بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون وعلى بعد96 كلم من البحر، وهي ميناء نهري رئيسي في الجنوب الغربي لفرنسا، كانت مركزا تجاريا مهما في العصر الروماني، وفي القرن الرابع الميلادي أصبحت عاصمة إقليم اكيتانيا ولقد اطلق عليها الجغرافيون العرب اسم برذيل، أنظر: الحميري: ص 90، القزويني: ص579.

[6] Depping: op.cit. p 94.

أسطول دنمركي مكون من 120 سفينة إلى نهر السين، واتجه في البداية صوب مدينة روان التي دخلها النورماند دون عناء، وبعد أن مكثوا بها بضعة أيام واصلوا تقدمهم باتجاه باريس التي وصلوها يوم 25 مارس [1]، باريس التي غادرها ساكنتها فور وصول أنباء تقدم رجال الشمال نحوها صوب في وجهات مختلفة، ما جعل النورماند يدخلون إلى باريس بكل سهولة أين قاموا بنهب اثنين من أشهر وأغنى كنائس بلاد الفرنجة آنذاك وهما كنيستي القديس جرمان Abbaye de saint- germain- de pré والقديسة جونوفياف[2] Abbaye de sainte Geneviève، ورغم تواجد شارل الأصلع على بعد بضع أميال من باريس في ذلك الوقت إذ كان متحصنا في دير سانت دوني إلا أنه لم يفعل أي شيء لصد هجوم النورماند بل عمد إلى شراء السلم معهم حيث دفع لقائدهم أكثر من 7000رطل من الفضة على أن يغادر النورماند فرنسا على الفور وأن لا يعودوا إلى مهاجمتها مرة أخرى [3].

لم يكن زعيم النورماند يتوقع أن يعرض عليه حفيد شارلمان مثل هذا العرض، فهو وبعد أن خرب ونهب باريس كان يتوقع أن يتعرض لهجوم عنيف من طرف الملك الفرنجي، واخذ يستعد للعودة إلى بلاده ليجد نفسه أمام عرض مغر يفوق أقصى توقعاته، وهنا أيقن النورماند أنهم أمام فرصة لا تعوض لتحقيق الثراء على حساب مملكة منهارة، ولكي يوفر شارل المبلغ المطلوب قام بفرض ضرائب ثقيلة على رعاياه وهكذا جاءت هذه الضريبة لتضيف حملا جديدا على الأثقال التي يتحملها أهالي دولة الفرنجة، في الوقت الذي اتضح عجز ملوكهم عن الدفاع عنهم وعن حريتهم [4].

وعند عودته إلى الدنمرك عرض رجنار زعيم النورماند على الملك هوريك الغنائم والأسلاب التي عاد بها، كما قص عليه حكايات دخوله إلى باريس ونهبه لكنائسها الشهيرة مبينا له مدى السلبية التي قابله بها شارل الأصلع حتى أنه اقسم بان الموتى أكثر خطرا على النورماند من الفرنجة، حيث تسببت الجثث المنحلة في الكثير من الأمراض التي أتت على الكثير من مقاتليه[5].

[1]- Capefigue: op.cit. p 137.
[2]- Cam. med.hist. vol. 3. p. 420.
[3]- Depping: op.cit. p 98.
[4]- Thompson: op.cit. Tom 1. p 313
[5]- Depping: op cit: p 99

بعد النجاح الذي لاقته هذه الحملة تغيرت طبيعة الغزو النورماندي الذي كان حتى ذلك الوقت يتم في شكل غزوات صيفية، حيث كانوا يخرجون من بلادهم صيفا عندما يعتدل الجو، ويرجعون إليها في فصل الخريف[1]، لتدخل حركة التوسع دورا جديدا هو دور الاستقرار، فأصبحوا يقضون فصل الشتاء بعيدا عن بلادهم في الجزر القريبة من شواطئ البلاد التي يغيرون عليها وبالقرب من مصبات الأنهار، وبعد أن كان النورماند في الدور الأول يغيرون على شكل جماعات صغيرة، أصبحوا في الدور الثاني يأتون في جموع ضخمة العدد مصطحبين معهم نسائهم وأبنائهم بهدف الاستقرار في البلاد التي يغزونها.

وانتظم النورماند في هذه المرحلة في ثلاثة مجموعات رئيسية، مجموعة اختصت بالتوسع والغزو في مدن حوض نهر السين والتي كانت قاعدتها جزيرة وسال Iles d´Oissel قرب مدينة روان، المجموعة الثانية اختصت بالتوسع والغزو في حوض نهر اللوار وكانت قاعدتها جزيرة نوارموتييه، أما المجموعة الثالثة فاستأثرت بالتوسع في حوض نهر الجارون.

وأمام اشتداد موجة النهب والتدمير التي تعرضت لها أراضي بلاد الفرنجة، أدرك أحفاد شارلمان أنه من الضرورة بما كان ترك الخلافات القديمة جانبا والتكتل والاتحاد لصد العدو الشمالي الذي تجاوز كل الخطوط الحمراء، حيث التقى الإخوة في بداية شهر فيفري من عام 847 م في مدينة مرسن Mersen الواقعة بإقليم اللورين واتفقوا على إرسال سفارة إلى هوريك تحمل رسالة واضحة هي أن أي هجوم جديد سيتم الرد عليه بغزو ثلاثي لأرض النورمان[2]، وهو التهديد الذي لم يقم له رجال الشمال أي وزن، ففي ظرف اقل من شهر من عودة سفارة الفرنجة إلى ديارها كان النورماند قد بدؤوا في حملة جديدة بطلب من زعيم شعب البريتون [3]، حيث انطلقوا من قاعدتهم في جزيرة نوارموتييه ودخلوا حوض نهر اللوار أين قاموا بنهب عدد من أشهر كنائس بلاد الفرنجة[4]، وفي الوقت الذي كان فيه رفاقهم يعيثون فسادا في مدن حوض اللوار، كان نورماند نهر

---

[1]- محمد الشيخ: تاريخ أوروبا العصور الوسطى. ص 298.

[2]- Depping: op.cit. p103.

[3]- إن منطقة بريتاني تقع شمال غرب فرنسا، وقد سكنها عنصر أصيل هم الكلت، وقد هاجر إليها أقربائهم من انجلترا عندما هاجم الانجلو-سكسون الجزر البريطانية في القرن السادس، وعرفت المنطقة التي استقروا فيها باسم بريتاني وعرفوا أيضا بالبريتون، ولم يتمكن الفرنجة الميروفنجيون من إخضاع البريتون على الرغم من محاولاتهم العديدة، ومع أن البريتون اعتبروا أتباعا للميروفنجيين إلا أن خضعوا لحكم زعماء منهم، وقد استمرت ثوراتهم ضد الفرنجة في عهد بيبين القصير وشارلمان الذي ارسل حملات لاخضاعهم، وفي عهد شارل الأصلع تمكن البريتون من نيل الاعتراف باستقلالهم عن الفرنجة، لكن استقلالهم لم يدم طويلا إذ سرعان من عادوا للخضوع لسلطة الفرنجة. أنظر:

Moore.p127.

[4]- Capefigue: op.cit. p225.

الجارون يحاصرون مدينة سانت[1] Saintes التي استنجد أهلها ببيبين الثاني أمير اكيتانيا، لكن هذا الأخير تخلى عن نجدة رعاياه وهو ما سمح للنورماند بدخول المدينة ونهبها وقتل الكثير من ساكنتها.

ومن سانت اتجه النورماند صوب كبرى مدن الإقليم بوردو التي سارع أهلها إلى الاستنجاد بالملك شارل الأصلع، هذا الأخير ورغم مسارعته في نجدة المدينة إلا أنه فشل في مسعاه ولم يستطع إجبار رجال الشمال على فك الحصار عنها، وهكذا استسلمت المدينة لمصيرها الذي كان أكثر رعبا مما تصوره السكان حيث لم يكتف النورماند بأعمال النهب والحرق بل عمدوا هذه المرة احتلال المدينة التي بقيت تحت سيطرتهم لأكثر من ثلاث سنوات[2].

ومما لا شك فيه أن استيلاء الدانيين على مثل هذه المدن الكبيرة، قد عاد عليهم بأرباح طائلة، وغنائم كثيرة شجعتهم على الاستمرار في نشاطهم التدميري بشكل مكثف حتى صارت مملكة شارل الأصلع في حالة يرثى لها من الفوضى والخراب.

وفي عام 852 م هاجم الدانيون بقيادة جودفريد ابن هارولد كلاك حوض نهر السين، مما حمل لوثر على أن يتوجه على رأس جيشه لمساعدة أخيه شارل الأصلع الذي لم يلبث أن عقد صلحا مع زعيم الدانيين مقابل مبلغ مالي، كما منحه أراض في إقليم الفلاندر، وهناك انسحب لوثر عائدا إلى بلاده[3].

وفي سنة 854 م قام نورماند حوض اللوار بهجوم كبير ضد مدينة تور[4] Tours، أين قاموا بنهب وحرق كنيسة القديس مارتن والتي تعتبر أعظم كنيسة في كل حوض اللوار، ثم واصلوا صعودهم في النهر حيث قاموا بنهب كل من مدينتي بلوا Blois واورليان[5] Orléans وفي طريق عودتهم قام النورماند بنهب

1- سانت: مدينة تقع غرب فرنسا على نهر الشارونت، كانت سانت عاصمة لشعب سلتي محلي وزادت أهميتها في العهد الروماني إذ أصبحت من أهم مدن غاليا الرومانية تعتبر حاليا مقرا لدائرة بواتوا- شارونت، يزيد عدد سكانها عن 20ألف نسمة. انظر:

Petit Larousse: op.cit. p4.

2- Oman: op.cit. p420

3- Lavisse. Ernest: Histoire de France. Paris. 1900. Tom 2. Première parti.p. 372

4- تور: مدينة فرنسية، تقع على بعد 606 كم إلى الجنوب الغربي من باريس، استولى عليها القوط الغربيون في القرن الخامس الميلادي، واستولى عليها الفرنجة في القرن السادس، ودارت معركة بلاط الشهداء بين الغافقي وشارل مارتل على مسافة 18 كلم جنوب مدينة تور، وقد أطلق الجغرافيون العرب على مدينة تور اسم طرنش، ويقول الحميري عنها بأنها من اشرف مدائن إفرنجة وفيها ضريح القديس شنت مارتين وبها عظامه. انظر الحميري: ص 391.

5- اورليان: مدينة تقع وسط فرنسا على نهر اللوار، بنيت من طرف السلتيين القدامى، احرقها يوليوس قيصر سنة 52 قبل الميلاد، قبل أن يعيد بناءها الإمبراطور اورليان ويكسبها اسمه، عدد سكانها مئة ألف نسمة. أنظر:

مدينتي أنجرس Angers ونانت، ومرة أخرى تخاذل شارل الأصلع عن نجدة رعاياه لانشغاله بمشاكله مع لويس الجرماني، وهنا يجب أن نسلط الضوء على جانب من شخصية هذا الملك.

فقد تميز شارل الأصلع بالسلبية وعدم الاهتمام حين يتعلق الأمر برعاياه وبسكان الأراضي الواقعة تحت حوزته، وفي نفس الوقت تميز بتطلعه وطمعه في ممتلكات غيره، وقد ظهر هذا جليا في حربه ضد ابن أخيه بيبين الثاني أمير اكيتانيا كما ظهر في تطلعه لضم ممتلكات لوثير الثاني أمير لوثرنجيا [1]، وفي الوقت الذي كان يتوجب عليه القيام بواجبه اتجاه شعبه وذلك بتسيير جيوشه ضد القراصنة، نجد أن هذا الملك كان يرسلهم لحرب أقاربه، وقد أدت سياسة شارل خاصة فيما يتعلق بتعامله مع ابن أخيه بيبين إلى لجوء هذا الأخير إلى الحل الأكثر دناءة وهو الاستعانة بالنورماند من اجل استعادة عرشه الضائع، ففي صيف عام 854 م قاد الأمير الكارولنجي جحافل النورماند صوب مدينة بوردو، حيث صب جام غضبه على ساكنتها خاصة ممن تعاونوا ودعموا عمه شارل الأصلع [2]، ثم واتجه نحو مدينة تولوز التي عجز عن دخولها بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها المدافعون عنها، لكن هذا لم يمنع بيبين من تخريب العديد من القرى والبلدات. المحيطة بها، خاصة التابعة للنبلاء المناوئين له، ليأتي العام الموالي ويشهد وفاة لوثير، وقد تسبب هذا الحدث في تفاقم الصراعات والنزاعات بين أمراء البيت المالك، كما تسبب في ازدياد حدة الغزو النورماندي بل أن الكثير من المؤرخين يعتبرون الفترة التي أعقبت وفاة لوثير وحتى تأسيس دوقية نورماندي أحلك فترة في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى [3].

ففي سنة 857 م قام نورماند حوض السين بإقامة قاعدة دائمة لهم في جزيرة وسال قرب روان، ومن هذه القاعدة انطلق النورماند في حملات متواصلة ضد جميع المدن الواقعة على ضفاف هذا النهر وبالأخص مدينة باريس حيث تعرضت كنائسها، خاصة التي نجت من الحملات السابقة مثل كنيسة القديس بطرس والقديس فنسنت إلى عمليات نهب وحرق بشعتين [4]، كما تعرضت مدن شارتر chartres وبايوا Bayeux لنفس المصير.

Petit Larousse: op.cit.p.1760.

[1] لوثرنجيا: هي مملكة أسسها الإمبراطور لوثير الأول من اجل ابنه لوثير سنة 855 م، ضمت المناطق الواقعة بين جبال الألب جنوبا ونهري الراين والموس في الوسط وبحر الشمال شمالا. أنظر:

Petit Larousse. op.cit. p1521.

[2] Capefigue: op.cit. p 266.

[3] Oman: op.cit. p 422.

[4] Depping: op.cit. p 121.

وأمام تخاذل شارل الأصلع وإحجامه وعدم دفاعه عن رعاياه قرر عدد من النبلاء الفرنجة الساخطين دعوة الملك لويس الجرماني للجلوس على عرش فرنسا، ليبدأ نزاع جديد بين الأخوين كانت نتيجته الأبرز زيادة إضعاف المملكتين وتشجيع النورماند على مواصلة حملاتهم المدمرة[1]، حيث استغل النورماند حالة الضعف التي تمر بها المملكة وقاموا بتوسيع مجال نشاطهم ليشمل مدن حوض نهر السوم[2] Somme، ففي سنة 859 م قام أسطول نورماندي بدخول نهر السوم تحت قيادة نبيل نورماندي عرف في المصادر التاريخية باسم فيلاند Veland، حيث قام بنهب مدن أميان[3] Amiens ونويون[4] Noyon وبوفي[5] Beauvais، وأمام عجز شارل الأصلع عن مقارعة النورماند فقد اضطر مرة أخرى إلى دفع مبالغ مالية هائلة في مقابل انسحابهم أين عقد معاهدة مع القائد الاسكندينافي يقوم بموجبها بدفع 5000رطل من الفضة مقابل خروج فيلاند من فرنسا، لكن تأخر الملك في دفع المبلغ نتيجة للحالة المالية الكارثية للبلاد دفع فيلاند إلى معاودة هجماته، حيث قام بمهاجمة ونهب مدينة باريس البائسة، وهنا تحرك الملك المغلوب على أمره وقام بفرض ضرائب غير مسبوقة على رعاياه المرهقين أصلا من ثقل الضرائب القديمة [6].

وهكذا وبعد مرور عقدين على جلوسه على عرش مملكة الفرنجة وجد شارل الأصلع أن وضع مملكته أضحى في حالة غير مسبوقة من الدمار والخراب، فقرر الدعوة لاجتماع عام للنبلاء الفرنجة في ضيعته الشخصية في بيستر Pistres قرب باريس، من اجل وضع إستراتيجية جديدة للتصدي للغزو النورماندي وبعد مداولات دامت عدة أيام اصدر الملك في صيف عام 864 م مرسوم بيستر الذي يقضي بتعديل نظام

---

[1]- Capefigue: op.cit. 154

[2]- السوم: نهر يقع شمال فرنسا يبلغ طوله 245 كلم، ينبع من ضواحي مدينة سانت كونتان، ويواصل مساره نحو الشمال الغربي حيث يعبر مدينة أميان قبل إن يصب في الأخير في بحر المانش. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1122

[3]- أميان: مدينة في شمالي فرنسا تقع على نهر السوم، عدد سكانها 135الف نسمة، يوجد في القسم القديم من المدينة العديد من الأبنية والكنائس التي تعود للعصور الوسطى، انشأ يوليوس قيصر المدينة سنة 54 ق م، ونمت المدينة في العصور الوسطى حيث أصبحت المركز التجاري والثقافي الأول في منطقة السوم، وتعرضت المدينة لأضرار جسيمة خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p1120.

[4]- نويون: مدينة في شمالي فرنسا، يبلغ عدد سكانها 14الف نسمة، تأسست المدينة في بداية القرن السادس الميلادي، ووصلت إلى ذروة ازدهارها في العهد الميروفنجي، وتضم المدينة العديد من الكنائس والأبنية التاريخية. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p1601.

[5]- بوفي: تعتبر عاصمة مقاطعة الواز، تضم المدينة واحدة من 55مدينة في شمالي فرنسا، يبلغ عدد سكانه ألف نسمة، أشهر كنائس فرنسا وهي كنيسة القديس بطرس، تأسست بوفي على يد الغاليين القدامى وأعيد بناؤها في العهد الروماني وأصبحت مركزا مهما في العصور الوسطى. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p1217.

[6]- Capefigue: op.cit. p155.

الدفاع بعد أن كان يعتمد في نظامه على الخيالة الثقيلة فصار يعتمد على جيوش خفيفة سهلة الحركة، وجاء في هذا المرسوم أيضا الأمر بإقامة العقبات والجسور في مجاري الأنهار لمنع سفن الدانيين من الوصول إلى داخل البلاد[1].

وقيل ذلك وفي شهر جوان من عام 861 م قرر الملك شارل الأصلع تعيين القائد الإفرنجي روبرت الملقب بالقوي Robert le fort، كقائد عام للمنطقة الواقعة بين نهري السين شمالا واللوار جنوبا[2]، وكان لتولي روبرت الذي يعتبر جد العائلة الكابتية التي حكمت فرنسا فيما بعد اثر كبير في تطور المقاومة الإفرنجية ضد الغارات النورمانية، فقد تميز هذا القائد بالشجاعة النادرة وبقوة الشكيمة وبالصبر والجلد في الحرب، ففي نهاية سنة 864م تمكن الفرنجة تحت قيادته من هزيمة جيش من النورماند قرب أنجرز على اللوار، وفي شهر أوت من العام الموالي وبعد عودة النورماند من أعالي نهر اللوار أين قاموا بنهب كنسية القديس بنوا الشهيرة قرب مدينة اورليان Abbaye de saint benoit، اتجهوا صوب مدينة بواتييه[3]Poitiers، وهناك تعرضوا لهزيمة ساحقة على يد جيش القائد روبرت القوي[4]، وفي 15سبتمبر من العام الموالي تمكن جيش هذا القائد يسنده جيش راينولف دوق بواتييه من هزيمة النورماند في معركة بيريسارث.

و في نهاية العام الموالي تمكن الملك شارل الأصلع من هزيمة النورماند بقيادة هاستينج عند محاولتهم اقتحام مدينة انجرز[5] Angers، وقد كان لهذه الانتصارات دور كبير في تحول النورماند عن غزو بلاد الفرنجة واتجاههم صوب الأراضي البريطانية، حيث لم تشهد الفترة الممتدة بين 870 -876 م أي هجوم مهم من طرف النورمان، ليشهد العام الموالي وفاة الملك شارل بعد اكثر من أربعة عقود من الحكم تميزت بتدهور أحوال البلاد وتحولها من مملكة مزدهرة إلى مملكة منهكة يعاني رعاياها من أسوأ حالات البؤس والحرمان، ويعود جانب كبير من ذلك إلى ضعف هذا الملك وسوء إدارته لأمور الدولة والحكم، حيث أدت سياساته التوسعية على حساب أقاربه إلى تغذية الحرب الأهلية بين الممالك الإفرنجية بدا بحربه ضد ابن أخيه بيبين الثاني

---

[1]- عاشور: المرجع السابق. ص 184.

[2]- Depping : op.cit. p 144.

[3]- بواتييه: مدينة تقع وسط غرب فرنسا جنوب مدينة تور، أسست المدينة في العهد الروماني وأصبحت مقرا للبلاط في عهد القوط الغربيين، كما كانت مسرحا لموقعة بلاط الشهداء الشهيرة بين جيش الفرنجة بقيادة شارل المطرقة بين جيش المسلمين بقيادة عبد الرحمان الغافقي، تعتبر حاليا من أهم المراكز الصناعية في فرنسا ويبلغ عدد سكانها ألف 80نسمة.أنظر:

Petit larousse: op.cit. p 1222.

[4]- Capefigue: op.cit. p 235.

[5]- Depping: op.cit. p 156.

أمير اكيتانيا والتي أدت إلى استعانة هذا الأخير بالنورماند في حربه ضد عمه مرورا بضمه لمملكة ابن أخيه لوثير الثاني ملك اللورين، وصولا إلى محاولته ضم مملكة أخيه لويس الجرماني كل هذه الأعمال إضافة إلى إهماله لشؤون مملكته أدى إلى تحويل أراضي مملكته إلى لقمة سائغة للغزاة، ولولا مجهودات الأسقف هنكمار[1] Hincmar كبير مستشاري الملك وجهود بعض القادة الكبار أمثال روبرت القوي لما تحسن الوضع، فقد كان لتوصيات هنكمار المتعلقة بتغيير نظم الدفاع دور كبير في تطور المقاومة الإفرنجية للغزو النورماني، كما كان لروبرت القوي دور كبير في فك عقدة الخوف التي التصقت بالفرنجة، مما أدي في نهاية عهد هذا الملك إلى انخفاض حدة الغزو النورماندي وانحساره بشكل كبير.

[1] ولد هنكمار سنة 820 م انتسب في صغره إلى ديرسانت دنيس قرب باريس ليصبح بفضل سعة اطلاعه والتزامه رئيسا لهذا الدير الشهير ثم عينه الملك شارل أسقفا لريمس Reims، ليصبح بعد ذلك اكبر مستشاري الملك، تميز هنكمار بالحصافة والحكمة وقد كان له دور كبير في توجيه سياسة الملك شارل خاصة في أواخر عهده.

المبحث الثالث: مرحلة الاستقرار وتأسيس دوقية نورماندي 877- 911م

خلف شارل الثاني الأصلع على عرش فرنسيا الغربية ابنه لويس الثاني الملقب بالمتلعثم Louis Le bègue، وقد عرف هذا العاهل بعدم اهتمامه بشؤون الدولة فقد كان حاكما ضعيفا واقعا تحت سيطرة كبار الارستقراطية، كما أن معاناة الملك الجديد من مشاكل صحية بصفة دائمة وعدم قدرته على التحدث بسهولة بسبب علته جعله ينطوي على نفسه ويترك زمام المبادرة لكبار النبلاء، وقد تزامن تولي لويس الحكم مع وفاة عمه لويس الثاني الجرماني الذي خلفه أبناءه الثلاثة لويس الثالث الملقب بالشاب ملك سكسونيا، كارلومان ملك بافاريا وشارل الملقب بالسمين ملك سوابيا[1]، وقد أدرك الأسقف هنكمار كبير مستشاري الملك لويس المتلعثم ضرورة أن يسعى مليكه إلى عقد تحالف مع لويس الشاب بغية الوقوف في وجه النورماند وهو ما تم فعلا سنة878 م حين التقى العاهلان في مدينة مرسن واتفاقا على مبدأ الدفاع المشترك ضد النورمان، لكن سوء الطالع حال دون استمرار هذا التحالف إذ وفي العام الموالي توفي الملك لويس المتلعثم، وبوفاته دخلت بلاد الفرنجة في مرحلة من الاضطراب الشديد[2]، حيث خلفه ابناه القاصران وهما لويس الثالث وكارلومان الثاني، حيث نال الأول إقليم نستريا ونال الثاني إقليمي بورجنديا واكيتانيا[3]، وقد واجه الشقيقان عدة تحديات فور توليهما الأمر فقد زحف لويس الشاب صوب فرنسا بغية الاستيلاء على إقليم لوثرنجيا، كما اعلن بوسون أمير برجنديا استقلاله عن مملكة فرنسيا الغربية[4].

لم يكن من الممكن أن تمر هذه الأحداث دون أن لا يتسامع بها النورماند الذين سارعوا إلى ترك الجزيرة البريطانية والقدوم إلى مملكة الفرنجة البائسة بغية استئناف حركة السلب والنهب[5].

وأمام كل هذه الإخطار قرر الملكان الشابان التنازل عن لوثرنجيا لصالح لويس الشاب وتم ذلك سنة880م وفق معاهدة ربيميند[6]، ثم جمع الملكان جيشهما وسارا صوب مدينة فيينا عاصمة إقليم برجنديا من اجل استعادتها من أيدي أميرها بوسون الذي أعلن استقلاله في سابقة لم تحدث منذ عهد بيبين القصير.

[1]- Depping: op.cit. p 168.
[2]- Capefigue: op.cit. p 292.
[3]- Adrian pascal: op.cit. p 98.
[4]- Ibid. p 99.
[5]- Depping: op.cit. p 170.
[6]- Ibid. p 174.

استغل النورماند الحرب الأهلية القائمة في مملكة الفرنجة وقاموا بهجوم كاسح تركز في حوضي السوم والاسكو حيث قاموا في بداية صيف سنة 879م، بمهاجمة مدن سانت اومير[1] Saint Omer اراس[2] Arras كومبري[3] Cambrai وبيرون Péronne وواصلوا تقدمهم حتى مدن نويون ريمس[4] Reims، حيث قاموا بعمليات نهب وتدمير لم يسبق لها مثيل، وقد مثل وصول النورماند إلى ريمس قمة الغزو النورماندي لبلاد الفرنجة فقد مثلت هذه المدينة في تلك الفترة قلب المملكة واعتبرها الفرنج آنذاك مركز المملكة كما أنها كانت مقر الأسقف هنكمار مدبر الأمور في المملكة، هنكمار الذي فر من ريمس عند اقتراب النورماند منها ثم لم يلبث أن مات حزنا على ما ألت إليه بلاده.

و في العام الموالي أعاد النورماند الهجوم على اراس حيث لم يخرجوا هذه المرة إلا وقد احرقوا المدينة و لم يتركوا لها أي اثر، كما قام النورماند بنهب مدن أنفرز، فورنس[5] Furnes، ييبر[6] Ypres، وغيرها من المدن الواقعة في حوض نهر الاسكو، كل هذا في غياب أي مقاومة من الفرنجة.

[1] سانت اومير: مدينة تقع شمال فرنسا في مقاطعة كاليه السفلى، تأسست المدينة في منتصف القرن السابع الميلادي تشتهر المدينة بصناعاتها الغذائية وبمبانيها التاريخية خاصة كنيسة القديس برتان التي تعود للقرن الثاني عشر، يبلغ عدد سكانها حوالي15 ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1705.

[2] اراس: مدينة عريقة تقع شمال فرنسا قرب الحدود البلجيكية، شيدها الرومان وتعرضت في نهاية القرن التاسع لهجمات عنيفة من النورمان، سيطر عليها النمساويون ثم الاسبان لتخضع في الاخير لسيطرة فرنسا، نظرا لموقعها الاستراتيجي فقد كانت اراس مسرحا للعديد من المعارك إبان الحربين العالميتين، تشتهر هذه المدينة بمبانيها التاريخية كما تشتهر بصناعاتها خاصة صناعة النسيج. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p.1178.

[3] كومبري: مدينة عريقة تقع شمال فرنسا على نهر الاسكو، أسسها الرومان ثم اصبحت في القرن الخامس عاصمة لإمارة فرنجية، قام شارلمان بتحصينها في بداية القرن التاسع. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p.1246.

[4] ريمس: مدينة عريقة تقع شمال فرنسا، أسسها الغاليون القدامى ثم خضعت لسيطرة الرومان، كانت ريمس المكان الذي شهد تعميد الملك الفرنجي كلوفيس، أصبحت كاتدرائية ريمس المكان الذي يتم فيه تتويج ملوك الفرنجة، تشتهر. المدينة بكاتدرائيتها المبنية على النمط القوطي. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p. 1672.

[5] فورنس: مدينة عريقة تتبع إقليم الفلاندر في بلجيكا، أسسها الكارولنجيون لتكون مركزا للدفاع ضد النورمان، ازدهرت في عصر النهضة حيث غدت مركزا ثقافيا مهما في إقليم الفلاندر. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p1384.

[6] ييبر: مدينة عريقة تتبع إقليم الفلاندر في بلجيكا، تأسست في العهد الكارولنجي لتبلغ ذروة ازدهارها في القرن الثالث عشر، كانت ييبر مسرحا لأول استخدام للأسلحة الكيماوية في الحرب العالمية الأولى. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p1820.

وفي العام الموالي أي عام 881 م قام النورماند بحملة كبيرة ضد مدينة أميان على نهر السوم، حيث لم يتركوا شيئا إلا أخذوه فضلا عن قيامهم بتدمير كنيسة المدينة[1]، وأمام هذه الانتهاكات الخطيرة لأمن الدولة وأمام الفظائع التي ملأت أخبارها المملكة قرر الملك لويس الثالث التحرك لإيقاف رجال الشمال عند حدهم، حيث باغتهم الملك عند عودتهم محملين بالغنائم من أميان وتمكن من قتل أكثر من ثمانية ألاف من النورماند في معركة تاريخية عرفت بمعركة سوكورت[2] Saucourt en Vimeux.

بعد الهزيمة في سوكورت غير النورماند وجهتم نحو إقليم الفلاندر وحوض نهر الراين مستغلين في ذلك وفاة الملك لويس الشاب في بداية سنة 882 م، الذي خلفه أخوه شارل الملقب بالسمين Le Gros Charles، حيث قام النورماند بإقامة قاعدة لهم في مدينة اسلت[3] Hasselt قرب مدينة ماستريخت، ومن هذه القاعدة قام النورماند بمهاجمة مدينة كولونيا[4] Cologne، ثم قاموا بنهب عاصمة الإمبراطور شارلمان اكس لاشابيل هذه المدينة التي كانت أيام عزها عاصمة للعالم الغربي وملتقى للعلماء أضحت فريسة لرجال لم يتركوا فيها شيئا مهما قل شئنه إلا ونهبوه وبعد أن أتموا مهمتهم قاموا بحرق المدينة الرمز، وقد كان لنهب عاصمة الكارولنجيين من طرف النورماند صدى مدوي في كل أرجاء العام الغربي[5].

بعد اكس لاشابيل قام النورماند بنهب مدن لييج liège وبون Bonn وتريف Trèves وكوبلتز[6]، ثم قاموا بالعودة محملين بالغنائم إلى قاعدتهم في هاسلت و أمام هذه الاعتداءات وبإلحاح من كبار النبلاء الفرنجة قرر الإمبراطور شارل الثالث التوجه إلى معقل النورماند في هاسلت، وفعلا جمع الإمبراطور جيشا جرارا مكونا في كتائب من ايطاليا وألمانيا ولوثرنجيا، لكن ولما حانت لحظة المواجهة قرر شارل شراء السلم، حيث قرر أن يدفع مبلغا ضخما من المال إلى كل من جودفريد وسيجفريد زعيمي النورماند مقابل خروجهم من حوض

1- Henri Martin: Histoire de France. Paris. 1855.Tome 2. p 480.
2- Capefigue: op.cit. p296.
3- هسالت: مدينة بلجيكية عريقة تقع بالقرب من مدينة ماستريخت على نهر الموز، تشتهر هسالت بصناعاتها الحديثة كما تشتهر بزراعة الكروم، كانت هسالت قاعدة للنورمان في نهاية القرن التاسع ثم أعيد بنائها في القرن الحادي عشر لتصبح من أهم مدن إقليم ليمبورج، يبلغ عدد سكانها حوالي سبعين ألف نسمة. أنظر:
Petit Larousse: op.cit.p. 1428.
4- كولونيا: مدينة مهمة تقع شرق ألمانيا، تعتبر من أهم المراكز الصناعية في أوروبا والعالم، أسسها الإمبراطور الروماني كلوديوس وأطلق عليها اسم مشتق من اسم زوجته اجريبينا الصغرى، تشتهر كولونيا بكاتدرائيتها المبنية على النمط القوطي، يبلغ هدد سكانها حوالي المليون نسمة. أنظر:
Petit Larousse: op.cit.p.1288.
5- Depping: op.cit. p 190.
6- Henri Martin: op.cit. p 485.

الراين وتعهدهم بعدم مهاجمة أراضي مملكته مرة أخرى مع السماح لهم بغزو مملكة فرنسيا الغربية، وتظهر هذه الاتفاقية مدى الإفلاس الأخلاقي والسياسي الذي وصل إليه خلفاء شارلمان، فعلى الرغم من تفوقه العددي الكبير لجأ حفيد شارلمان إلى الحل الأكثر إذلالا، فمن جهة سمح للنورماند أن يخرجوا من مملكته من دون عقاب بل قام في الواقع بمكافئتهم ومن جهة أخرى فقد سمح لهم بمهاجمة مملكة أبناء عمه ملوك فرنسيا الغربية[1].

ولأن المصائب لا تأتي فرادى فقد شهدت فرنسا في تلك السنة موت ملكها لويس الثالث بطل معركة سوكورت فلم يبق على العرش سوى كارلومان الذي يعتبر اصغر واضعف الشقيقين[2].

بعد مغادرة النورماند بقيادة سيجفريد لمملكة شارل السمين توجهوا صوب مملكة فرنسيا الغربية حيث قاموا بداية بإقامة قاعدة لهم في مدينة كوندي[3] Conde الواقعة في حوض نهر السوم، وانطلاقا من هذه القاعدة قام النورماند بمهاجمة مدن إقليم البيكاردي[4] حيث قاموا بنهب مدينة لاون[5] Laon، ثم اتجهوا صوب مدينة سواسون[6] Soissons التاريخية حيث قاموا بحرق كنيستي القديس يوحنا والقديس ميدار، ومنها اتجه رجال الشمال صوب مدينة نويون أين قاموا بنهب وحرق كل ما وقعت عليه أيديهم، وأمام هذه الجرائم وبتشجيع من القائد الكبير هيو ماركيز نستريا[7] قرر الملك كرلومان التصدي للغزاة، حيث قام بإيقافهم عند

---

[1]- وفقا لهذه الاتفاقية تقرر أن يدفع الإمبراطور ألفين وثمانمائة رطل من الذهب للنورمان، إضافة إلى إعطاء زعيمهم جودفريد أراضي واسعة في إقليم فريزيا وتزويجه من الأميرة جيزيلا حفيدة الإمبراطور لوثير الأول. أنظر:

Depping: op cit. p.191 .

[2]- Capefigue: op.cit. p. 303.

[3]- Depping: op.cit. p 192.

[4]- البيكاردي: إقليم غني يقع شمال غرب فرنسا، يتميز هذا الإقليم بخصوبة أراضيه واعتدال مناخه، كما يضم العديد من المدن المزدهرة مثل أميان، ابفيل، كومبيان ولاون، ونظر لما يتميز به من ثروات فقد كان الإقليم مطمعا للكثير من الغزاة مثل الرومان والفرنجة والنورمان والهولنديين والأسبان. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1640.

[5]- لاون: مدينة تقع شمال غرب فرنسا، تعتبر عاصمة مقاطعة الايسن في إقليم البيكاردي، تأسست المدينة في العهد الروماني، وأصبحت من أهم مدن بلاد الفرنجة في العهد الكارولنجي لتصل إلى ذروة ازدهارها في عهد الأسرة الكابتية يبلغ عدد سكانها حوالي 50 ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: Op.cit. p 1499.

[6]- سواسون: مدينة من أقدم المدن الفرنسية، تتبع سواسون لمقاطعة الايسن في إقليم البيكاردي، من أشهر أثارها كنيسة القديس ميدار التي بناها شارلمان، كانت المدينة مسرحا لمعركة شهيرة بين الملك كلوفيس وبين الحاكم الروماني سيجاريوس وأصبحت فيما بعد عاصمة لبعض الملوك الميروفنجيين كما كانت مسرحا للعديد من المعارك في الحرب العالمية الأولى يبلغ عدد سكانها 30 ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: Op.cit. p 1735.

[7]- هيو لابيه Hugues l'abbé: قائد إفرنجي كبير عينه الملك شارل الأصلع مركيزا لنستريا وكونت لمدينة تور، ذاع صيته كبطل قومي دافع عن بلاده ضد غزو النورمان الدانيين توفي في أثناء حصار باريس 886م. أنظر:

Depping: op.cit. p 159 .

مشارف مدينة ريمس وأجبرهم على الارتداد إلى قاعدتهم في كوندي [1]، لكن هذا الانتصار لم يثبط إرادة النورماند ورغبتهم في مواصلة غزو شمال مملكة فرنسيا الغربية، ففي ربيع العام الموالي قام رجال الشمال بمهاجمة مدينة سانت كونتين[2] Saint Quentin الإستراتيجية حيث قاموا بنهب جميع ثرواتها ثم قاموا بحرقها في منظر تقشعر له الأبدان، وهنا وجد كارلومان أنه من الضرورة بما كان إيقاف زحف الفايكنج حيث اشتبك معهم قرب مدينة أميان وهناك تعرض الملك إلى هزيمة ساحقة أجبرته على الفرار ووالتراجع صوب باريس[3]، وحسب الكثير من المؤرخين فان من أهم أسباب هذه الهزيمة هو غياب القيادة الحازمة فقد كان كارلومان فاقدا لكل مقومات الملك الذي تحتاجه تلك المرحلة ولإدراك أكابر المملكة لضعف ملكهم فقد قرروا الدخول في مفاوضات مع النورمان، حيث جاء نص الاتفاقية مليئا بصور الإذلال والاهانة للفرنجة الذين اضطروا لدفع 12 ألف رطل من الذهب مقابل انسحاب النورماند من حوض السوم وعدم التعرض له مرة أخرى[4]، وكما علمنا التاريخ فان التنازل لا يأتي بأي نتيجة غير زيادة جشع الطامعين والغزاة وهو ما تم بالفعل، إذ وبعد شهرين من عقد الاتفاقية توفي الملك كارلومان الثاني مما جعل النورماند يتنصلون من الاتفاقية التي عقدت قبل أمد وجيز ويعودون إلى شن الغارات على مملكة فرنسيا الغربية.

ففي بداية سنة 885م اجتمع زعماء النورماند وتدارسوا الوضع في مملكة الفرنجة، ووصلوا إلى نتيجة مفادها أنهم أمام فرصة تاريخية من أجل توجيه ضربة قاضية للفرنجة حيث أن البلاد بلا ملك بعد وفاة كارلومان الثاني أما الوريث الوحيد للعرش وهو شارل الثالث الذي عرف فيما بعد بالبسيط أوالساذج فلم يتجاوز عمره آنذاك ستة سنوات، أما الوصي على العرش وهو الإمبراطور شارل السمين فقد أدرك النورماند ومن خلال تجربتهم السابقة معه أنه رجل فاقد لكل مقومات الملك فهو إنسان فاتر الهمة ضعيف الإرادة، فاقد للشجاعة، ميال للتنازل والاستسلام، وأمام هذه الفرصة فقد حشد النورماند في ربيع سنة 885م جيشا جرارا قوامه 40 ألف مقاتل على متن أكثر من 700 سفينة، واتجهوا صوب مدينة روان عند مصب نهر السين[5]،

---

[1]- Depping: op.cit. p 192.

[2]- سانت كونتين: مدينة إستراتيجية تقع شمال فرنسا، تعتبر المدينة قطبا زراعيا وصناعيا مهما شمال البلاد، ويعود تأسيس المدينة إلى العهد الروماني تحت اسم اوغستا فيرووندوروم وفي القرن الثالث حملت المدينة اسم القديس كونتين ونظرا لموقعها الاستراتيجي فقد كانت دائما محلا لأطماع الدول فقد سيطر عليها الانجليز في حرب المائة سنة، كما وقعت تحت سيطرة الألمان في الفترة بين 1914 -1918. أنظر:

Petit Larousse: op.cit.p1706.

[3]- Capefigue: op.cit. p 304

[4]- Henri Martin: op.cit. p 486

[5]- Henri Martin: op.cit. p 488.

حيث قاموا باحتلال المدينة التي جعلوها نقطة إعداد للتوجه صوب الهدف الرئيسي وهو قلب المملكة وخاصة مدينة باريس التي وصلوا مشارفها في 25 نوفمبر من السنة نفسها، ولما كانت المدينة قد تعرضت إلى غارات النورماند من قبل فقد عمد الكونتات المكلفون بحكمها على إحاطتها بأسوار منيعة كما قاموا ببناء جسر على نهر السين يمنع مرور السفن إلا أن سمح سكان المدينة بذلك[1]، وهكذا فقد وجد النورماند أنفسهم أمام واقع جديد فهم أمام مدينة منيعة التحصين كما أنها كانت آنذاك تحت حكم شخصيتين من أقوى شخصيات ذلك العصر أولهما الكونت أودوا ابن القائد الكبير روبرت القوي وثانيهما الأسقف جوزلين[2] Gozlin.

وأمام هذا الوضع قرر النورماند القيام بهجوم قوي بغية اقتحام المدينة، لكن هذه المحاولة باءت بفشل ذريع وذلك بفضل صمود أهل المدينة وفعالية وسائل دفاعها[3].

وأمام صمود الباريسيين قرر زعيم النورماند سيجفريد الدخول في مفاوضات مع الأسقف جوزلين على أساس أن يسمح الباريسيون للنورماند بالمرور في مقابل تعهده بعدم مهاجمة المدينة[4]، لكن الأسقف رفض أن يسمح للنورماند بعبور المدينة لأنه يعتبر أن باريس جزء من المملكة ولا يمكن أن يسمح لنفسه بترك باقي المدن فريسة للقراصنة، وأمام هذا الرفض قرر النورماند محاصرة المدينة، حيث أقاموا لهم معسكرا في ضواحي باريس في رسالة إلى سكانها أن رجال الشمال لن يعودوا قبل دخولها.

بدأ حصار المدينة في شهر ديسمبر من سنة 885م واستمر إلى سبتمبر من السنة الموالية، وخلال ذلك صمد أهل باريس صمودا بطوليا إذ وبرغم انعدام الدعم من قبل الإمبراطور الضعيف شارل السمين، ورغم انتشار المجاعة والأمراض بين ساكنة المدينة إلا أن الكونت اودوEudes[5] أبى أن يتنازل ويقبل بشروط النورمان، بل قام بالتوجه سرا إلى الإمبراطور قصد طلب النجدة، حيث قام هذا الأخير وتحت ضغط كبار القادة بالتحرك صوب المدينة التي لم يصلها إلا في شهر سبتمبر، وبرغم وصوله المتأخر وتخاذله عن نصرة المدينة

[1]- Depping: op.cit. p 207.
[2]- N- R Tarrane: Le siège de paris par les normands en 885- 886.Paris.1834.p81.
[3]- Capefigue: op.cit. p182.
[4]- Capefigue: op.cit. p183.
[5]- أودوا 860– 898 م: كونت باريس وتروا ثم ملك فرنسيا الغربية في الفترة الممتدة بين 888و898 وهو ابن القائد روبرت القوي ووريثه في حكم كونتيات باريس، اورليان، بلوا، أصبح أهم شخصية في فرنسا بعد تمكنه من حماية باريس من غزو النورمان، انتخبه كبار المملكة ملكا على فرنسيا الغربية في مجمع كومبيان عام 888، وعرف عهده عدة مشكلات أهمها الغزو النورماني ومطالب شارل البسيط وريث الكارولنجيين باستعادة العرش.

وهو الإمبراطور التي اجتمعت تحت أيديه إمبراطورية شارلمان إلا أن الفرنجة استبشروا بقدومه وظنوا أنه سوف يسحق النورماند سحقا بما اجتمع لديه من جيوش جرارة، لكن حفيد شارلمان حطم أمال الجميع حيث طلب البدء في التفاوض مع النورمان، وجاءت نتائج المفاوضات لتزيد من حنق الفرنجة على عاهلهم المخبول فقد تقرر أن يدفع الإمبراطور للقراصنة 700رطل من الفضة وان يسمح لهم بالإغارة على إقليم برجنديا حتى ربيع العام الموالي[1]، وهكذا وجد الباريسيون أن تضحياتهم ذهبت هباء منثورا فهم الذين صمدوا أكثر من عشرة أشهر من اجل حماية باقي أقاليم المملكة قد أرغموا ليس من قبل المحاصرين بل من قبل ملكهم على السماح للنورماند بالمرور من اجل الإغارة على برجنديا.

لقد مثلت المعاهدة المهينة التي وقعها شارل السمين مع النورماند القطرة التي أفاضت الكأس بالنسبة للفرنجة اتجاه ملوكهم من الأسرة الكارولنجية، فمنذ رحيل شارلمان تعاقب على عرش إمبراطوريته ملوك ضعاف عاجزون همهم الوحيد محاربة بعضهم البعض، مما أوقع البلاد والعباد في حالة يرثى لها.

وهكذا فقد اتفق كبار الإمبراطورية على خلع شارل السمين، حيث تم تنصيب بطل باريس اودوا ملكا على فرنسيا الغربية [2]، و لم تكن مهمة أودوا سهلة فقد كانت المملكة في حالة كارثية حيث المدن مدمرة والمزارع مهجورة من قبل الفلاحين خوفا من غارات رجال الشمال، وهنا أدرك الملك الجديد أن مصيره مرتبط بقدرته على إيقاف وصد هجمات الفايكنج، حيث كان أول عمل قام به هو التوجه لملاقاة النورماند الذين عاثوا فساد في مدن منطقة الاردن Ardenne واللورين lorraine، أين نهبوا مدن تروا[3] Troyes تول[4] Toul وفردان[5] Verdun، واحرقوا مدينة مو Meaux، حيث وفي أثناء توجههم صوب مدينة ريمس بادرهم

---

[1]- Depping: op.cit. p 216

[2]- Henri martin: op.cit. p 495

[3]- تروا: مدينة تقع شمال فرنسا على نهر السين، تشتهر بصناعاتها الغذائية وخاصة بصناعة النسيج كما أنها تزخر بالعديد من المباني التاريخية مثل كاتدرائية القديس أوربان وكاتدرائية القديس بطرس، أسس الغاليون القدامى المدينة ثم وقعت تحت سيطرة الرومان لتصبح في العصور الوسطى مركزا تجاريا ذو أهمية إستراتيجية، يبلغ عدد سكانها حوالي 60ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1755.

[4]- تول: مدينة تقع شمال شرق فرنسا على نهر الموزيل تعتبر من أهم مدن إقليم اللورين، تشتهر المدينة بمبانيها التاريخية مثل كاتدرائية القديس إتيان وفندق المدينة الذي يعود بناءه إلى القرن الثامن عشر، تأسست المدينة إبان الحكم الروماني لغالة.، يبلغ عدد سكانها حوالي 20 ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. P 1771.

[5]- فردان: مدينة تقع شمال شرق فرنسا على نهر الموز، عرفت في العهد الروماني بفيرودونوم، شهدت المدينة توقيع معاهدة الصلح بين أحفاد شارلمان، كما كانت مسرحا لواحدة من أهم معارك الحرب العالمية الأولى، خضعت المدينة إبان الحرب العالمية الثانية للاحتلال الألماني. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1796.

الملك بالهجوم عند سهل مونتفوكون Montfaucon أين هزمهم شر هزيمة وأجبرهم على الخروج من حوض المارنMarne ، وتذكر المصادر أن هذه الموقعة حدثت في 24 جوان من سنة 888م[1] .

بعد خروجهم من حوض المارن اتجه النورماند جنوبا وقاموا بمهاجمة مدينة اوكسير Auxerre ثم اتجهوا شمالا صوب مدينة باريس وهنا آثر الملك أن يدفع لهم مبلغا من المال على أن يخرجوا من المملكة وذلك لانشغاله بتدعيم مركزه ومواجهة المؤامرات الهادفة إلى خلعه وتتويج شارل الثالث سليل شارلمان على عرش فرنسيا الغربية[2].

بعد تسلمهم للمبلغ المتفق عليه خرج النورماند من حوض السين واتجهوا صوب إقليم الفلاندر وهناك وفي ماي من سنة 891 م قاموا بمهاجمة مدينة سانت اومير التي قاومهم أهلها مقاومة شرسة مما جعلهم يحولون وجهتهم صوب حوض الموزيل أين هاجموا مدن تريف واكس لاشابيل، وعند وصول أخبار هذه الحملة إلى أسماع الملك ارنولف الكارنثيArnulf de Carinthie [3] ملك جرمانيا قرر معاقبتهم حيث تتبعهم وقام بمهاجمتهم عند مشارف مدينة لوفان[4] Louvain وانزل بهم هزيمة ساحقة في الأول من سبتمبر من سنة 891 م في معركة حاسمة عرفت في المصادر التاريخية بمعركة ديل[5].

لقد جاءت هزيمة النورماند الساحقة في معركة ديل كتتويج لتطور المقاومة الفرنجية ضد غزوات رجال الشمال فبعد فشلهم في باريس جاءت هزيمتهم في مونتفاكون على يد الملك اودو ثم هزيمتهم في ديل لتثبت لهم أن عهد اللاعقاب ولى وإن عليهم البحث عن بلاد أخرى إذ أرادوا الحصول على الغنائم، وقد جاءت هزيمتهم التالية في مونتبونسسيه Montpensier على يد الملك اودو صيف السنة التالية لتزيد من إدراكهم لهذه

---

[1]- Henri Martin: op.cit. p 496.

[2]- Depping: op.cit. p 224.

[3]- ارنولف الكارينثي: 850- 899 م ملك جرمانيا من 887 إلى 899 وإمبراطور الغرب 896- 899 م، ارنولف هو ابن كارلومان كبير أبناء لويس الجرماني، خلف عمه لويس السمين على عرش جرمانيا، وتميزت فترة حكمه بالحروب المستمرة ضد الهنغاريين في الشرق والنورمان في الغرب حيث وبفضل حزمه وقوته فقد تمكن من تحقيق انتصارات حاسمة على الأعداء ما أهله ليصبح أقوى زعيم في الغرب في نهاية القرن التاسع.

[4]- لوفان: مدينة تقع في وسط بلجيكا على وادي الديل تعتبر عاصمة إقليم البارينت، تشتهر لوفان بصناعاتها الغذائية حيث أنها تقع وسط أجود الأراضي في بلجيكا كما تشتهر المدينة بجامعتها ذات السمعة العالمية، تأسست إبان العهد الروماني ونظرا لموقعها الاستراتيجي فقد نالت اهتمام الميروفنجيين والكارولنجيين لتبلغ ذروة ازدهارها في بداية عصر النهضة تعرضت المدينة لتدمير شديد ابان الحربين العالميتين. أنظر:
Petit Larousse: op.cit. p 1526.

[5]- Depping: op.cit. p 228 .

الحقيقة[1]، حيث وبعد هذه الهزيمة اتجه النورماند صوب تدعيم مركزهم في المنطقة الواقعة عند مصب نهر السين، حيث أن هذه المنطقة ومنذ عقود أصبحت مستقرا للكثير من رجال الشمال، فهذه المنطقة الجميلة التي تتميز بأراضيها الخصبة ومناخها اللطيف استهوت النورماند حيث قاموا باحتلال اغلب مدنها مثل روان وبايوا Bayeux وايفرو Evreux، وتذكر المصادر أن المدينتين الأخيرتين تعرضتا لغارات مستمرة في الفترة بين عامي 890 و892 على يد من قدر له أن يصبح أول دوق لنورماندي، وهو الزعيم النورماندي رولو[2] Rollon أو هروف، حيث أدرك هذا النبيل النرويجي ضرورة الاستقرار في هذه المنطقة الغنية وتثبيت نفوذ النورماند فيها خاصة بعد أن أصبحت غاراتهم في باقي مناطق المملكة تنتهي في غالب الأحيان بالفشل الذريع، وقد زاد إدراك رولو لهذه الحقيقة عقب الهزيمة الفادحة التي مني بها عند أسوار مدينة شارتر[3] Chartres، حيث وفي بداية شهر جويلية من سنة 911 م هاجم النورماند بقيادة روللو المدينة ولدى وصول أنباء الهجوم إلى الملك شارل البسيط[4] سارع بإرسال ثلاثة من أشهر قادته لنجدتها حيث تمكن هؤلاء القادة من قتل أزيد من ستة ألاف منهم وكادوا أن يأسروا روللو نفسه لولا أنه سارع بالفرار والعودة إلى قاعدته في روان، وبعد عودته بقليل وصلت رسل الملك لتدعوه لبدء مفاوضات جادة تنهي أزيد من ثمانين سنة من الغزو البربري الذي لم يترك مدينة ولا قرية إلا وأتى عليها، فقد أراد الملك استغلال هذا الانتصار الكبير من اجل إجبار زعيم النورماند على توقيع معاهدة تضمن تامين حوض السين من غارات رجال الشمال، و لم يكن الملك هو الوحيد الذي يبحث عن السلام فقد كان رولو ورفاقه مقتنعين بضرورة توقيع معاهدة صلح وسلام مع الفرنجة، وهكذا وفي خريف عام 911 م وفي قرية سانت كلير الصغيرة التقى الملك شارل البسيط مع زعيم النورماند

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص187.

[2]- رولو: قائد اسكندينافي شهير يعتبر مؤسس دوقية نورماندي، ولد رولو في النرويج في أسرة نبيلة حيث كان والده حاكما لأحد الولايات النرويجية، اضطر للرحيل عن وطنه نتيجة لخلافه مع الملك هارالد هارفجارد حيث أصبح واحدا من ملوك البحار، وبعد حوالي ثلاثين سنة من التجوال بين فرنسا والجزر البريطانية تمكن من تأسيس إمارة شبه مستقلة عند مصب نهر السين حملت اسم نورماندي، وبفضل إدارته الحكيمة أصبحت هذه الإمارة أكثر إمارات بلاد الفرنجة استقرارا وازدهارا. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1685.

[3]- شارتر: مدينة تقع وسط فرنسا جنوب العاصمة باريس، تعتبر عاصمة مقاطعة الاور واللوار، تشتهر المدينة بكاتدرائيتها التي تعود للقرن الحادي عشر، كما تشتهر بمتحفها الفني، كانت شارتر عاصمة لأحد شعوب غالة القديمة ثم أصبحت في العهد الروماني مركزا دينيا للديانة الدرويدية، أحرقت المدينة من قبل النورمان في منتصف الفرن التاسع لتصبح فيما بعد مقرا لكونت إقليم الاور، وقعت المدينة تحت سيطرة الألمان إبان الحرب البروسية الفرنسية، يبلغ عدد سكانها حوالي الأربعين إلف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1269.

[4]- Lavisse Ernest: op.cit. p 400.

رولو، وتم الاتفاق على تنازل الملك لرولو عن دوقيات روان، إفرو، ليزيو[1] Lisieux وبايوBayeux [2] والتي شكلت ما يطلق عليه حاليا إقليم نورماندیا السفلى، في مقابل أن يتعهد زعيم النورماند بعدم مهاجمة المملكة كما يتعهد بمنع أبناء جلدته من الإغارة على أراضي حوض السين[3] كما قبل رولو اعتناق الديانة المسيحية حيث تم تعميده على يد الملك واصبح يحمل لقب الدوق روبرت، وللزيادة في إظهار حسن النية فقد قام الملك بتزويج ابنته جيزال إلى تابعه الجديد[4]، وعلى الرغم من أن الكثير من نبلاء الفرنجة كبر عليهم أن يتنازل ملكهم عن إقليم أصيل من أقاليم المملكة، إلا أن القارئ المتأني للوضع آنذاك يمكنه إدراك أن الإقليم كان واقعا عمليا تحت سيطرة رجال الشمال مند عقود، وأن ما قام به الملك لم يعدو أن يكون اعترافا بالأمر الواقع، وقد أثبتت الأحداث نجاح هذه التجربة التي آجراها شارل البسيط، إذ نزحت معظم جماعات الفايكنج المتناثرة في فرنسا ليعيشوا تحت حكم رولو في نورمانديا وبذلك يكون شارل قد ضحى بجزء من بلاده لينقذ بقية البلاد[5]، والمعروف عن الفايكنج أنهم أينما حلوا يظهرون مرونة كبيرة في تقبل حضارة وعادات وأوضاع أهالي البلاد الأصليين، لذلك لم يكد يمر قرن من الزمان على غزو النورماند لإقليم نورمانديا حتى أصبحوا فرنسيين في لغتهم ونظمهم وثقافتهم وان ظلوا محتفظين بكثير من مظاهر الحيوية والحماسة والعنف التي اتصف بها أسلافهم الأوائل، مما جعلهم يلعبون دورا مهما في حكومات فرنسا انجلتوا وايطاليا التي غزوها فيما بعد [6].

---

[1]- ليزيو: مدينة تقع غرب فرنسا حيث تتبع مقاطعة نورمانديا السفلى، تعتبر ليزيو مركزا مهما للصناعات الغذائية والالكترونية، تشتهر المدينة بأنها المقصد الأول للحج عند الكاثوليك في فرنسا، كما تشتهر بكاتدرائية القديسة ثيريزا الشهيرة، كانت ليزيو عاصمة لأحد شعوب غالة القديمة، انتقلت بعدها للإدارة الرومانية ثم الإفرنجية، لتشهد المدينة ذروة ازدهارها أيام الحكم النورماني. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1516.

[2]- بايو: مدينة فرنسية عريقة تابعة لإقليم نورمانديا السفلى، تعتبر بايو مركزا تجريا وزراعيا مهما في إقليم نورماندي، كانت المدينة عاصمة لشعب باجوكاس الغالي، ثم أصبحت مركز تجاري مهم إبان العهد الروماني حيث أطلق عليها اسم كافيتاس بايكازيزم، واحتضنت المدينة واحدة من أولى الأسقفيات في بلاد الفرنجة أما في العصر الحديث فتشتهر المدينة بأنها أول مدينة فرنسية حررت من الاحتلال الألماني، حيث تم تحريرها على يد الحلفاء بعد الإنزال في نورماندي، يبلغ عدد سكانها حوالي عشرين ألف نسمة. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p 1201.

[3]- Lavisse Ernest: op.cit. p 401.

[4]- Depping: op.cit. p 271.

[5]- سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق. ص 188.

[6]- سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق. ص 189.

المبحث الرابع: التمازج الحضاري بين النورماند والفرنجة

بعد تتبع مراحل توسع النورماند في بلاد الفرنجة وجب علي دراسة الأثر الحضاري لتمازج العنصرين النورماندي الوثني المستقر حديثا والإفرنجي المسيحي صاحب الأرض في الإمارة الجديدة، فقد اثر كل منهما على الأخر وتأثر به.

فالعنصر النورماندي المنتصر أخذ عن العنصر الفرنجي ديانته المسيحية الكاثوليكية[1] متخليا عن ديانته الوثنية، وقد استقبلت الكنيسة الكاثوليكية نبأ اعتناق زعيم النورماند رولو ورفاقه للمسيحية بفرح وابتهاج كبيرين ورأت أنه انتصار كبير للكاثوليكية وعادلت أهمية هذا الحدث التاريخي بتنصر زعيم الفرنجة كلوفيس الأول في القرن الخامس الميلادي، وبالفعل فقد أصبح أحفاد المتنصرين النورماند الأوائل من اكبر المدافعين عن البابوية في روما كما أنهم لعبوا دورا مهما في الحملات الصليبية ضد المشرق الإسلامي [2].

بالإضافة إلى الديانة نجد أن أحفاد المستوطنين النورماند الأوائل والذين كانوا في أغلبهم نتاج زواج مختلط بين الرجال النورماند والنساء الإفرنجيات قد اخذوا يتحدثون بلغة الفرنجة، لكنهم ظلوا يستخدمون الكثير من المصطلحات المأخوذة من اللغة الدنمركية القديمة، فمثلا مصطلح Rochers الذي يعني الصخور أطلق عليه النورماند من أحفاد رولو ورفاقه لفظ Falaise المشتق من المصطلح الدنمركي Fjoelde ومصطلح جزر les iles عرف عند سكان مقاطعة نورماندي بـــ Houlmes المشتقة من المصطلح الدنماركي Holm[3]، وقد حافظ النورماند على استخدام اللغة الفرنسية بعد انتقالهم إلى بريطانيا أيام الدوق وليم الفاتح Guillaume le conquérant حيث ظلت لمدة قرن من الزمان لغة البلاط الانجليزي في لندن، كما استخدمها الأمراء النورماند الذين حكموا صقلية من أمثال روجر الأول Roger I وابنه روجر الثاني[4] Roger II .

بالإضافة إلى اللغة والدين نجد أن أحفاد النورماند الأوائل قد تبنوا النظم القضائية التي وجدوها عند الفرنجة والتي كانت في الأصل مطبقة منذ عهد السيطرة الرومانية على غاليا، لكن رغم ذلك فإن النورماند قد

[1]- Lavisse: op.cit. p 400.
[2]- Lavisse: op.cit.. p 401.
[3]- Depping: op.cit. p 334.
[4]- Capefigue: op.cit. 324.

حافظوا على أحد طرق تطبيق القانون التي عرفوها في وطنهم الأصلي وهي المسماة ب الأوردالي Ordalie القائمة عندهم على مبدأ العدالة الإلهية حيث يتبارز المتخاصمان ومن ينتصر يعتبر هو صاحب الحق، وقد انتشر هذا المبدأ فيما بعد في أجزاء واسعة من أوروبا[1].

و لم يقتصر تأثر النورماند بالفرنجة على الأخذ بديانتهم ولغتهم ونظمهم بل شمل تقليدهم لنمط العمارة الذي عرف عند الفرنجة وهو النمط القوطي Architecture Gothique، حيث تعتبر الكاتدرائية التي التي شادها الدوق وليم الأول الفاتح في مدينة كان Caen وهي Abbaye aux Hommes والتي بنيت عام 1054م على شاكلة كاتدرائية القديس جرمان في باريس من أهم أمثلة هذا التأثر، وقد نقل النورماند معهم هذا النمط حينما استولوا على الجزيرة البريطانية وصقلية[2]، حيث تعتبر كل من كاتدرائيتي إلى Cathédrale D'Ely في انجلترا ومونريال قرب مدينة باليرمو Palerme من أهم أمثلة البناء القوطي النورماندي على الإطلاق.

وان كان المجتمع الجديد الناتج عن تزاوج العنصرين النورماندي والإفرنجي قد صبغ في مجمله بالصبغة الإفرنجية فإنه حافظ على ارتباطه بجذوره النورماندية ويظهر ذلك من خلال حفاظ العنصر الجديد على روح المغامرة وحب الغزو التي كانت عند أجداده الاسكندينافيين، ولا أدل على ذلك قيام الدوق وليم الأول الفاتح والذي يعتبر من الجيل السادس من أحفاد الدوق رولو بغزوته الناجحة لانجلترا عام 1066م[3] وكذا قيام روبرت جوسيكارد Robert Guiscard وأخيه روجر الأول وهما نبيلان نورمانديان بطرد المسلمين من صقلية وجنوب ايطاليا[4].

ومن بين أهم التأثيرات التي أحدثها دخول العنصر النورماندي في نسيج المجتمع الإفرنجي في مقاطعة نورماندي هو تغيير الكثير من العادات السيئة لديه مثل الخمول والكسل والسلبية، كما دخلت عليه عادات وسلوكيات جديدة، حيث يذكر المؤرخون الغربيون أنه كان للنورماند دور كبير في تطور نظام الفرسان وما حمله معه من سلوكات وأخلاق، صحيح أن النورماند ارتكبوا جرائم بشعة أثناء غزواتهم التي قاموا بها في فرنسا وغيرها من البلاد، لكنهم كانوا يقومون بذلك على اعتبار أن الفرنج أعدائهم، لكن النورماند تميزوا في

[1]- Capefigue: op.cit. p 63.
[2]- Depping: op.cit. 344.
[3]- Lavisse: op.cit. p 401.
[4]- Capefigue ،Op.cit ،p 324.

مجتمعهم ببعض العادات المستحبة مثل احترام المرأة، وعدم الغدر أثناء القتال كما تميزوا بالشجاعة وعزة النفس وهي السلوكيات التي نقلوها إلى المجتمع الذي اختلطوا به في نورماندي [1].

كما كان تأثير العنصر النورماندي واضحا على الإنتاج الأدبي الذي ظهر في فرنسا في القرن الحادي عشر، فحتى ذلك الوقت كان الإنتاج الأدبي في فرنسا وعلى قلته مجرد محاولات مشوهة لتقليد كتابات المؤلفين والشعراء والفلاسفة الرومان الكلاسيكيين مثل شيشرون Cicéron وفيرجيل Virgile وهوراس Horace، لكن بداية من هذا القرن ظهر طابع جديد في الكتابة عند الفرنجة هو الطابع الرومانسي والأسطوري، حيث اتفق المؤرخون الغربيون المتخصصون على أن الكتابات الأدبية الفرنسية قد تأثرت بالطابع الذي كان معروفا عند الاسكندينافيين، حيث ظهرت القصص التي تتحدث عن بطولات الفرسان والأبطال مثل القصة الأسطورية عن رحلة الإمبراطور شارلمان إلى القسطنطينية وقصة الفارس تريستان ومعشوقته ابنة الملك الايرلندي ايزولد yseult وهي القصص التي تتشابه من حيث المعنى والأسلوب، مع قصص الأدب الأيسلندي الذي كان في عصره الذهبي آنذاك [2].

بالإضافة إلى كل هذا فقد كان لدخول العنصر النورماندي في نسيج المجتمع الفرنجي دور كبير في تطور حرفة الصيد البحري، فقبل استقرار النورماند في فرنسا كانت صناعة الصيد البحري محدودة لكن دخول العنصر النورماندي المتمرس في هذه الحرفة التي كانت مصدرا مهما من مصادر قوته اليومي أعطى دافعا كبيرا لهذه الحرفة حيث اشتهرت عدة مرافئ للصيد في نورماندي مثل مرافئ فيكامب Fécamp ولوهافر le Havre التي كانت تصطاد فيها كل أنواع الأسماك المنتشرة في المحيط، الأطلنطي مثل البالين والتونة [3].

بالإضافة إلى أسطول الصيد الذي شهد طفرة نوعية بعد استقرار النورمان، فإن الأسطول الحربي الفرنسي عرف تقدما غير مسبوق، فالنورماند معروفون بتفوقهم فيما يخص شؤون البحر كما كانت سفنهم الحربية تملك ميزات مفقودة عند بقية الأساطيل، وقد كان لاستقرار النورماند في فرنسا دور كبير في بعث صناعة السفن الحربية الفرنسية، وخير مثال على هذا التطور الذي عرفه الأسطول هو ما تذكره المصادر

---

[1]- Depping: op.cit.p 342.
[2]- Capefigue: op.cit.p 340.
[3]- Depping: op.cit.p 343.

التاريخية عن ضخامة حجم الأسطول الذي امتلكه دوق نورماندي وليم الفاتح والذي مكنه من غزو بريطانيا عام 1066 م، وهو الأسطول الذي لم ترى له فرنسا له مثيلا على الإطلاق [1].

ويمكن القول أنه كان لهذا التمازج بين الثقافتين الفرنسية والنورماندية والذي سمح بميلاد مجتمع جديد دور كبير في جعل دوقية نورماندي أكثر الإمارات الفرنسية قوة وازدهارا، حيث أخذ هذا المجتمع الجديد أحسن خصائص العنصريين المشكلين له وكون مجتمعا أحسن.

[1]- Depping: op.cit. 344.

الفصل الثالث:

الغزو النورماندي لإسبانيا

المبحث الأول: غارة النورماند الأولى ضد إسبانيا 229 هـ / 844م

المبحث الثاني: غارات النورماند الثانية والثالثة 245- 247هـ / 859 – 861 م

المبحث الثالث: اشتداد الغارات النورماندية على إسبانيا 355- 360- 361 هـ 966 – 970- 971 م

المبحث الأول: غارة النورماند الأولى ضد إسبانيا 229 للهجرة / 844م

بعد أن أوغل النورماند عبر نهر الجارون ودفعوا بحملتهم الناهبة إلى تولوز في عام 229 للهجرة = 844م كما سبق وأن ذكر في الفصل السابق، كانت إحدى تشكيلاتهم الحربية قد أوغلت بعيدا إلى الجنوب نحو سواحل آشتورياس Austurias الشمالية، ونزلت بالقرب من خيخون Gigon بغية نهبها ثم أغاروا على إقليم جيليقية أو غاليس Galicia بالقرب من كوروونياCoruna [1] فتصدى لهم ملك آشتوريس راميروا الأول Ramiro I وأجبرهم على العودة إلى مراكبهم والتحم الأسطول الإشتوري معهم في معركة بحرية وأحرقوا سبعين سفينة من سفنهم[2]. فكانت هذه أولى غارات النورماند على الشواطئ الاسبانية ومن هناك اتجهوا صوب سواحل الأندلس المطلة على المحيط الأطلنطي [3].

ووصلت مراكبهم إلى سواحل مدينة إشبونة [4] Lisbonne الأندلسية غرة ذي الحجة من عام229 للهجرة – آب أغسطس 844 م [5].

وما أن ظهرت مراكبهم هناك حتى ورد كتاب وهب بن حزم[6]عامل مدينة لشبونة إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم الربضي يذكر أنه حل بالساحل قبله أربعة وخمسون مركبا من مراكب المجوس ومعها أربعة وخمسون قاربا أيضا، ويصف ابن عذارى ظهورهم بساحل اشبونة فيقول: "فخرج المجوس في نحو

---

[1]- Provençal.L: Histoire de l’Espagne musulmane: Leiden ،1950 ،Tome Premier ،p 219.

وهنا يتضح لنا بجلاء كيف أن النورمان كانوا يهاجمون عدة أماكن متفرقة في نفس الوقت.

[2]- Dozy.R: Recherches sur l 'Histoire et la littérature de L ' Espagne ،Amsterdam ،Tome Premier ، 1905 ،P 250.

[3]- Provençal: op.cit. p ،219.

[4]– إشبونة: إحدى مدن الأندلس ويقال لها أيضا لشبونة، وهي قريبة من البحر المحيط، الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 331، ويذكر الحميري بأن أشبونة من كور باجة المختلطة بها وتقع غربيها نحو البحر المظلم، وهي عاصمة البرتغال الحالية، أنظر الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 2، 1984م، ص 61.

[5]– النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب. تحقيق أحمد كمال زكي، محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ج 23، ص 384.

[6]– وهب بن حزم: كان حاكم مدينة لشبونة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم و لم نجد له ترجمة في المصادر المعتمد عليها في هذا البحث.

ثمانين مركبا، كأنما ملأت البحر طيرا وجونا [1]، كما ملأت القلوب شجوا وشجونا"[2] فكتب الأمير عبد الرحمن إلى عمال السواحل يأمرهم بأخذ الحيطة والحذر.[3]

وهنا تجدر الإشارة إلى يقظة عمال السواحل في الوقت الذي لم يسبق وأن تهددهم خطر من تلك الجهات الغربية.[4]

ويرى العدوي أنه "لما كانت تلك الجهات الإسلامية من بلاد أسبانيا قريبة من أراضي الأسبان المسحيين الخارجين على طاعة الأمير الأموي فإنه أقام [الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم] بها حاميات للحراسة والمراقبة لذا أحس حاكم أشبونة وهو وهب بن حزم بالخطر الجديد"[5].

وكأنه يشير إلى توقع المسلمين لمباغتة الأسبان لهم من خلال تلك السواحل لهذا تنبه عمال السواحل بسرعة لأولئك الغزاة بمجرد قربهم من سواحل أشبونة.

بينما يؤكد حسين مؤنس بأن الأندلسيين لم يكونوا ينتظرون أي خطر يتهددهم من تلك الجهات[6].

ونحن وإن كنا لا نجزم بعدم صحة الرأي الأول إلا أنه مستبعد لسببين:

أولا: أن الاسبان فضلا عن خبرتهم الطويلة في شن الغارات البرية فانهم كانوا يدركون أن سبب بقائهم وقوتهم يكمن في احتمائهم بالجبال الوعرة في أقصى الشمال، فلم يكونوا ليعرضوا أنفسهم لمخاطر البحرية في الوقت الذي تؤمن لهم فيه الغارات البرية قدر كبير من السلامة [1].

---

[1]- الجون: بفتح الجيم والجمع جون بضمها، ولها معاني كثيرة، فالجون من الإبل والخيل هو الأدهم شديد السواد والجون في النبات هو الضارب إلى السواد من شدة خضرته، والجون من القطا هو الضارب من القطا سود البطون والأجنحة، انظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1997 م، م 1، ص 492، والمعنى المقصود في هذا النص هو الإشارة إلى أشرعة مراكب المجوس التي كانت سوداء. انظر: العدوي: المسلمون والجرمان، ص 286.

[2]- ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط 3، 1983، ج 2، ص87 – 88.

[3]- العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص 98.

[4]- مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس بين 229 – 245 للهجرة / 844 – 859 م، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، 1949 م، ص 31.

[5]- العدوي: المسلمون والجرمان، ص 284.

[6]- مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 31.

ثانيا: أن أساطيل الأسبان في جيليقية لم يسبق لها وأن جابت مياه المحيط الأطلسي بمحاذات السواحل الأندلسية لكي تخشى حكومة قرطبة من حلولهم بسواحلها، لذلك فإننا نرى أن وجود حاميات الحراسة والمراقبة بتلك السواحل لا يعدو كونه إجراء احتياطيا يدل على ما تمتعت به حكومة قرطبة من بصيرة ثاقبة.

وأيا كان الامر فقد أقام الدانيون بأشبونة ثلاثة عشر يوما، عاثوا خلالها في المدينة واشتبكوا مع المسلمين في معارك شديدة كان من شأنها إجبارهم على العودة إلى سفنهم[2].

ويبدو أن هذه الغارة النورمانية كان الهدف منها سلب ونهب خيرات الأندلس وإضعاف قوة المسلمين واكتشاف نقاط الضعف في تلك المناطق[3].

وسار النورماند بعد هجومهم على إشبونة بمحاذاة الساحل حتى وصلوا إلى ميناء قادسCadiz[4] ثم توجهوا نحو شذونةSidona[5] وهاجموها أيضا[6] ثم عادوا إلى مصب نهر الوادي الكبير واحتلوا جزيرة

---

[1]- للمزيد من شمال الأندلس وبلاد جيليقية، انظر مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 34، المقري: نفح الطيب، ج 1، ض 264 – 265

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت، 1965 م، م 5، ص 272.

[3]- العدوي: المسلمون والجرمان، ص 285

[4]- قادس: جزيرة بالقرب من الأندلس، طولها أثنا عشر ميلا، وبها أبار مياه عذبة وفيها أثار قديمة، الحميري: الروض المعطار، ص 448، القزويني: أثار البلاد: ص 550، ويذكر الزهري، بأن مدينة قادس تقع على ضفة البحر الأعظم إلى الجنوب من اشبيلية وفي شرقيها يجري النهر الأعظم المسمى بوادي لكة، الزهري: كتاب الجغرافية ص 89. ويصف شكيب أرسلان، هذه الجزيرة بدقة فيذكر بأنها ليست بجزيرة تامة، وذالك لأنها ترتبط بالبر بخيط دقيق من التراب قليل العرض لا يزيد على أمتار معدودات، وهو أيضا غير مستطيل. أرسلان: الحلل السندسية، ج 1، ص 307.

[5]- شذونة: بضم الشين المعجمة وضم الدال المعجمة أيضا، وكورة شذونة متصلة بكورة مورور، وتقع إلى الغرب من العاصمة قرطبة، ابن الشباط، صلة السمط، ص 135، 169. كما أنها تقع جنوب شرق مدينة قادس. البكري، ص 125، ويصفها الحميري بأنها كورة جليلة القدر، جامعة لخيرات البر والبحر وبها أثار كثيرة للأولين. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص 339.

[6]- ويذكر بعض الكتاب هنا أن سفن النورمان بعد رحيلها عن مياه إشبونة تفرقت إلى وحدات صغيرة بعضها هاجم قادس والبعض الأخر هاجم شذونة، ويرجعون هذا القول إلى ابن عذارى، انظر محمد السيد الوكيل، الأمويون بين الشرق والغرب، الأمويون في الغرب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ق 2، ص 251. سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص 235. والواقع أن ابن عذارى لم يصرح بتفرق سفن النورمان إلى وحدات صغيرة، ولكنه قال: "فحلوا بإشبونة ثم إلى قادس، إلى شذونة، ثم قدموا على اشبيلية". ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 87. ويعلل حسين مؤنس ذلك القول بأن الفترة القصيرة التي استطاع فيها النورمان أن يهاجموا أشبونة وقادس وشذونة، تدل على أن أسطولهم تفرق إلى شعب كثيرة، ظل بعضها في اشبونة ونواحيها وطرق بعضها الأخر ما مر به من الموانئ ثم تجمع الأسطول بأكمله للإغارة على اشبيلية، انظر مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 32. ولكننا إذا رجعنا للمصادر التاريخية الأخرى لتحقق من هذا الأمر فإنها تفيد بمهاجمة الدانيين لقادس ثم شذونة ولا تذكر تفرق سفنهم، انظر ابن الأثير: الكامل، م 5، ص 272، النويري: نهاية الإرب، ج 23، ص 383. وإذا كان النورمان قد رحلوا عن مياه أشبونة في 13 ذي الحجة عام 229 للهجرة، ووصلوا إلى جزيرة قبطيل في 8 من المحرم عام 230 للهجرة فهذا يعني أنهم مكثوا 25 يوما في مياه المحيط، وهي كافية لمهاجمة قادس، ثم شذونة وفي اعتقادي إن الذي دفع الكاتب لذالك القول هو ما عرف على النورمان منذ بداية غاراتهم على أوروبا من مهاجمتهم لاماكن متفرقة في الوقت عينه.

قبطيل[1] Coptel الواقعة عند مدخل هذا النهر، وعسكروا بها ثلاثة أيام[2] ولما كانت هذه الجزيرة تقع عند مدخل النهر المفضي إلى مدينة اشبيلية[3] كان لها أهميتها الكبيرة بالنسبة للغزاة فبالإضافة إلى ما احتفت به هذه المدينة من الخيل والماشية والمزارع، فإن الغزاة اتخذوها قاعدة لهجومهم على إشبيلية ولحماية ظهورهم في حالة الانسحاب[4].

ثم هاجم الدانيون قرية قورة[5] Coria de Rio الواقعة على بعد اثني عشر ميلا من اشبيلية، فخرج إليهم أهلها واشتبكوا معهم في 12 محرم، ولكن المسلمين هزموا واستشهد عدد كبير منهم.

وأقام النورماند في قرية قورة بقية يومهم ثم دخلوا إلى طبلاطة[6] Tablata على بعد ميلين من إشبيلية ونزلوها في في 13 محرم ليلا وظهروا في اليوم التالي بموضع يقال له الفخارين[7] Alfareros، وهناك خرج إليهم الأهالي واشتبكوا معهم ولكن المسلمين هزموا مرة أخرى وكثر القتل والأسر فيهم.

---

[1]– جاء في الروض المعطار تحت مادة القبطيل "هو مفرغ وادي اشبيلية في البحر، ويعرف أيضا بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس، واحتفروا حوله خندقا أثره باق حتى الآن"، الحميري: الروض المعطار، ص 454. بينما يفهم من المصادر الأخرى أن القبطيل هي أحدى جزر اشبيلية القريبة منها، انظر العذري: ترصيع الاخبار، ص 98. ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 87. وهو ما تؤكده المراجع الحديثة، انظر: ارسلان: الحلل السندسية، ج 1، ص 83، عبد الرحمن بن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ط 1، 1396 للهجرة، ص 231. أنظر:

Provençal: op.cit. ،1p 220.

[2]– العذري: ترصيع الأخبار، ص 98.

[3]– إشبيلية: من أعظم مدن الأندلس وأكبرها وتشرف على نهر الوادي الكبير الذي يضاهي في عظمته نهري دجلة والنيل ويطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، وكانت إشبيلية، قديما قاعدة ملك الروم، وبها كان كرسيهم الأعظم انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 232، ويذكر البكري أن أصل تسمية هذه المدينة باللاتيني هو إشبالي ومعناها المدينة المنبسطة والذي بناها هو يوليوس قيصر Julius Caesar. انظر البكري: المصدر السابق، ص 107 – 109، شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج 1، ص 197- 199.

[4]– الوكيل: الأمويون في الشرق والغرب، ق 2، ص 251. الشعرواي: الأمويون أمراء الأندلس، ص 319، 320.

[5]– قورة: هي قرية من قرى اشبيلية بالأندلس، وتقع نهر الوادي الكبير، انظر العذري: ترصيع الأخبار، ص 174.

[6]– طبلاطة: ووردت عند ابن عذارى وابن الأثير والنويري طلياطة، وقد ذكرها ابن حيان في المقتبس طبلاطة وهو الأصح، وتقع هذه المدينة على نهر صغير غربي الوادي الكبير على بعد اثني عشر ميلا شمالي اشبيلية، انظر مؤنس غارات النورمانيين على الأندلس، ص 37.

[7]– الفخارين: حي من أحياء اشبيلية انظر العذري: المصدر السابق، الحواشي، ص 175. وتجدر الإشارة إلى أنه بمدينة غرناطة باب يدعى باب الفخارين ويقع اتجاه القرية المسماة بالفخار، وهي من أطراف غرناطة الشمالية، انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، الحاشية، ص 194.

ثم مضى النورماند بمراكبهم حتى نزلوا جوفا من اشبيلية[1]، ويبدوا أن سكان هذا الجوف من اشبيلية قد فروا ذعرا مما مكن الغزاة من النزول من مراكبهم ودخولهم لهذا الجزء من المدينة دون مقاومة تذكر، ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابن القوطية يقول: "وأخلى أهل اشبيلية وفروا منها إلى قرمونية وإلى جال اشبيلية، و لم يتعاط أحد من اهل الغرب مقاتلتهم"[2] غير أن سياق الأحداث يثبت أن القسم الأكبر من سكان المدينة قد آثروا المقاومة على الفرار، حيث دارت بينهم وبين الغزاة معركة عنيفة في يوم الأربعاء 14 محرم؛ دارت فيها الدائرة على المسلمين وكان فيهم من السبي والقتل ما لا يوصف واستباح النورماند بعد ذلك المدينة واعملوا سيوفهم في كل ذي روح من الرجال والنساء والصبيان والدواب وكل ما وصلت إليه أيديهم، ثم دخلوا حاضرة اشبيلية وأقاموا فيها بقية يومهم، ثم عادوا إلى مراكبهم غداة يوم الخميس[3]، متوجهين إلى القاعدة التي اتخذوها من قبل وهي جزيرة القبطيل لكي يتخففوا من الغنائم التي غنموها ويعودوا ثانية إلى اشبيلية [4].

فلما تم لهم ذلك وعادوا إلى اشبيلية وجدوها خالية لا يعمرها أحد سوى جماعة من الشيوخ الذين لجأوا إلى أحد مساجدها فقتلهم الغزاة، فسمي هذا المسجد منذ ذلك الحين مسجد الشهداء [5].

ويصف ابن القوطية ما فعله أولئك الغزاة بمسجد اشبيلية بقوله: "أنهم كانوا يحمون سهامهم في النار ويرمون بها سماء المسجد، فكان إذا احترق ما حول السهم سقط وأثار السهام في سمائه إلى وقتنا هذا ظاهرة، فلما يئسوا من إحراقه جمعوا الخشب والحصر في إحدى النفاطات [6] ليدخلوا النار وتتصل بالسقف[7].

---

[1]- الكبسي: غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، السنة الرابعة عشر، 1989 م، العدد 40، ص 146.

[2]- قرمونية: ويقال لها أيضا قرمونة Carmona بفتح القاف وسكون الراء وضم الميم وسكون الواو وأخره نون وتاء تأنيث، انظر: ابن الشباط، صلة السمط، ص 138، وتقع قرمونة إلى الشرق من اشبيلية وهي مدينة كبيرة يحيط بها سور من بنيان الأولين، وهي حصينة ممتنعة على المحاربين إلا من جهة الغرب، وبها دار صناعة ومخزنا للسلاح بنيت بعد غزو النورمان الأول للأندلس، الروض المعطار، ص 461. الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص375. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 79.

[3]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 98.

[4]- الوكيل: الأمويون بين الشرق والغرب، ص 83.

[5]- مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 34، وهذا المسجد هو المعروف بجامع القاضي عمر بن عديس. انظر: السيد عبد العزيز سالم، أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار إشبيلية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، 1974 – 1975 م، م18، ص 134 – 135.

[6]- النفاطات: أدوات تعمل من النحاس يرمى فيها بالنفط والنار. انظر: ابن منظور: لسان العرب، ص 235

[7]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 82.

واستمر عبث النورماند في اشبيلية لمدة سبعة أيام[1].

وهنا لا بد أن نتعرف على الأسباب التي ساعدت الغزاة على اقتحام مدينة اشبيلية بهذه السرعة، وتتلخص في:

1- أن هجوم الغزاة على اشبيلية كان شبه مفاجئة لأهلها الذين لم يتوقعوا مهاجمة العدو لمدينتهم بسبب بعدها النسبي عن الساحل الجنوبي، إذ أنهم لم يلقوا بالا للوادي الكبير الذي سلكه الغزاة لهذا لم يكونوا مستعدين لملاقاة العدو والتصدي له[2]، كما فعل أهل أشبونة الذين أرغموا الغزاة على مغادرة المدينة[3].

2- قوة الغزاة وإستعداداتهم الحربية وخبرتهم البحرية التي كانت قد وصلت إلى مسامع أهل اشبيلية، فقد وصفوا بأن لهم شدة وبأس وقوة جلد على ركوب البحر، وكانوا متى ما خرجوا خلت منهم سواحل البحر مخافة منهم[4].

هذا بالإضافة إلى ما عاينه الأهالي من القتل والتخريب واستعمال الغزاة للسهام النارية التي كانوا يرمون بها فتنتشر بها اللهب في كل مكان الأمر الذي روع المسلمين بالغ الترويع ودفعهم للفرار [5].

3- استخدام الغزاة لأساليب حربية جديدة كانت تقوم على أساس الغارات السريعة الخاطفة والمتلاحقة وهذه الأساليب لم تكن مألوفة عند الأندلسيين[6].

---

[1]- ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ص 88.

[2]- الكبسي: غزوات النورمانيين، ص 147.

[3]- انظر النويري: نهاية الأرب، ج 23، ص 383، ابن الأثير: الكامل، م 5، ص 272.

[4]- الزهري: كتاب الجغرافية، ص 92.

[5]- مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 35.

[6]- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 4، 1975، ص 51، الشعرواي: الأمويون أمراء الأندلس، ص 321.

بالإضافة إلى ما امتازت به غارات العدو من التنظيم ففي الوقت الذي قام فيه قسم منهم بمهاجمة المدن والقرى الساحلية والتوغل فيها ظل القسم الأخر على الشاطئ لحماية خطوط العودة والمحافظة على المراكب [1].

4– في الوقت الذي هاجمت فيه جموع النورماند مدينة إشبيلية كانت – على حد قول ابن سعيد المغربي عورة، أي غير مستورة، مما سهل على النورماند اقتحامها[2].

وهكذا حلت الكارثة بهذه المدينة، وكان الأمير عبد الرحمن قد أستنفر الناس بقرطبة وكتب إلى عمال الكور[3] يأمرهم باستنفار الناس[4].

وبدأ يعد قواته للمسير نحو اشبيلية ومواجهة العدو فبعث بقوة من الفرسان وقدم عليهم الحاجب عيسى بن شهيد[5]، ثم أردفها بقوات أخرى بقيادة عبد الله بن المنذر وعبد الواحد الاسكندراني [6]وعبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة[7].

---

[1]– خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة، الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 185

[2]– ابن سعيد المغربي: المغرب، ج 1.

[3]– الكور: مفردها كورة، وهو مصطلح يطلق على الأقسام الإدارية في الأندلس، وكان هذا التقسيم على أساس الكور متبعا في الأندلس عدا الثغور، انظر مؤنس: فجر الأندلس، الدار السعودية، ط 2، 1405 للهجرة، 1985، ص 576- 577.

[4]– ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 87.

[5]– عيسى بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح، كان جده مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم أما والده شهيد فقد دخل على الأندلس في أيام عبد الرحمن الداخل، واشتهر عيسى بالحلم والوقار والحصافة والعلم، وتقلد في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط عدة مناصب فولاه خطة الخيل ثم استوزره وولاه النظر في المظالم، وتنفيذ الأحكام ثم استحجبه ثم صرف عن الحجابة ولكن الأمير عبد الرحمن أعاده إلى الحجابة مرة أخرى وبقي حاجبا للأمير عبد الرحمن إلى أن توفي الأمير واستمر في منصب الحجابة في عهد ابنه الأمير محمد ولكنه توفي بعد خمس سنوات من ولاية الأمير محمد والواقع أن أسرة بني شهيد من أكبر الأسر الأندلسية وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة، وقد تصرف أفرداها لخلفاء بني أمية في الخطط الكبرى في القيادة والكتابة والوزارة والحجابة إلى أن انتهت الأسرة المر وانية. انظر: ابن حيان المقتبس، ترجمة مكي، ص 166 – 167، 265 – 266، ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 1، ص 238.

[6]– عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني: كان أحد وزراء الأمير عبد الرحمن بن الحكم ويذكر أنه قدم إلى الأندلس حدثا متطرفا، وكان ينشد شيئا من الغناء، فاتصل بالحاجب عيسى بن شهيد، فلما رأى منه نجابة وكفاية، نصحه بأن يمسك عن الغناء ويكتفي بأدبه وفضله ففعل وأوصله الحاجب إلى الأمير عبد الرحمن فقربه وولاه المدينة ثم ارتقى بعد ذالك إلى الوزارة والقيادة، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 89، ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، ص 168.

[7]– عبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي: وهو من أسرة ذات رياسة ونباهة كما أشار لذالك ابن حزم، وجده ثعلبة بن عبيد كان من وجوه أهل فلسطين أي ساكني شذونة والجزيرة الخضراء، وكان له دور بارز في تأييد عبد الرحمن الداخل، وإرتفعت مكانته لديه، وعهد إليه بمهام عسكرية كبرى واشتهر بعد ذالك من أفراد هذا البيت عبد الرحمن بن كليب المذكور، وإخوته عبد الله وعامر ومحمد وعبد الملك، وكانوا ممن أضطلع بمهام كبيرة في عهد بني أمية، انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص 421، مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 48، ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، الحواشي، 236.

فتوجه هؤلاء القادة نحو إشبيلية، ونزلوا بموضع مشدوم[1] يقع بشرق إشبيلية، فلما أحس بهم الغزاة تراجعوا إلى مراكبهم، فأحجم المسلمون عنهم ولم يتعقبوهم[2] ويبدو أن توقف القادة عن ملاحقة العدو والقضاء عليه قد أغضب الأمير عبد الرحمن فأمر باستدعائهم وأسند القيادة إلى محمد بن سعيد بن رستم[3] الذي تحرك بسرعة بجيشه ومن انضم إليه من الأجناد حتى نزل بحاضرة اشبيلية[4].

ولم تقف جهود الأمير عبد الرحمن عند هذا الحد، بل واصل العمل من أجل حشد أكبر عدد ممكن من القوات لمواجهة خطر هذا العدو الذي نظم نفسه في جماعات صغيرة كانت تضرب ضربات خاطفة ثم تعود في سرعة البرق دون أن يلحقها أي أذى، وهذا ما يسمى عسكريا أسلوب الكر والفر وأسلوب حرب العصابات، وقد استعانوا في ذلك بالخيول التي كانوا قد استولوا عليها بعد سيطرتهم على جزيرة قبطيل[5].

وسرعان ما اهتدى الأمير عبد الرحمن إلى ضالته عند قوات الثغر الأعلى التابعة آنذاك لموسى بن قسي[6] وهو من أبناء أسرة طال عهدها بإدارة تلك الجهات من الأطراف الأندلسية، وكانت تلك القوات تجيد حرب العصابات الجبلية التي لم تكن لتخمد نارها بين أهل الثغر، ونصارى الشمال في المناطق الجبلية المتاخمة لهم

---

[1]- ويذكر ابن عذرى أن هؤلاء القادة قدوا نزلوا بالشتاء. وهو جبل شريف البقعة. دائم الخضرة اشتهر بكثرة أشجار الزيتون وسمي بذالك لأنه مشرف على ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب إلى الشمال، وبين الشرف واشبيلية ثلاثة أميال. انظر: انظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 87، الحميري: الروض: ص 339.

[2]- العذري ترصيع الاخبار، ص98.

[3]- محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي، مولى الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان أديبا حكيما، وجد والده هو مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب، ويذكر ابن الآبار أن والده كان قد دخل إلى الأندلس في عهد الحكم الربضي، واتصل ابنه محمد بن سعيد المترجم له هنا بالأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم قبل ولايته الإمارة حينما كان يلي لأبيه عمل شذونة في جنوب الأندلس، واستقر محمد هذا في ناحية الجزيرة الخضراء، فلما ولي عبد الرحمن الأوسط الإمارة استقدمه واصطنعه وتصرف له غي الحجابة، والوزارة وغيرها من خطط الدولة، انظر ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 372.

[4]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 98.

[5]- العدوي: المسلمون والجرمان، ص287 .

[6]- موسى بن موسى بن فرتون بن قسي، أشهر أفراد هذه الأسرة التي ملكت الثغر الأعلى منذ القرن الثاني الهجري وحتى القرن الرابع، وكان جده قسي حاكم الثغر الأعلى في أواخر أيام القوط، فلما افتتح المسلمون الأندلس لحق بالشام وأسلم على يد الوليد بن عبد الملك ودخل في ولائه، وتعاقب بنوه من بعده على رئاسة الثغر الأعلى ولما استلم موسى حكم الثغر ظل على ولائه للأمير عبد الرحمن الأوسط حتى تعرض على أمواله وضياعه على يد عبد الرحمن وعامر ابنا كليب بن ثعلبة الجذامي، فكان ذالك سبب انقباضه عن الطاعة، ولكنه عاد بعد ذالك، ثم خرج على الطاعة من من جديد أكثر من مرة، وكانت وفاته في عام 248– 862 م وخلفه على حكم الثغر ابنه فرتون، انظر: جمهرة ابن حيان: المقتبس، تحقيق مكي، الحواشي، ص 235 – 236، ابن القوطية: تاريخ، أنساب العرب، ص 502 افتتاح الأندلس: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 111، العذري: ترصيع الأخبار، ص 29 – 31.

وكان اختيار الأمير عبد الرحمن لهذه القوات اختيارا موفقا بسبب خبرتها الطويلة وتمرسها على مواجهة السرايا الخاطفة [1].

وعلى الرغم من أن حاكم هذا الثغر كان خارجا على الدولة آنذاك، إلا أن الأمير عبد الرحمن لم يجد بدا من استلطافه وتذكيره له بولائه للوليد بن عبد الملك وكيف أسلم جده على يديه مما دفعه للاستجابة لنداء الأمير فقدم في جيش كثيف إلى مشارف اشبيلية لصد هجمات العدو، إلا أنه حين وصل إلى هناك لم ينضم إلى قوات الإمارة، وأهل الكور الذين عسكروا بناحية قرمونة وإنما أنعزل بقواته بالقرب منهم[2]، ويرى حسين مؤنس أن الذي دفع موسى بن قسي لذلك هو عدم رغبته في الانضواء تحت راية القائد نصر الفتى[3] ولكننا نستبعد هذا لسببين:

أولا: أن الأمير عبد الرحمن الذي دفعته حنكته السياسية والعسكرية للتودد لموسى والاستنجاد بقوات الثغر الأعلى دون سائر القوات لم يكن ليتردد في الموافقة على تسليم قيادة الجيوش إلى موسى بن قسي فيما لو طلب منه ذلك مقابل إنقاذ بلاده من الخطر الداهم الذي بات قاب قوسين أو أدنى من عاصمة دولته قرطبة.

لذلك نرى أن الأمر الذي دفع موسى بن قسي إلى التنحي بقواته عن القوات الأندلسية الأخرى إنما كان لأهداف حربية وعسكرية بحتة.

والنص الذي أورده ابن القوطية يدل بدلالة صريحة على التعاون الذي قام بين قوات الثغر الأعلى والقوات الأندلسية الأخرى منذ لحظة وصولها إلى الإقليم وأن الطرفين قد ابرموا خطة حربية تقضي بإحكام القبضة على العدو، بحيث تضطلع قوات الثغر بالمرحلة الأولى من الخطة وهي قطع الاتصال بين السرايا وبين المدينة، ثم تتقدم القوات الأندلسية الأخرى بدخول المدينة في مرحلة ثانية وهو ما حدث بالفعل وسيأتي ذلك في سياق الأحداث بمشيئة الله.

---

[1]- خليل إبراهيم ألسمرائي: الثغر الأعلى الأندلسي، مطبعة اسعد، بغداد، 1976 م، ص 273 – 275.

[2]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، 79.

[3]- مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 31.

وبدأ موسى ومن معه بعد ذلك بجمع المعلومات عن العدو وتقصي أخباره فعلموا أن سرايا العدو تخرج في كل يوم من اشبيلية إلى جهة فريشFirrix [1] ولقنت[2] Lecanto، وإلى جهة قرطبة ومورور[3] Moror.

عندئذ رسم موسى خطته على أساس نصب كمين لمفاجأة تلك السرايا والإجهاز عليها، واختار له مقرا في قرية كنتش معافرQuintos [4] القريبة من أعلى الكنيسة القديمة الموجودة في تلك القرية ليكون مراقبا لهم أي ناطورا، بعد أن بالغ في التخفي ووضع على حزمة من الحطب، فلما انبلج ضوء الفجر خرجت سرية من سرايا النورماند تضم ستة عشر ألف باتجاه مورور، فلما قابلوا القرية أشار الناظور على المسلمين بالتمهل والانتظار حتى يتعدوا عن إشبيلية ثم قطع موسى ومن معه الطريق بينهم وبين المدينة وحمل السيف على جميعهم، في حين تقدمت القوات الأندلسية الأخرى إلى اشبيلية فدخلوها وأنقذوا عاملها من الحصار، وأخذ أهل إشبيلية الذين كانوا قد فروا منها يعودون إليها، وكان النورمان، قد بعثوا بسريتين أخريتين، أولاهما سارت باتجاه لقنت والثانية باتجاه قرطبة[5]، مما يدل على أنهم قد تطلعوا إلى عاصمة البلاد نفسها ولكنهم تراجعوا بعد أن بلغهم نبأ هزيمة السرية المتجهة إلى مورور، واستعدوا للدفاع عن أنفسهم خارج إشبيلية[6].

كما أن القوة النورمانية الباقية في إشبيلية قد بلغها النبأ وأدركها الخوف حين رأت خيل المسلمين تدخل إلى اشبيلية[7]، وقد إشتبك ابن رستم مع تلك القوة في قتال عنيف لم يحسم خلاله الموقف، وعند حلول الليل انسحب ابن رستم بجيشه وعسكر بقرية كورتش Cuartos [8]، وفي اليوم التالي كان النورماند قد نزلوا

---

[1]– فريش: بكسر أوله وثانيه، وسكون ثالثه ثم شين معجمة، وهي مدينة بالأندلس غربي فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة، يكثر بها معدن الحديد والرخام الأبيض، انظر الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 295.

[2]– لقنت: يذكر الحموي بأن لقنت هو اسم حصنين من أعمال لاردة، لقنت الكبرى ولقنت الصغرى، ويذكر الحميري بأن لقنت Alicante مدينة صغيرة على الساحل وبينها وبين دانية سبعون ميلا، وهو يشير بذالك إلى الميناء المعروف، إلا أن حسين مؤنس يؤكد بأن المقصود هنا هو موضع بإقليم اشبيلية يسمى Lecanto أو Puente decantos، انظر الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 25، الحميري: الروض، ص 511، مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 36.

[3]– مورور: ووردت في معجم البلدان موزور والصحيح هو الاسم الأول وكورة مورور متصلة بأعمال قرمونة وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، انظر الحميري: معجم البلدان، ج 5، ص 564.

[4]– كنتش: تعريب لاسمها باللاتينية Cuintos، ومعافر نسبة إلى القبيلة العربية المعروفة، ويذكر حسين مؤنس بأن الحميري قد رسمها قنتش بالقاف، ولكننا لم نجد لها ذكرا في الروض المعطار، انظر مؤنس: غارات النورمانيين على الأندلس، ص 36.

[5]– ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 80- 81.

[6]– العدوي: المسلمون والجرمان، ص 90.

[7]– ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 82.

[8]– كورتش: قرية على بعد أربعة أميال من اشبيلية، انظر العذري: ترصيع الأخبار، ص 99.

بطبلاطة فاتبعهم محمد بن رستم ونزل عليهم في يوم الثلاثاء 2 ربيع الأول ونصب عليهم المجانيق، ثم وصل المدد من قرطبة في نفس هذا اليوم وعلى رأسه القائد نصر الفتى، ونهض الناس لمحاربة الدانيين من كل جهة، وناوشوهم القتال، وكادت أن تلحق الهزيمة بالمسلمين، فترجل محمد بن رستم وترجل الناس معه، وأدخل الرجال بين العدو والنهر الأعظم فحالوا بينهم وبين المراكب[1]، فانهزم العدو وقتل منهم نحو خمسمائة علج وأعطبت لهم أربعة مراكب فأمر ابن رستم بأخذ ما فيها وإحراقها[2].

وهنا تتضح مهارة القائد محمد بن رستم الذي استطاع سحب الغزاة إلى معركة برية عندما حال بقواته بينهم وبين مراكبهم المعسكرة في النهر، الأمر الذي أربك العدو فخسر عددا من مراكبه[3]، وأعدادا من رجاله كان من بينهم زعيم العدو وقائد أسطوله [4].

واجتهد الناس في حربهم وأخذوا يناوشنهم ويرمونهم بالحجارة والأوظفة [5]، فلما صاروا تحت اشبيلية بميل صاحوا إلى الناس، أن أحببتهم الفداء فكفوا عنا، فكفوا عنهم وأباحوا الفداء فيمن كان عندهم من الأسرى ففُدي الأكثر منهم، ولم يأخذوا في فدائهم ذهبا ولا فضة إنما أخذوا الثياب والمأكول[6]، وهذا من غريب ما ذكره ابن القوطية.

وبقيت جماعة من هؤلاء الغزاة يجوبون بمراكبهم الوادي الكبير بين طبلاطة وقبطيل، ثم خرجوا من جهة النهر الذي يلي لبلة Niebla [7] ، وامعنوا في الشرق فتعرض لهم المسلمون بقيادة أمير الجيش في تلك الناحية

---

[1]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 100، وقد أورد ابن عذارى هذه الرواية باختصار مع بعض الاختلافات منها أنه جعل تاريخ معركة طبلاطة في 25 صفر، وعدد المراكب التي خسرها العدو ثلاثين مركبا، انظر ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 88.

[2]- النويري: نهاية الإرب، ج 23، ص 384، ابن الأثير: الكامل، م 5، ص 272.

[3]- الكبسي: غزوات النورمانيين، ص 148 – 149.

[4]- انظر ابن دحية: المطرب من أشعار آهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري: دار العلم للجميع، بيروت، 1955 م، ص 138 – 139.

[5]- الأوظفة: مفردها الوظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها والمقصود هنا العظام، انظر ابن منظور: لسان العرب، م6، ص 461، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 81.

[6]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 81.

[7]- لبلة: بكسر اللام وسكون الباء المنقوطة بواحدة، وقد يقال لبلة بفتح اللام، وكورة لبلة في غربي الأندلس وهي برية بحرية وبها أثار الأولين، وكان اسمها في القديم لبلة Lipla، وهي المعروفة بالحمراء، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 507، ويضيف ابن حوقل بأنها مدينة قديمة أزلية، يحيط بها سور، وهي كثيرة الخيرات ابن حوقل، صورة الأرض، ص 110.

عبد الله بن كليب بن ثعلبة [1]، ويرافقه على الخيل عبدوس بن مقبل[2]، وعلى الرغم من ذلك فإن الغزاة قد أصابوا في هذه الناحية سبياً وغنائم، ثم ساروا بعدها حتى وصلوا إلى قرب قوريس[3] فنزلوا هناك، لكن المسلمين فاجئوهم بالدخول إليهم، وقتلوا رجلين منهم[4]، اضطروهم إلى مغادرتها، فإتجهوا إلى قبطيل فتبعتهم القوات الإسلامية على جانبي النهر ومنعتهم من النزول، فتوجهوا إلى شذونة فدخلوها وأقاموا بها يومين، وفي هذه الأثناء واصل الأمير عبد الرحمن إرسال المدد، فبعث بخمسة عشر مركبا إلى اشبيلية محملة، بالمقاتلة والعدة، فلما أحس بهم الغزاة تراجعوا إلى لبلة ومنها نزلوا جزيرة شلطيش[5] Saltes، ثم لحقوا بأكشونبة Oxonoba [6]

حيث نزلوا على نهر وادي آنة[7] Guadiana ثم مضوا منه إلى باجة Beja [8]، ومنها إلى المعدن Almadan [9] ثم

---

[1]- عبد الله بن كليب بن ثعلبة الجذامي، أحد القادة المشاهير، وهو أخو عبد الرحمن بن كليب المترجم له سابقا، وقد استعمله عبد الرحمن الأوسط على سرقسطة، وتولى قيادة الجيوش في عهده ثم عزل عنها في سنة 227 = 842 م للهجرة وانتقل إلى تطيلة، انظر ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 1، ص 161، ابن حيان: المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق مكي محمود علي، ص 236.

[2]- عبدوس بن مقبل: أحد القادة الذين إشتركوا في قيادة الجيوش الأندلسية التي تصدت للغزاة الدانيين في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، و لم نجد له ترجمة في المصادر المعتمد عليها في هذا البحث.

[3]- قوريس: وردت عند العذري قنب قوريش، و لم نجد ذكر لهذا الاسم في المصادر التي اعتمدنا عليها إلا أن العذري في نفس المصدر وفي سياق حديثه عن البيرة وأجزائها يذكر بأن أحد أقاليمها يسمى قنب قيس وهو شديد الشبه بالاسم السابق، قنب قوريش، انظر العذري: ترصيع الإخبار، ص 90، ويذكر خالد الصوفي أن قوريس هي قورة Coria Del Rio التي سبق التعريف بها، انظر الصوفي: تاريخ العرب، ص 168، ويضيف حسين مؤنس بأنه قد يقع خلط أحيانا بين قورية التابعة لكورة ماردة وقورة التابعة لاشبيلية، انظر ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2، ص 352.

[4]- النويري: نهاية الإرب، ج 23، ص 348.

[5]- شلطيش: هي جزيرة بالقرب من مدينة لبلة، ويحيط بها البحر من كل ناحية وقد تغلب علبها المجوس لعدة مرات لقلة حصانتها، وبهذه الجزيرة أرباض واسعة وآبار عذبة، وبها دار لصناعة الحديد تصنع بها المراسي التي ترسي بها السفن كما ان بها دار لإنشاء السفن، الحميري: الروض، ص 343 – 344.

[6]- اكشونبة: وتكتب أيضا أكشنبة واشكونية واشكونبة والأصح اكشونبة، وهي كورة كبيرة جنوبي كورة باجة وغربي كورة اشبيلية، ويظن أن اكشونبة كان الاسم القديم للموضع الذي قامت فيه بعد ذالك شنتمرية الغرب، المسماة اليوم فارو Faro، واشتهرت اكشونبة بدور صناعة السفن، وكان أكبرها في قاعدة شلب، انظر البكري جغرافية الأندلس، ص 125، الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 285، ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 2، ص 203.

[7]- آنة: هو النهر العظيم في الغرب والذي تقع عليه عدة مدن مثل ماردة Merida وبطليوس Badajoz وباجة، انظر الزهري: كتاب الجغرافية، ص 89.

[8]- باجة: تقع إلى الغرب من قرطبة، وهي من أقدم مدن الأندلس وبنيت في أيام القياصرة الرومان، تسمى هذه المدينة بباجة الأندلس وباجة الزيت تمييزا لها عن باجة افريقية أو تونس، انظر الحميري: الروض، ص 75.

[9]- المعدن: هو فم النهر المسمى نهر تاجة Tajo، وسمي بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف بالذهب إلى هناك، انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص 110، الحميري: الروض، ص 61.

انتقلوا إلى اشبونة المدينة التي كان عندها أول نزولهم على الساحل الأندلسي ورحلوا منها وانقطع خبرهم [1].

وكتب الأمير عبد الرحمن بعد رحيل الغزاة إلى من بطنجة من قبيلة صنهاجة مستبشرا، يخبرهم بصنع الله فيهم، وما أنزل من النقمة والهلكة، كما بعث إليهم يرأس أميرهم ومئتي رأس من أنجادهم [2].

وهكذا تخلص الأندلس من خطر داهم استمر قرابة الشهرين، كان الأول من نوعه، إلا أنه لم يكن الأخير وأرى أن هذا الغزو بمثابة سلاح ذي حدين – أن جاز التعبير- ففي الوقت الذي كبد فيه أهل الأندلس خسائر فادحة في الأموال والأرواح، وأثار الروع والفزع، بين أهل البلاد [3]، كان قد ترك آثارا ايجابية سياسية واقتصادية وعسكرية، كما ترك بصمات واضحة في بلاد الأندلس عامة، والساحل الغربي واشبيلية خاصة.

---

[1]- العذري: ترصيع الاخبار، ص 98، ويذكر ابن القوطية أن النورمان بعد ان انصرفوا عن اشبيلية اتجهوا صوب ناكور Nakur وهاجموا الإسكندرية وبلغوا بلد الروم أي ايطاليا، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص 81، ويرى السيد عبد العزيز سالم أن ابن القوطية تجاوز الصواب، إذ أن غزو النورمان لنكور كان عام 244 للهجرة = 858 م وفقا للبكري، أما غزوهم للإسكندرية فمستبعد أصلا، انظر السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، 1969 م، ص 158.

[2]- انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص 88.

[3]- انظر ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 81 – 82.

المبحث الثاني: غارات النورماند الثانية والثالثة 245– 247هـ / 859 – 861 م

لم يكد يمضي على غزوة النورماند الأولى على سواحل الأندلس الجنوبية الغربية خمسة عشرة سنة حتى تعرضت الأندلس لغزوة نورمانية جديدة في عهد الأمير أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ويبدو أن النورماند بعد وفاة ملكهم هوريك[1] في سنة 239 للهجرة 854 م وهو نفس الملك الذي كان الأمير عبد الرحمن الأوسط قد تبادل معه السفارة بعد خروج النورماند من مياه الأندلس سنة 844 م، قد قرروا معاودة الغارة على هذه البلاد الغنية، ففي مستهل سنة 245هـــ، قام النورماند وللمرة الثانية بمهاجمة سواحل جيليقية، حيث قاموا بنهب وحرق كل ما وقعت عليه أيديهم، وإزاء هذا العدوان قام رجال اردونيو الأول Ordonô I ملك جيليقية بمهاجمة النورماند حيث تمكنوا من تكبيدهم خسائر فادحة كما تمكنوا من إحراق عدد من سفنهم وأجبروهم على مغادرة المملكة[2]، ومن أقصى شمال شبه الجزيرة الأيبيرية اتجه رجال الشمال جنوبا صوب الأندلس الإسلامية على أمل نهب أحد مدنها المزدهرة مثل المرة السابقة لكن الدفاع البحري في سواحل اسبانيا الإسلامية في هذه المرة اختلق اختلاقا جذريا عنه في المرة الأولى ذلك أن المسلمين تداركوا في هته الفترة تأخرهم فيما يتعلق بالقوة البحرية، حيث قاموا بإقامة مراقب ومحارس على طول الساحل الغربي وشحنوها بالمرابطة[3]، كما قاموا بإنشاء دور للصناعة في كل من اشبيلية وبجانة[4]، كما أن الأمير محمد بن عبد الرحمن كان يتوقع طروقهم لبلاده بعد وفاة أبيه فأعد لذلك الأمر عدته، واتخذ أهبته لصد غارتهم بسياج ضخم من الوحدات البحرية المقاتلة، التي تتحرك من سواحل افرنجة المطلة على المحيط إلى سواحل جيليقية، بقصد ترقب

---

[1]– هوريك: ملك الدنمرك بين 813 -854 م، تذكر المصادر التاريخية أنه احد أبناء الملك جودفريد الأول، استفرد بالملك بعد موت إخوته وبعد طرد منافسه هارولد كلاك حليف الفرنجة، اشتدت في عهده غارات النورمان ضد بلاد الفرنجة كما حدثت في عهده أول غارات النورمان على بلاد الأندلس، وإلى هوريك توجهت سفارة الأمير عبد الرحمن الأوسط بقيادة الشاعر يحي بن الحكم الغزال والتي تم فيها عقد معاهدة صلح بين المسلمين والنورمان.

[2]- Dozy.R: Recherche sur l'histoire et la litterature de l'espagne pendant le moyen age.leyde. 1860. Tome II. P298.

[3]– السيد عبد العزيز سالم واحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 169.

[4]– بجانة: بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون، مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من اشرف قرى ارش اليمن، وإنما سمي الإقليم ارش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا ارض الأندلس انزلوا بني سراج القضاعيين في الإقليم وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، الحميري: الروض المعطار. ص 107.

وصول السفن النورمانية إلى سواحل الأندلس، ويذكر ابن الكردبوس أن الأمير محمد انشأ في البحر سبعمائة غراب[1]، وأن جيش المسلمين وصل في عهده إلى مئة ألف فارس.

ويجمع مؤرخو العرب على أن النورماند خرجوا إلى ساحل البحر بغرب الأندلس في سنة 245 للهجرة وهذا التاريخ ينسجم مغ رواية المؤرخين الفرنجة الذين يذكرون أن القائد النورماندي هاستينج Hasting تحرك من قاعدته في حوض نهر اللوار سنة 859 م واتجه صوب اسبانيا، كما تذكر هذه المصادر أن الأسطول النورماندي قام بمهاجمة المغرب الأقصى الذي عرف عندهم بموريتانيا[2]، ويذكر ابن عذارى أن أسطولهم تكون من 62سفينة بينما يذكر العذري في ترصيع الأخبار أنه كان يتكون من ثمانين مركبا[3]، ويروي ابن عذارى أيضا أن النورماند "وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط افرنجة إلى حائط جيليقية في الغرب الأقصى، فتقدم مركبان من مراكب المجوس، فتلاقت بهم المراكب المعدة فوافوا هذين المركبين في بعض كور باجة فأخذوهما بما فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة" [4]، أما بقية المراكب فقد نجحت في الاتجاه مع الساحل الغربي جنوبا حتى وصلت إلى مصب نهر الوادي الكبير، وكانت وجهتها مدينة اشبيلية، لكن الأمير محمد كان قد تأهب لمقابلتهم، واستعد لصد غاراتهم إذ كان كما يروي العذري قد حشد الجيوش وجمع المطوعة من آهل الأندلس، وقود على عسكره الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة[5].

---

[1]- المراكب المقاتلة تسمى أيضا مراكب غزوانية كما تسمى غربانا لرقتها وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء كالزفت وغيره فتصبح لسوادها أشبه بالغربان، والغربان تحمل الغزاة وسيرها بالقلوع والمجاديف.أنظر: سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 162.

[2]- Depping: op.cit. p 119.

[3]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 118.

[4]- ابن عذاري: المرجع السابق، ج 2، ص 145.

[5]- الوزير الحاجب عيسى بن الحسن بن عبد الغافر بن أبي عبدة، تولى الحجابة للأمير محمد بن عبد الرحمن بعد وفاة الحاجب عيسى بن شهيد سنة 243 للهجرة وقد عرف بالوقار وحسن النية، وينتمي الحاجب عيسى بن الحسن إلى آل أبي عبدة اللذين يعتبرون من اكبر أسر موالي بني أمية بالأندلس، والعلاقة بين الأسرتين تعود إلى عهد مروان بن الحكم فقد كان جد الأسرة عبد الله بن جابر من أشد الناس إخلاصا لمروان بن الحكم في معركة مرج راهط التي وقعت سنة64 للهجرة، وقد انتقل حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر الملقب بأبي عبدة إلى الأندلس سنة 113 للهجرة، ولما قدم الأمير عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سارع أبو عبدة إلى إرسال ابنه عبد الغافر لمناصرته، فلما توطد الأمر للأمير استوزر أبا عبدة وقدمه على جيوشه، وبعد وفاة أبي عبدة حرص الأمير الداخل على ضمان ولاء هذه الأسرة، حيث نجد أسرة آل عبدة بلي رجالها المناصب الإدارية العليا في الدولة الأموية، كما استمرت سيادتها على قرطبة بعد زوال دولة الأمويين حيث تولى احد أفرادها وهو أبو الحزم جهور بن محمد جهور حكم المدينة. انظر ابن حيان: المقتبس ص 25- 29، 152، 312.

وتلقاهم المسلمون عند مدخل النهر فهزموهم وتمكنوا من الاستيلاء على عدة مراكب من مراكبهم[1]، ولكن النورماند تجنبوا الاشتباك بعد ذلك مع المسلمين وواصلوا السير بحذاء الساحل بغية البحث عن منفذ يتسللون منه إلى مدن الأندلس، ووجدوا بغيتهم في الجزيرة الخضراء[2]، فتغلبوا عليها ودخلوها، واحرقوا مسجدها الجامع، وركزوا فيه راياتهم فنسب المسجد إلى تلك الرايات[3]، لكن النورماند لم يتمكنوا من مواصلة الغزو في إقليم الجزيرة الخضراء وما جاورها إذ سرعان ما وصلت إليهم جيوش السلطان، فاضطروا إلى ترك الأندلس وجازوا إلى العدوة حيث اجتاحوا أريافها[4]، ثم اتجهوا صوب مدينة نكور[5]، "فتغلبوا عليها وانهبوها وسبوا من فيها إلا من خلصه الفرار، وكان فيمن سبوا أمة الرحمن وخنعولة ابنتا واقف ابن المعتصم بن صالح الحميري ففداهما الأمير محمد ابن عبد الرحمن وأقام المجوس في نكور ثمانية أيام"[6]، ثم جازت سفن النورماند إلى سواحل شرق الأندلس حيث هاجمت قرطاجنة الخلفاء[7] ومنها هاجم النورماند أحواز تدمير[8] وتمكنوا من هزيمة أهلها، إذ لم يكن أهل تدمير يتوقعون طروقهم لبلدهم، ثم توغل النورماند في الإقليم حتى انتهوا إلى حصن أريولة[9]، لكنهم لم يظفروا بشيء، فعادوا إلى سفنهم واتجهوا شمالا صوب حائط الفرنجة أي إلى الساحل الجنوبي لفرنسا وتؤكد المصادر الغربية هذه الرواية حيث تذكر أن النورماند قضوا شتاء عام 859 م في جزيرة

---

[1]- ابن القوطية: ص67.

[2]- الجزيرة الخضراء: ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها، وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلا وهي على ربوة مشرفة على البحر، سورها متصل به، وبشرقيها خندق وغربيها أشجار تين وأنهار عذبة، وقصبة المدينة موفية على الخندق وهي منيعة حصينة سورها حجارة، وهي في شرقي المدينة ومتصلة بها، انظر الحميري، الروض المعطار، ص 251.

[3]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 164.

[4]- ابن عذارى: ص 145.

[5]- نكور: مدينة بالمغرب بالقرب من مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال وقيل خمسة وهي بين روابي وجبال ومنها جبل يقابل المدينة يسمى بالمصلى، وبها جامع على أعمدة من خشب العرعر، وهو والأرز أكثر خشبها، ولها أربعة أبواب، في القبلة باب سليمان، وفي المغرب باب المصلى، وفي الجوف باب اليهود، وسورها من اللبن، وحماماتها كثيرة وأسواقها عامرة، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 604.

[6]- البكري: ص 92، ابن عذارى: ج 2. ص 247.

[7]- قرطاجنة الخلفاء: وهي مدينة من كورة تدمير، وهي مدينة قديمة أولية بها ميناء ترسي فيه المراكب الكبار والصغار، وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع، ومن مدينة قرطاجنة إلى مرسية في البر أربعون ميلا، انظر: الحميري، ص 490.

[8]- تدمير: من كور الأندلس سميت بإسم ملكها تدمير، انظر: الحميري، ص 159.

[9]- أريولة: حصن بالأندلس وهو من كور تدمير، وأحد المواضع التي صالح عليها موسى بن نصير تدمير بن غندوس حين هزمه عبد العزيز ووضع المسلمون السيف فيهم فصالحه على هذه المعاقل على أداء الجزية، وكان حصن أريولة قاعدة تدمير وبينها وبين إلش خمسة عشر ميلا، ومدينة أريولة مدينة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم وتفسيره باللاتيني الذهبية، ولها قصبة في غاية الامتناع في قمة الجبل. انظر الحميري: ص 95.

كامرج [1] Camargue، ومن هذه القاعدة قام رجال الشمال بنهب الكثير من المدن والقرى المجاورة، وبعد انتهاء فصل الشتاء اتجه النورماند صوب سواحل ايطاليا حيث تذكر المصادر انهم قاموا بمهاجمة مدينة لونا[2] Luna الواقعة قرب مدينة بيزا، حيث قاموا بنهبها وقتل لكثير من أهاليها [3]، ومن سواحل ايطاليا اتجه النورماند صوب جزر البليار فقاموا بأبشع أنواع التدمير والتخريب لكل ما وقعت عليه أيديهم، وفي هذه الأثناء كانت سفن المسلمين قد استدارات مع الساحل الأندلسي من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي، وكان يتولى قيادة السفن الأندلسية قائدان هما سبش بن كشوح وخشخاش البحري، وسرعان ما وقعت معارك بين المسلمين والنورماند تمكن المسلمون خلالها من إصابة مركبين لرجال الشمال فيهما أموال عظيمة نفلها الله للمسلمين، "ثم صدمهم خشخاش وابن كشوح واحرقا مركبين للمجوس بجميع ما كان فيهما، فحمي الكفرة عند ذلك على خشخاش وأحدقوا به وضاربهم في صدر مركبه دراكا حتى استشهد رحمه الله هو وقوم من المسلمين معه" [4].

ثم مضت بقية مراكب النورماند شمالا وصعدت في وادي ابروا [5]، وتقدم بعضها إلى بنبلونة[6]، و لم يستطع ملك نبرة (نافارا) غرسية انيجث Garcia Iniguez المعروف في المصادر العربية باسم غرسية ابن ونقة [7]، أو غرسية الإفرنجي أن يدفع النورماند وافتدى منهم بسبعين ألف دينار، وارتهن في بعضها أولاده [8]، كذلك وقع في أسر النورماند من المسلمين بباجة عبد الله وعبد الملك ابنا محمد بن مسلمة، فأطلق النورماند منهما عبد الله

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 165.

[2]- Depping: op.cit. p 120.

[3]- عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار، بيروت، 1984، ط 1، ص 88.

[4]- العذري: ص119، ابن عذاري: ج 2، ص 146.

[5]- وادي الايبروا: وادي في شمال إسبانيا، ينبع من جبال كانتابريك ويصب في البحر المتوسط، يلعب هذا الوادي دورا مهما في توفير المياه لمساحات شاسعة من الأراضي، تعتبر مدينة سرقسطة أهم المدن الواقعة على ضفافه. أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p .1522.

[6]- بنبلونة: مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرين ميلا بها كانت مملكة غرسية بن شانجة وهي بين جبال شامخة، وشعاب غامضة قليلة الخيرات أهلها فقراء جاعة لصوص، أكثرهم متكلمون بالبشقية، لا يفهمون، وخيلهم أصلب الدواب حافرا لصعوبة بلدهم، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف، انظر الحميري: ص 132.

[7]- العذري: ص 119.

[8]- العذري: ص 119.

واستبقوا أخاه عبد الملك، كما وقع في أسرهم سعدون بن فتح االسرنباقي الثائر في أيام الأمير عبد الله، عند مهاجمتهم الساحل الغربي ففداه منهم بعض التجار اليهود [1].

و لم تنته غارة النورماند عند هذا الحد، فقد ظهرت مراكبهم في البحر عند الجزيرة الخضراء سنة 247 للهجرة، فكتب الأمير إلى عمال الساحل بالاحتراس والتحفظ، فعُطب بعد هذه السفن في ناحية البحيرة من الجزيرة الخضراء، ونجت بقية سفنهم فمضت إلى ناحية إفرنجة [2].

ويقدم معاوية بن هشام – حين التعرض لسنة 247 للهجرة – صورة واضحة عن هذا الهجوم الثالث للمجوس على الأندلس حيث يقول: "خرجت المجوس إلى المغرب سنة سبع وأربعين ومئتين في خلافة الأمير محمد بن عبد الرحمن في ستين مركبا طالبين فرصة، فألفوا البحر محروسا والمراكب تجري في ما بين حائط إفرنجة في الشرق وحائط جيليقية في الغرب، وتقدم من مراكبهم مركبان لقيا مراكب المسلمين فأصابوهما بمن فيهما، وأخذوا بهما الكفرة "[3]، وأضاف: " وسار أسطولهم قدما حتى انتهي إلى مكان مصب نهر إشبيلية في البحر الرومي، فارتاع آهل الساحل، وجرد الأمير الجيوش نحوهم، واستنفر الناس إليهم، وقدم كليب بن محمد بن ثعلبة في كثيف من الرجال إلى الجزيرة، واخرج أثيره الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة إلى اشبيلية، واخرج عبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة[4] إلى كورة رية[5]، وأكثف بهم العدد، وأجلب المجوس إلى جهة اشبيلية، فذاذهم عنها الحاجب عيسى بن الحسن " [6].

وواصل الأمير محمد عنايته بالبحرية الأندلسية بعد غارة النورمان، ويبدوا أنه انشأ دار للإنشاء في في قرطبة إستنتاجا مما رواه ابن عذارى في حوادث سنة 366 م اذ يقول: "وفيها أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط "[7]، ومن خلال تتبع هذه الحملة نستنتج أن الجهود التي قام بها الأمراء

---

[1]– يذكر النويري أنه فدى نفسه بتسعين ألف دينار.

[2]– العذري: ص 119.

[3]– إبراهيم علي الحجي: المرجع السابق. ص 230.

[4]– كليب بن محمد بن كليب بن ثعلبة وابن عمه عبد السلام بن عبد الله بن كليب بن ثعلبة الجذامي ينتميان إلى عائلة من من أشهر العائلات التي تولت القيادة والوزارة في عهد الدولة الأموية وقد كان والداهما محمد بن كليب وأخوه عبد الله من كبار قادة الأمير عبد الرحمن الأوسط. سيمون الحايك: عبد الرحمن الأوسط، بيروت، 1990، ص 104.

[5]– رية: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات، الحميري: ص 307.

[6]– إبراهيم علي الحجي: نفسه، ص 239.

[7]– ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص155.

الأمويين بعد الحملة الأولى كان لها نتائج جد ايجابية إذ لم يتمكن النورماند من التوغل داخل المملكة بل اقتصرت غاراتهم على السواحل وحتى هته الغارات لم تكلل بالنجاح حيث فقد النورماند خلالها العديد من مراكبهم وإذا ما أقمنا مقارنة بين غارات النورماند في بلاد الفرنجة وبلاد الأندلس نجد الفرق شاسع ففيما كان النورماند يحققون الانتصار تلو الآخر ضد الفرنجة، فإنهم كانوا يواجهون بمقاومة شديدة في الأندلس وهذا يعود إلى قوة الدولة الأموية وتماسكها آنذاك.

المبحث الثالث: اشتداد الغارات النورماندية على إسبانيا 355- 360- 361 للهجرة 966 – 970- 971 م.

شهد عصر الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر سلسلة من الغارات التي قام بها رجال الشمال ذلك أنه بعد أن تمكن النورماند من إقامة إمارة شبه مستقلة لهم في قلب مملكة الفرنجة على حسب الاتفاقية التي كانت بين زعيمهم رولو وملك الفرنجة شارل الثالث البسيط، فأنهم أصبحوا أكثر قربا من شبه الجزيرة الأيبيرية، وهكذا فلم يكد يحل عام 355 للهجرة 966م حتى تحرك أتباع دوق نورماندي ريتشارد الأول [1] بأسطولهم صوب شبه الجزيرة الأيبيرية من اجل الإغارة والنهب ذلك لما علموه عن الأندلس من ازدهار وثراء لا نظير لهما في العالم كله، وتذكر المصادر الغربية أن الدوق ريتشارد كان في حروبه مع ملوك فرنسا يستعين ببعض المقاتلين القادمين من النرويج والدنمارك، لكنه كان يجد صعوبة في صرفهم عند انتهاء الحاجة لهم [2]، لهذا فقد وجد ضالته في إغرائهم بغزو شبه الجزيرة.

وكانت قطع الأسطول الأندلسي قد زادت في عهد عبد الرحمن الثالث الناصر لتصل إلى ثلاثمائة سفينة ثم تضاعف عدد سفنه في بداية خلافة المستنصر إلى ستمائة جفن بين غزوي وغيره [3]، وكانت معظم سفن الأسطول ترابط في القاعدة الرئيسية في ألمرية [4] لمواجهة الخطر الفاطمي الذي كان مازال ماثلا، في حين كانت اشبيلية مقر الأسطول المرابط على ساحل المحيط، ولقد عمل الخليفة الحكم منذ توليه الخلافة على تقوية قاعدة المرية، ففي سنة 353 للهجرة انتقل الخليفة بنفسه إلى المرية ليعاين ما استكمل بها من تحصينات، وهذا يظهر أن البحرية الأندلسية كانت في أحسن حالاتها عند ظهور النورماند ويذكر ابن عذارى أنه في أول رجب من عام 355 للهجرة 23 جوان 966 م قدمت سفن النورماند انطلاقا من قاعدتها في نورماندیا إلى مياه غرب

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 181.

[2]- Dozy: op.cit. p 311.

[3]- ابن عذارى: البيان المغرب. ج2، ص 236.

[4]- المرية: كانت مدينة المرية في العصر الإسلامي تشغل نفس الموضع الذي تقوم عليه مدينة ألمرية الحديثة، وكانت تقع على شاطئ خليج واسع عميق يحميه من الرياح يعرف اليوم بخليج المرية، يعتبر مرفئا ممتاز، ويحد ألمرية من الغرب الركائز الأخيرة من جبال المرية، وتؤلف فرعين من سلسلة جبال جادور Sierra Gador المتفرعة بدورها عن جبال شلير Sierra Nevada، أما في الشرق فيمتد فحص مثلث الشكل وأرض منبسطة، على مسافة ثمانية أميال منها بين سلسلة جبال رأس القبطة في الجنوب الشرقي من ألمرية، وجبال في الشمال الشرقي منها، وهكذا تحيط الجبال بألمرية من جميع الجهات ما عدا الجهة الجنوبية والفحص الشرقي، انظر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، الإسكندرية، 1984، ص 15.

الأندلس، ففي هذا اليوم "ورد كتب من قصر أبي دانس[1] على المستنصر بالله يذكر فيه ظهور أسطول المجوس ببحر الغرب بقرب هذا المكان، واضطراب ذلك الساحل كله لذلك، لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف، وكانوا في ثمانية وعشرين مركبا[2]، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم، وأنهم قد اضروا بها ووصلوا إلى بسيط اشبونة، فخرج إليهم المسلمون ودارت بينهم حرب قتل فيها الكثير من المسلمين والمجوس، وخرج إليهم أسطول اشبيلية فاقتحموا عليهم بوادي شلب[3]، وحطموا عدة من مراكبهم واستنقذوا من كان فيها من المسلمين وقتلوا جملة من المشركين وانهزموا اثر ذلك خاسرين"[4]، وبعد هذه المعركة البحرية التي انتصر فيها الأسطول الأندلسي في الغرب عاد هذا الأسطول إلى قاعدته في اشبيلية، أما النورماند فقد انصرفوا من ساحل الغرب مخذولين.

ويبدوا أن سفن النورماند كانت تمتاز بمزايا خاصة كالسرعة في الحركة، مما دعي الخليفة المستنصر إلى إصدار الأمر لابن فطيس[5] بإنشاء أسطول في اشبيلية على هيئة مراكب النورماند إذ كان يتوقع طروقهم لسواحل الغرب، وهذا يظهر مدى ما تميز به خلفاء بني أمية من حرص شديد حيث لم يتركوا أي شئ للصدفة وعملوا على توقع الأمر قبل وقوعه وهو ما كان له دور كبير في نجاح المسلمين في حربهم ضد النورمان.

---

[1]- قصر أبي دانس: Alcacer do sal مدينة بغربي الأندلس جنوب اشبونة، الحميري: الروض المعطار، ص 503.

[2]- بحسب المصادر الغربية فان كل مركب من مراكب النورمان كانت تحمل في المتوسط حوالي ثمانين مقاتلا وبذالك فيكون عدد المقاتلين النورمان اللذين قاموا بهذه الحملة حوالي 2240 مقاتل. أنظر:

Dozy: op.cit. p303.

[3]- شلبSilves : من بلاد الأندلس، وهي قاعدة كورة اكشونبة، وهي بقبلي مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم منيف كثير المياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح، وهي في بسيط من الأرض عليها سور حصين، ولها جنات وغلات، وشرب أهلها من واديها الجاري إليها من جهة جنوبها، والبحر منها في الغرب على ثلاثة أميال، ولها مرسى بالوادي ولها دار للإنشاء، والعود بجبالها كثير. انظر الحميري: الروض، ص 370.

[4]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2 ص256 .

[5]- يعتبر آل فطيس من أصحاب الردافة وأولي الشرف والأنافة وكانوا في ذلك الوقت أزمة الملك، وقوام الخدمة، ويعتبر جدهم أبو سليمان فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان، عميد أسرة آل فطيس في الأندلس، فقد دخلها في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، فضمه لابنه هشام، فأصبح كاتبا له، وعندما تولى الإمارة ولاه إمارة قبره، ثم رقاه إلى رتبة وزير، واستمر ابن فطيس في الوزارة أيام الحكم الربضي وعند وفاته في أواخر عهد هذا الأمير استمر أولاده وأحفاده في تولى المناصب القيادية في الدولة الأموية، كالكتابة العليا والخزانة والولاية والوزارة وخطة المدينة. انظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص 182.

وبعد خمس سنوات من الحملة الأولى عاد النورماند للهجوم على سواحل شبه الجزيرة الأيبيرية أين كانت مملكة قشتالة وليون الهدف الرئيسي لهذه الحملة، حيث أن النورماند استغلوا حالة الفوضى التي عانت منها المملكة آنذاك من اجل تحقيق انتصار سهل، فقد كانت المملكة تعاني من حالة من الحرب الأهلية فبعد وفاة الملك سانشو الأول Sanche I خلفه ابنه الطفل راميروا الثالث Ramire III، الذي كان تحت وصاية عمته الراهبة الفيرا Elvira، ونتيجة لهذا الوضع الشاذ فقد عمد النبلاء القشتاليون إلى الاستقلال عن الحكومة المركزية في ليون[1] Léon، وفي خضم هذا الوضع المضطرب وصل إلى ساحل جيليقية في بداية شهر مارس من سنة 970م أسطول نورماندي مكون من مئة سفينة على ظهرانيه حوالي ثمانية ألاف مقاتل تحت قيادة أمير عرف في المصادر الغربية باسم جندريد Gundred، وكان الهدف الرئيسي لهذه الحملة هو مدينة شنت ياقوب[2] التاريخية التي كانت تعتبر أقدس مكان بالنسبة للمسيحيين الأسبان أين كانت تستقبل سنويا ألاف الحجاج، وهذا ما يظهر بشكل واضح معرفة النورماند بالمدن المهمة والتي تحتوي على ما يستهدفونه من كنوز وأموال، وعند اقتراب رجال الشمال من المدينة الرمز حاول أسقف المدينة سيسناند Sisenand إيقافهم، حيث التقى بهم رفقة رجاله في معركة فاصلة وذلك في 29 من شهر مارس من نفس السنة أين كانت الغلبة فيها للنورماند الذين تمكنوا من القضاء على الأسقف ورجاله ثم دخلوا المدينة حيث عاثوا فيها فسادا ونهبا وحرقا[3]، وبعد أن نهبوا المدينة اتجه النورماند صوب بقية مدن جيليقية أين ذكر المؤرخ الفرنجي الشهير دودن أسقف سان كونتين أن النورماند نهبوا ثمانية عشر مدينة في جيليقية على مدار أكثر من سنة ونصف.

وبعد هذا النجاح الذي حققه النورماند في جيليقية، قرر رجال الشمال التحرك صوب بلاد الأندلس الإسلامية، ويروي ابن حيان أنه: "في صدر رمضان من سنة 360 للهجرة [الموافق لبداية شهر جويلية من عام 971 م]، وقع الإرجاف بتحرك المجوس الاردمانيين – لعنهم الله – وظهورهم في البحر الشمالي، وورومهم سواحل الأندلس الغربية على عادتهم، فأنزعج السلطان لما سيق إليه خبرهم وعهد إلى عبد الرحمن بن محمد بن

[1]- ليون: قاعدة من قواعد قشتالة، بها معاملات وتجارات ومكاسب ولأهلها همة ونفاسة، انظر الحميري: ص، 542.

[2]- شانت ياقوب: كنيسة عظيمة عندهم، وهي في ثغور ماردة، وهذه الكنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري، يذكرون أنه قتل في بيت المقدس وأدخله تلامذته في مركب، فجرى به المركب في البحر الشامي إلى أن خرج به إلى البحر المحيط حتى انتهى إلى موضع الكنيسة وسميت بإسمه فيقصد إليها من افرنجة ومن رومة والقسطنطينية، انظر الحميري: ص 376.

[3]- Dozy: op.cit. p 320.

الرماحس[1] قائد البحر وهو حاضر بقرطبة بالخروج إلى المرية والتأهب لركوب الأسطول منها إلى اشبيلية وجمع الأساطيل كلها للركوب إلى ناحية الغرب، فنفذ لأمره يوم الاثنين لست خلون من شهر رمضان، واحضر الوزير غالب بن عبد الرحمن الناصري، وكان حاضرا يومئذ بقرطبة، فخصه بالتكلم معه فيما طرقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه، وأهاب به له وحول إليه صائفة عامة الأزفة، وقلده العود لها، والتهمم بها برا وبحرا لضلاعته وغنائه، وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه، وحد له حدودا آمره بالتزامها والوقوف عليها، وبسطه أتم بسط، وقربه أفضل تقريب واستودعه الله عز وجل، وأمره بالنهوض، والأخذ في شأنه فودع وانطلق وهو يشيعه بدعائه ويسأل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن عافيته"[2].

ومن خلال هذا النص يمكن أن نخرج بالحقائق الآتية:

- أن الأندلس أضحى لها آنذاك أسطول دائم وأضحى لها قائد عام للبحرية، حيث تذكر المصادر، أن محمد بن الرماحس قائد أسطول المرية كان أول من تولى المنصب في عهد عبد الرحمن الناصر.
- أن أساطيل الأندلس الهامة كانت لها قاعدتان: الأولى في المرية للدفاع عن السواحل المطلة على البحر المتوسط، والثانية في مدينة اشبيلية لحماية السواحل الغربية المطلة على المحيط الأطلسي.
- أن الحكومة الأموية في الأندلس كانت تمتلك جهاز مخابرات قوي مكنها من تتبع تحركات النورماند فور ظهورهم أمام سواحل شبه الجزيرة، حيث كان لها عيون في مملكة قشتالة وليون، كما امتلك الأمويون أسطولا مكونا من عدد من السفن السريعة يقوم بحراسة السواحل الشمالية الغربية للملكة كانت مهمته الإبلاغ عن دخول النورماند لسواحل شبه الجزيرة.
- أن غالب بن عبد الرحمن الناصري كان اكبر قواد المستنصر، وكانت له خبرة في شؤون الحرب في البر والبحر.

---

[1]- عبد الرحمن بن الرماحس: قائد البحر في عهد الخليفة الحكم المستنصر، وينتمي هذا القائد إلى أسرة الرماحس بن عبد العزيز بن الرماحس الكناني الذي كان على شرطة الخليفة مروان بن محمد، ثم انتقل إلى الأندلس وأصبح واليا للجزيرة الخضراء في عهد عبد الرحمن الداخل، ثم ثار عليه، فأرسل إليه الأمير وزيره عبد الله بن خالد على رأس جيش، فاضطر إلى الفرار في مركب، ولجأ إلى البلاط العباسي، ثم عاد أحفاده إلى الأندلس حيث تولى محمد والد عبد الرحمن قيادة البحر في عهد الناصر، ولقد تدرج عبد الرحمن في مناصب البحرية، وانتهى أمره بولاية كورة إلبيرة، ثم قضى عليه ابن أبي عامر بأن دس له السم فمات سنة 369 للهجرة. انظر السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص50.

[2]- ابن حيان: المقتبس في أخبار بلاد الأندلس. تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي، ص 24.

وفي الطريق إلى السواحل الأندلسية قرر النورماند دخول حوض نهر الدويرة [1] Douro شمال شبه الجزيرة، وهناك تعرضوا إلى هزيمتين منكرتين حيث تذكر المصادر الغربية أن أحد أساقفة قشتالة المدعو رودسيند [2] Rudesind قام بجمع عدد من المتطوعة ورجال الدين ثم قام بالترصد للنورماند عند مدخل نهر الدويرة وهناك تمكن من تكبيدهم خسائر فادحة ثم انسحب تحت وطأة النقص العددي أمام جحافل العدو، لتأتي هزيمة النورماند الساحقة على يد الكونت جونزالو سانشيز الذي عرف في المصادر الإسلامية بالقومس غند شلب حيث تمكن هذا النبيل القشتالي من تحقيق انتصار حاسم على النورماند في معركة انتهت بمقتل زعيم النورماند جوندريد واغلب رجاله[3]، ونجد أن الرواية العربية تتطابق مع الرواية الإسلامية اذ يذكر ابن حيان في مقتبسه أن المجوس هاجموا الشمال الغربي لشبه الجزيرة، داخلين نهر دويرة على الأطلسي، مهاجمين بعض المناطق لكنهم ردوا وفروا "وفي يوم السبت لخمس بقين من رمضان سنة 360 للهجرة دخل قرطبة سلس رسول القومس غندشلب بن مسرة بكتابه من مدينة لسترة في أداني جيليقية بتاريخ يوم الأحد لاثني عشرة خلت من شهر رمضان يذكر دخول المجوس – أهلكهم الله- يوم السبت قبله وادي دويرة، وذلك شطر النهار، وأنهم خرجوا في الغارة إلى شنتبرية وبسيطها، وأنهم انصرفوا خائبين"[4] ولعله كان يقصد في ذلك تنبيه الخليفة الحكم إلى الخطر النورماندي المقبل حتى يتأهب المسلمون لتلقي الغزاة، وبذلك يكون غندشلب قد قدم خدمة جليلة للمسلمين، والحقيقة أن الخليفة كان يعلم مسبقا بقدوم النورماند فقد كانت له عيون في كل الممالك النصرانية في شبه الجزيرة.

ومع ذلك فقد واصل الحكم المستنصر استعداداته لتلقي النورماند عند طروقهم للساحل الغربي للأندلس فأنفد مباركا ومبشرا الفتيين إلى كورة رية وشذونة لاشحان الأطعمة منها وإرسالها إلى الأسطول المجهز باشبيلية إلى ساحل الغرب، وفي آخر رمضان تحرك عبد الرحمن بن الرماحس قائد أساطيل الأندلس من مرية بجانة ليركب منها إلى البحر الشمالي الذي ظهرت فيه سفن رجال الشمال [5].

---

[1]- نهر الدويرة: نهر كبير شمال اسبانيا، يبلغ طوله895 كلم، وتعتبر مدينتا بلد الوليد في اسبانيا وبورتو في البرتغال أهم المدن الواقعة على هذا النهر.أنظر:

Petit Larousse: op.cit. p1711.

[2]- Dozy: op.cit.p 321.

[3]- Dozy: op.cit. p 322.

[4]- إبراهيم علي الحجي: التاريخ الأندلسي، ص 310.

[5]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 48

و ما أن وصل ابن الرماحس بأسطول ألمرية إلى إشبيلية حتى بادر بجمع أسطول اشبيلية استعدادا للإقلاع لملاقاة النورماند بمجرد أن تصله الأنباء بدخولهم للمياه الإسلامية، ولكن الأنباء وافته بعودة سفن النورماند إلى بلادهم لتأكدهم من أهبة المسلمين لملاقاتهم، فاضطر إلى الإقلاع من اشبيلية منصرفا بأسطول ألمرية في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة 360 للهجرة، وقد ورد خبر ارتداد النورماند عن سواحل الأندلس عن بعض القادة الذين أرسلهم الخليفة لتتبع النورمان، وفي ذلك يذكر ابن حيان "وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة منها احتل مدينة الزهراء صاحب الخيل زياد بن افلح، وصاحب الشرطة العليا هشام بن محمد بن عثمان[1] قائد الصائفة، قافلين من غزاتهما إلى ساحل الغرب لتتبع أخبار المجوس الاردمانيين – أهلكهم الله – المتوقعين بالناحية، فتوصلا إلى أمير المؤمنين وأنبآه بما قضيا في وجههما، وحيث بلغا من قصدهما وأنهما انتهيا إلى مدينة شنترين، قاصية ذلك الصقع، وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأردمانيين- لعنهم الله- نكصوا عن الأقدام على المسلمين عند تسامعهم بخبر الدلوف إليهم والاستعداد لهم، برار وبحرا، فانقلبوا على وجوههم وجدوا في نكوصهم وان الجواسيس الذين أرسلوا لامتحان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم شانت ياقب من قاصية بلد العدو ولم يختلف عليهم بفرارهم بفضل الله تعإلى ومنته"، كما بفصل لنا ابن حيان خبر عودة قائد البحر إلى المرية حيث يقول في يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة منها وافى الخبر بإقلاع صاحب الشرطة العليا عبد الرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيلية منصرفا إلى المرية، عافا من إجرائه إلى جهة المجوس الظاهرين بالبحر الشمالي، إذ وردت الأنباء وتوالت بهزيمتهم وهروبهم بعد إقدامهم وتلجيجهم في البحر الشمالي لا يلوون على شيء بحسن دفاع الله هن المسلمين، إذ اتصل بهم وصح لديهم صمد أمير المؤمنين لحربهم ونصبه التدبير لديهم، وتجريده الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري مدبر حروبه نحوهم وقصدهم في البر، ونهوض القواد بالاساطبل إلى ناحيتهم، وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة والأساطيل الثقيلة التي لم يجد أعداء الله عند سماعهم بها من نفوسهم معينا على التعرض لملاقاتها والانبساط في السواحل التي أحسوا

[1]- هشام بن محمد المصحفي: ينتمي هذا القائد إلى آل المصحفي وكان جده عثمان بن نصر من بربر بلنسية واختاره الخليفة الناصر لتأديب ولي عهده الحكم وبعدها اتصل جعفر ابن عثمان بولي العهد وأصبح كاتبه الخاص ثم عين واليا على ميورقة، ولما تولى الخليفة المستنصر الحكم ترقى جعفر إلى منصب الحجابة ثم رقي ابن أخيه هشام إلى خطة الشرطة العليا، وعندما أصبح الحاجب جعفر المصحفي صاحب الأمر والنهي في أواخر أيام المستنصر أصبح هشام احد أهم رجالات البلاد، ولما تولى الخليفة هشام المؤيد الحكم ولى هشام بن محمد على خطة الخيل لكنه لم يلبث فيها طويلا إذ سرعان ما عزله الخليفة بإيعاز من الرجل القوي محمد بن أبي عامر، ثم أمر بقتله سنة 367 للهجرة، انظر ابن الأبار الحلة السيراء، ص 102.

بهم فيها، فولوا على أعقابهم ناكصين، ومما رجوه من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين، وكفى الله المؤمنين شر القتال، وكان الله قويا عزيزا".

ويتبين لنا من خلال ما سرده المؤرخ الكبير ابن حيان أن أمير المؤمنين المستنصر لم يركن إلى تطمينات القومس غندشلب بل واصل تعبئة قواته في البر والبحر تحسبا لعودتهم وطروقهم من جديد ساحل الجزيرة حيث آمر قائد البحر ابن رماحس بجمع أسطولي المرية واشبيلية والتوجه بهما للبحر الشمالي كما أرسل صائفة بقيادة هشام بن محمد المصحفي صاحب الشرطة العليا إلى شنترين قاصية أراضي المسلمين في الجهة الغربية بغية تتبع أخبار النورماند والتصدي لهم في حالة وصولهم اليها، كما أرسل القائد العظيم غالب بن عبد الرحمن الناصري كبير قادته إلى هناك بغية إرهاب النورماند فقد كانت لهذا الفارس سمعة بلغ صداها المشرق والمغرب، كما يتبين لنا من خلال هذا النص أن النورماند امتلكوا جهاز استخبارات مكنهم من معرفة أحوال البلاد التي يغزون طروقها وقد رأينا هذا خلال غاراتهم في بلاد الفرنجة وجيليقية حيث كان النورماند يتخيرون المدن المزدهرة والكنائس الكبيرة وهذا على الرغم من أنهم ليسوا من أهل البلد، حيث وما أن وصلتهم أخبار استعداد المسلمين وأدركوا أن لا قبل لهم بهذه الجيوش حتى ولّو مدبرين.

وقد اثبت المستنصر بهذه القرارات بعد نظره وصواب رأيه، فقد شهدت السنة الموالية أي سنة 361 هـ ظهور أسطول نورماندي قبالة السواحل الأندلسية الغربية لكن سرعان ما بدد شمله على يد الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري [1]، وينقُل لنا ابن حيان خبر عودة القائد غالب من حملته ضد النورماند مظفرا حيث يقول: "وفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها احتل الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن بمحلة فحص السرادق قافلا من غزاته إلى ساحل الغرب التي تجول فيها واشرف على المجوس الاردمانيين الجائشين في هذه السنة، فاستركب إليه الجيوش يوم السبت بعده، من قصر قرطبة في التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة، فيها الشطرنج والألوية، فتقدم من محلته وبين يديه المراكب على اجل هيئة وأتم أهبة، إلى أن وصل قصر قرطبة والخليفة يومئذ مقيم به، فتوصل إليه وقعد بين يديه مليا مفاوضا له ومسائلا عن حركاته وتقلبه في غزاته التي

[1]- غالب الناصري: ذو السيفين أبو تمام غالب بن الرحمن الناصري صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى وشيخ موالي بني أمية وفارس الأندلس، كان غالب من موالي الخليفة عبد الرحمن الناصر، كما كان من نصحاء ابنه الحكم المستنصر ومستشاريه المقربين، أسند إليه الحكم القيادة العامة للجيوش عام 361 للهجرة وبعد انتصاره في معركة حصن غرماج سنة 364 قلده الخليفة سيفين مذهبين وسماه « ذي السيفين »، وفي عهد الخليفة هشام المؤيد ترقى غالب وأصبح يحمل لقب الحاجب، لكنه سرعان ما دخل في صراع مع محمد بن أبي عامر لينتهي به الأمر مقتولا في المعركة التي دارت بينه وبين جيوش المنصور وذالك في 4 محرم عام 371 هـ، أنظر عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج 1، ص 152.

كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قويا عزيزا، فخلع عليه وانطلق إلى داره محمودا سعيه"[1]، ولا شك أن هذه الانتصارات كان لها صدى كبير في الحياة الاجتماعية والفكرية بالأندلس وقد تغنى بها الشعراء وأشادوا بفضل الحكم المستنصر وقادته في هذا النصر، ومثال ذلك قول الشاعر المعاصر محمد بن شخيص في مدح الخليفة المستنصر وقائده غالب الناصري:

بسعـــــدك يبلـــي غـــالب لا بــــأسه	فـــأنت ولي الشكـــر في كل مـــــا أبـــــلى
رميــــــت به جيش المجــــوس عنـــــاية	بتحصينـــك التقــــوى وتأمينــك السبـــلا
ولمــــا أحــــاطت بالمحيـــــط جنــوده	فلم تبــق من شطيـــــه علــوا ولا سفــــلا
ســــرت تخبط الظلمــــاء والموج مثلما	سرى الظعن في الدهــناء يعتسف الرمـــــلا
أســــاطيل هن المــــوت أو في طبــاعه	لإيقاعهــــا بطشــــا وإتبــاعها رســــلا

و بعد هذه المحاولة النورمانية الفاشلة لغزو سواحل الأندلس، اهتم المستنصر بالله بالأسطول الأندلسي اهتماما كبيرا، فوزع وحداته على ثغور الأندلس، حتى إذا ما أغار العدو على ساحل من سواحلها تصدى له اقرب الأساطيل إلى الساحل المذكور ريثما يتم تجميع بقية الأساطيل، وهي سياسة حكيمة، تكشف لنا بعد نظر الخليفة وحسن فراسته.

ويمكن القول أنه كان لنمو البحرية الأندلسية منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وزيادة قوتها الضاربة دور كبير في رد هجمات النورماند التي تمت في عهد خليفته الحكم المستنصر حيث ردوا هذه المرة بقوة وقتل العديد من رجالهم ودمرت وأحرقت اغلب مراكبهم، واستفادت الأندلس من تجاربها السابقة في طريقة حربهم وتقدمت بها صناعة السفن التي رعاها الأمراء والخلفاء حتى غدت الأندلس القوة البحرية الأولى في غرب المتوسط.

و بهذه الغارات طويت صفحة الخطر النورماندي على شبه الجزيرة في العهد الأموي، وقد كانت لهذه الغارات نتائج مهمة على الدولة الإسلامية في الأندلس على الأصعدة العسكرية والدبلوماسية وسنفرد بإذن الله فصلا خاصا بهذه النتائج.

[1]– عبد الرحمن علي الحجي: المرجع السابق، ص 311.

الفصل الرابع:

نتائج الغزو النورماندي لإسبانيا

المبحث الأول: تطور البحرية الإسلامية في الأندلس

المبحث الثاني: تطور حركة الرباط الساحلي في الأندلس

المبحث الثالث: سفارة يحيى بن الحكم الغزال إلى ملك النورماند سنة 230 للهجرة = 845 م

المبحث الأول: تطور البحرية الإسلامية في الأندلس

مما لا شك فيه أن طبيعة الوضع الجغرافي للأندلس كشبه جزيرة، يحيط بها البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية، والمحيط الأطلسي من الجهات الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية، ساعدت على توجه أهلها بأبصارهم نحو البحر، كما أن سواحلها المتعرجة وكثرة خلجانها ساعدت على تعدد مراسيها التي تصلح لإرساء السفن وإيوائها بعيدا عن تيارات البحر وأنوائه [1]، ومن هذه المراسي بلنسية، شاطبة ولقنت وقرطاجنة الخلفاء ومرسى مرسية ومرسى المرية ومرسى جبل طارق والجزيرة الخضراء ومرسى المنكب ومرسى بلش [2].

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية عليها انتهاج سياسة بحرية حربية معينة لحماية سواحلها وثغورها من طمع الطامعين ودرءا لغزوات المغامرين من الشعوب الشمالية، ومن ثم كان يتحتم على الأندلسيين أن تكون لهم قوة بحرية جيدة قادرة عن الذود عليهم وحمايتهم، إلا أن الدولة الأموية لم تمتلك أسطولا دائما ومنظما تعتمد عليه في أوقات الخطر، ويمكن أن نرجع ذلك إلى عاملين أساسين: أولهما انصراف أمراء قرطبة إلى تمكين نفوذهم ودعم السلطة المركزية تجاه الحركات الانفصالية وكذا انشغالهم بالحروب مع الممالك المسيحية في شمال اسبانيا، وثانيهما هو اطمئنان الدولة الأموية في الأندلس إلى جانب البيزنطيين لاشتراكهم مع الأمويين في عداء العباسيين، ولهذا السبب اطمأن أمراء قرطبة إلى جانب البيزنطيين و لم يحسوا بحاجتهم إلى أسطول أو قوة بحرية للدفاع عن سواحلهم، إلى أن فوجئوا بالغزوة النورمندية في سنة 229 للهجرة[3] وتنبهوا وقتئذ إلى نقطة الضعف في نظامهم الدفاعي البحري.

و على الرغم من انشغال الأمراء الأمويين الأوائل عن العناية المباشرة بشؤون البحر، فأنهم استعانوا بطوائف بحرية من المرابطين والغزاة الذين اتخذوا لهم رباطات وقواعد بحرية على طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة، وقد اشتغل هؤلاء المرابطون بالغزو البحري لحسابهم الخاص في جنوبي فرنسا وجزر البحر المتوسط الغربي، كما اشتغلوا بالتجارة بين المغرب والأندلس، وكانت أكثر قواعد هؤلاء المقاتلين الغزاة في بداية الحكم

[1]- محمد احمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1996، ص 49.

[2]- الإدريسي: المغرب وارض السودان، ص 197- 198.

[3]- عبد العزيز سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 147.

الأموي في الأندلس تتمركز ما بين اكيلة Aguilla ولقنت[1] Alicante في شرق شبه الجزيرة، كما كانت لهم قواعد أخرى في كل من جزيرة أسكمبرة Escombr الحصينة عند مدخل خليج قرطاجنة الخلفاء وفي بجانة قرب المرية الحالية، ويدعوا الحميري هؤلاء المرابطين من غزاة البحر « بالبحريين » ويذكر أن قوتهم الرئيسية تركزت في مطلع العهد الأموي بالأندلس في المنطقة المحيطة بطرطوشة[2] في الثغر الأعلى الإسلامي ومن هناك كانوا ينطلقون في أساطيلهم لغزو سواحل إفرنجة[3]، وكانت أساطيل الثغر الأعلى في طرطوشة وطركونة[4] تقوم بحماية سواحل الأندلس الشمالية من هجمات الفرنجة الكارولنجيين وتغير بين الحين والأخر على ثغورهم وتطارد أساطيلهم عبر الحوض الغربي للبحر المتوسط، وقد نجح هؤلاء المجاهدون في تأسيس قواعد ثابتة لهم في فراكسينت على ساحل البروفانس وجزيرة كامرج عند مصب نهر الرون، ومن هذه القواعد وجهوا غاراتهم إلى داخل البلاد في إقليم البروفانس، وانتشروا في جبال الألب، وتحكموا في الممرات الموصلة بين فرنسا وايطاليا فيما بين مونت سنى والبحر المتوسط[5]، وتذكر المصادر التاريخية أن غزاة البحر المسلمين قاموا عام 161 للهجرة بهجوم كبير على ثغر مرسيليا الفرنجي كما قاموا عام 177 للهجرة بمهاجمة مدينة نربونة[6] جنوب بلاد الفرنجة وتمكنوا من الاستيلاء عليها، كما تعرضت جزر البليار التي كانت تحت حماية الفرنجة لغارات مستمرة من طرف البحريين الأندلسيين أكبرها الحملتين اللتين وقعتا سنتي 181 و182 للهجرة كما تعرضت جزيرة قورشقة[7] عام 191 للهجرة 806 م لهجوم كبير من البحارة المسلمين مما اضطر بيبين بن شارلمان ملك ايطاليا

---

[1]- لقنت: من بلاد شرق الأندلس وبينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا، وهي مدينة صغيرة عامرة، وبها مسجد وسوق عامر، وبها فواكه وبقل كثير وتين وأعناب، ولها قصبة منيعة جدا في أعلى جبل يصعد إليه بمشقة وتعب، وهي على صغرها تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 539.

[2]- طرطوشة Tortosa: من الاسم القديم Dertose، تقع في شمال شرق اسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو، جنوبي مدينة طركونة واشتهرت المدينة في العصر الإسلامي بدار صناعة المراكب التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر، وبتوافر مواد بناء هذه السفن من خشب الصنوبر المتوفر في جبالها، الحميري: ص 419.

[3]- السيد عبد العزيز سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 149.

[4]- طركونة: في شمال شرق الأندلس على ساحل المتوسط، وبينها وبين لاردة أربعون ميلا وقد مثلت هذه المدينة الحد الفاصل بين كونتية برشلونة وبين بلاد الأندلس الإسلامية، واشتهرت هذه المدينة بجودة رخامها والذي استعمل في بناء أسوارها وقد كانت المدينة مسرحا للعديد م المعارك بين المسلمين والأسبان، انظر الحميري: ص 420.

[5]- السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص 150.

[6]- عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص 76.

[7]- قورشقة: جزيرة للنصارى تقابل مدينة رومة، وهي بالقرب من سردانية، وبينها وبين ساحل افريقية نصف يوم وبينها وين ساحل تونس أربعة أيام، وهي جزيرة كثيرة الزرع وقد غنمها المسلمون أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفي القبلة منها جزيرة سردانيا وبينها حوالي عشرون ميلا. انظر الحميري: الروض المعطار، ص 483.

لإرسال أسطوله ليرغمهم على الانسحاب [1]، ونجح فيما ذهب إليه، ثم عاود المسلمون الغزو البحري بعد عامين، فأرست سفنهم في سردانية[2]، ولكن أهل هذه الجزيرة تصدوا لهم وأرغموهم على الخروج منها، فهاجم المسلمون قرشقة واشتبكوا مع القائد بورشارد في موقعة عادت فيها الدائرة على المسلمين وخسروا أكثر من ثلاثة عشر مركبا[3]، ثم عاودوا الهجوم على الجزيرة في سنة 195 للهجرة 809 م و198 كما أغار البحارة الأندلسيون على نيقة نيس الحالية وبروفانس وغيرها، و لم يقتصر تأثير هؤلاء البحريين على جزر البحر المتوسط بل تعداه إلى سواحل شمال إفريقيا حيث يذكر البكري أن هؤلاء البحريين ومنهم الكركبي وأبو عايشة والصفر وصهيب، أسسوا مدينة تنس الحديثة بالمغرب الأوسط في سنة 262 للهجرة، إذ كانوا يشتون هناك إذا ركبوا سفنهم من الأندلس، فيتزلون في مرسى على ساحل البحر "فتجمع لهم بربر ذلك القطر، ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى، ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجابوهم إلى ذلك، وانتقلوا إلى القلعة وخيموا بها، وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس" [4]، وإلى البحريين الأندلسيين أيضا وعلى رأسهم محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون يرجع الفضل في تأسيس مدينة وهران[5]، بالاشتراك مع قبيلة نفزة وذلك في سنة 290 للهجرة 902م، ويشير البكري إلى مرافئ أخرى مغربية كانت تحتلها جاليات أندلسية في زمنه، أي في القرن الخامس مثل بونة [6]، وبجاية.

ويوجد مثال آخر لنشاط البحريين الأندلسيين تمثل في افتتاحهم لجزيرة كريت [7] سنة 212 للهجرة حيث وبعد طردهم من الأندلس إثر ثورة الربض على الأمير الحكم بن هشام إتجه هؤلاء إلى عدوة المغرب وشاركوا في بناء مدينة فاس، أما بعضهم الأخر فقد واصلوا سيرهم في البحر شرقا حتى وصلوا مدينة

[1]- السيد عبد العزيز والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 149.

[2]- سردانية: جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلا وعرضها من الغرب إلى الشرق مئة وثمانون ميلا، وبين سردانية وقرشقة مجاز طوله عشرون ميلا، وكان أبو الجيش مجاهد العامري قد دخلها سنة تسع وأربعمئة وإفتتح أكثر مدنها وحصونها. الحميري: الروض، ص 324.

[3]- السيد عبد العزيز سالم والعبادي: نفس المرجع، ص 150.

[4]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 65..

[5]- البكري: نفس المرجع، ص 74.

[6]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: المرجع السابق، ص151.

[7]- كريت: وسماها المسلمون إقريطش، وهي جزيرة في البحر المتوسط تقع جنوب الساحل اليوناني، ويقول عنها الحميري أنها في البحر الشامي، وأنها عامرة كثيرة الخصب وان طولها مئة وخمسون ميلا وعرضها خمسون ميلا، وأن عاصمتها مدينة الخندق، غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح الجزيرة وغنم غنائم عظيمة، كما غزاها الأندلسيون من أهل الربض عام 212 للهجرة. أنظر الحميري: المرجع السابق، ص 79.

الإسكندرية وتمكنوا من الاستيلاء عليها ثم طردوا منها واتجهوا بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي القرطبي إلى كريت أو اقريطش حيث تمكنوا من فتحها والاستقرار بها [1].

وينبغي أن نذكر أيضا الدور الذي قام به البحريون الأندلسيون بقيادة إصبغ بن وكيل الهواري المعروف بفرغلوش في فتح صقلية، فقد إشتركوا بأسطول يتكون من ثلاثمائة سفينة انطلق من ميناء طرطوشة في الاستيلاء على مينائي ميناو وبلرمه وذلك سنة 214 للهجرة [2].

لكن وبالرغم من الانتصارات التي حققها هؤلاء البحريون إلا أنهم كانوا يفتقدون إلى التنظيم والوحدة فقد كانوا عبارة عن فرق تعمل لصالحها خارج إطار الدولة المركزية، وكانت البحرية الأندلسية حتى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط تفتقد إلى الإمكانيات والوسائل ولم تكن لها القواعد والمحارس والسفن الكافية لحماية سواحلها ولا سيما الغربية منها، ولهذا عجزت عن حمايتها عندما هاجمتها أساطيل النورماند سنة 229 للهجرة هذه الأساطيل التي تميزت بتحركاتها السريعة الخاطفة وأسهمها النارية، وهذا ولم تكن غارات النورماند مركزة في مجموعة واحدة ذات قيادة موحدة، بل كانت مجموعات متعددة وفي أماكن مختلفة، ولهذا كثيرا ما كانوا يغيرون في وقت واحد وفي أماكن متفقة ومتقاربة، ولعل هذا هو سبب اختلاف الروايات الإسلامية التي دونت أخبارهم [3].

كذلك عرف عن النورماند أنهم كانوا يتحاشون الأماكن المحصنة بوسائل الحراسة والدفاع، والأماكن المكشوفة التي لا تعترض عمليات سلبهم ونهبهم، وكانت سواحل الأندلس الغربية من هذا النوع الأخير، لهذا لم يجد الشماليون صعوبة في اختراق نهر الوادي الكبير من مصبه، والصعود فيه بسفنهم ثم احتلال مدينة اشبيلية عدة أيام، عاثوا خلالها قتلا ونهبا وتخريبا سنة 229هـــ على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط.

ولما كان معظم الأسطول الأندلسي مرابطا على الساحل الشرقي، فقد اعتمد الأندلسيون في محاربة هذا الخطر على جيوشهم البرية، فأخذوا يضعون لهم الكمائن، ويثبون لهم السرايا التي تحول بينهم وبين العودة لسفنهم، ويقذفونهم بالمنجنيق من جانبي نهر الوادي الكبير، ولم ينسحب النورماند حتى وصلت قطع من

[1]- الحميري: نفسه، 80

[2]- احمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 271

[3]- Dozy: recherche sur L 'Histoire et littérature de L'Espagne. p 297.

الأسطول الأندلسي إلى ارض المعركة، يؤيد ذلك قول العذري في ترصيع الاخبار: "ثم هبطت للإمام عبد الرحمن خمسة عشر مركبا بالمقاتلة والعدة، فترلوا اشبيلية فلما أحس المجوس بها لحقوا بلبلة" [1].

وكان لغارة النورماند أثار هامة على الأندلس، فقد نبهت الأمير عبد الرحمن الأوسط ومن تولى بعده إلى ضرورة الإهتمام بتحصين السواحل التي يمكن أن يطرقها الغزاة الشماليون من الغرب والجنوب الغربي، فأمر عبد الرحمن بتسوير اشبيلية [2] بإيعاز من وزيره عبد الملك بن حبيب [3]، كما أمر بإنشاء المراقب والمحارس على طول الساحل الغربي المطل على المحيط الأطلسي وشحنها بالمقاتلة، كذلك حفزت هذه الغارة النورمانية الحكومة الأموية في قرطبة على زيادة الاهتمام بالبحرية عن طريق إنشاء دور لصناعة السفن لتزويد البلاد بأعداد وفيرة من السفن اللازمة لمواجهة الغارات البحرية المقبلة، فأمر الأمير عبد الرحمن الأوسط "بإقامة دار الصناعة في اشبيلية، وانشأ المراكب، وإستعد برجال من سواحل الأندلس فألحقهم، ووسع عليهم، فاستعد بالآلات والنفط" [4].

وكان الأمير يهدف من خلال إجراءاته هذه إلى إعادة تنظيم البحرية الأندلسية التي أسسها سلفه الحكم الربضي، وذلك من خلال حشد طاقاتها حيث دعا إلى تضافر جهود البحريين الغزاة لخدمة الدولة في مقابل أرزاق معلومة، أي أنه استعان بهؤلاء البحريين في إدارة أسطول قوي زوده بالآلات والمعدات.

إضافة إلى دار الصناعة في اشبيلية أمر الأمير عبد الرحمن بإنشاء دار لصناعة الأسلحة اللازمة للسفن في مدينة قرمونة المجاورة [5]، وكان من أثر ذلك أن أصبح لحكومة قرطبة أسطول ضخم مكون من أكثر 300 سفينة، وهو ما تؤكده المصادر الإسلامية المعاصرة، حيث يذكر ابن حيان أنه وفي سنة 334 للهجرة أي بعد أربعة سنوات من خروج النورماند غزا أسطول الأمير عبد الرحمن جزر البليار التي غدر أهلها بالمسلمين وتمكنوا من فتحها حيث يقول "وفيها أغزى الأمير عبد الرحمن أسطولا من ثلاثمائة مركب إلى أهل جزيرتي

---

[1]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 100

[2]- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 85

[3]- هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن عباس بن مرداس السلمي، وأصله من كوره البيرة، إتصل بالأمير عبد الرحمن الأوسط ونال الحظوة عنده كما اتصل بابنه الأمير محمد، وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول، عالم الأندلس عبد الملك بم حبيب وعاقلها يحي بن يحي، وفقيهها عيسى بن دينار، توفي رحمه الله سنة 239 للهجرة أيام الأمير محمد انظر حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، القاهرة، الطبعة الأولى 1996، ج 1، ص 244.

[4]- ابن القوطية: نفس المرجع، ص 87.

[5]- الحميري: الروض المعطار، ص 461.

ميورقة ومينورقة لنقضهم العهد، وإضرارهم بمن يمر عليهم من مراكب المسلمين، ففتح الله عليهم وأظفرهم بهم، فأصابوا سباياهم، وفتحوا أكثر جزرهم"[1] وتظهر هذه الرواية أن الحكومة الأموية تمكنت وفي ظرف وجيز من تدارك تأخرها في مجال القوة البحرية وتمكنت من تكوين أسطول قوي وهو ما سمح للأندلسيين بإفشال حملة النورماند الثانية التي أتت بعد ذلك بحوالي اثني عشرة سنة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وقد وصل الأسطول الأندلسي في عهد هذا الأمير إلى درجة كبيرة من التطور حيث يذكر المؤرخون أن أسطوله تكون من سبعمائة مركب.

وفي الوقت الذي كانت فيه الإمارة الأموية تقوي أساطيلها فإنها واصلت دعم البحريين المتمركزين في شرق شبه الجزيرة، بل وعمدت إلى توطين عدد منهم في بعض المناطق من أجل حمايتها كما عمل الأمير عبد الرحمن الأوسط حين قام بتوطين بعض الأسر العربية من بني سراج القضاعيين في إقليم بجانة وأوكل إليهم مهمة حراسة هذا الإقليم من غزوات النورماند القادمة، وفي ذلك يقول البكري: "وعهد إليهم بحراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل"[2]، وفي مقابل ذلك تمتع هؤلاء اليمنيون بإستقلال جزئي كما أصبح لهم الحق في استغلال وادي آش.

وقد ظهرت آثار هذا الدعم في اشتداد نشاط هؤلاء البحريين في الإغارة على السواحل الجنوبية للدولة الكارولنجية، حيث شنوا جملة من الغارات عل مدن مرسيليا وآرل Arles، مما اضطر الملك شارل الأصلع إلى عقد معاهدة مهينة مع الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 264 للهجرة، لكي يتيح لسكان المناطق الفرنسية الجنوبية بعض الراحة من تلك الغارات [3].

وبعد وفاة الأمير محمد تجددت غارات البحريين الأندلسيين على سواحل فرنسا الجنوبية، في عهد ولديه المنذر 273 – 275 للهجرة، وعبد الله 275 – 300 للهجرة، كما تمكن الأسطول الأندلسي في عهد هذا الأخير من افتتاح جزر البليار وضمها بصفة نهائية للإمارة الأموية وذلك في سنة 290 هجري حيث قام في هذه السنة أسطول مكون من سفن الدولة وسفن المجاهدين والغزاة الأندلسيين انطلاقا من قاعدة طرطوشة وبقيادة عاصم الخولاني أحد رجالات الأمير عبد الله من فتح جزيرة ميورقة وفي ذلك يقول ابن خلدون « كان

[1]– ابن حيان: قطعة من المقتبس، من عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، تحقيق الدكتور محمود مكي، ص 2.
[2]– البكري: ص 36.
[3]– مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 269.

فتح ميورقة سنة 290 هجري = 903 م على يد عصام الخولاني، وذلك أنه خرج حاجا في سفينة أتخذها لنفسه، فعصفت به الريح فارسوا بجزيرة ميورقة وطال مقامهم هناك، واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحها، فلما رجع من فرضه أخبر الأمير عبد الله بما رأى فيها وكان من أهل الغناء أي الثقة عنده في مثلها، فبعث معه القطائع في البحر ونفر الناس معه إلى الجهاد فحاصرها أياما وفتحوها حصنا حصنا، إلى أن كمل فتحها" [1]، لتدخل البحرية الأندلسية مرحلة جديدة من التطور في عهد الخليفة العظيم عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله 300- 350 للهجرة = 912- 961 م، فقد تميز هذا الحاكم الأموي بطموحاته الكبيرة ورغبته الجامحة في إعادة مجد الدولة الأموية في الأندلس، ذلك أنه لما بويع الخليفة الناصر بالإمارة كانت الأندلس ونارا تضطرم بالفتن، في الوقت الذي تطلع فيه عبيد المهدي أول خلفاء الدولة، جمرة تحتدم بالثورات الفاطمية بنظره نحو الأندلس، فأرسل دعاته وعيونه إليها لتمهيد البلاد الأندلسية قبل فتحها لتقبل المذهب الإسماعيلي، ولاستطلاع أحوالها، وتعرف مداخلها ومواطن الضعف فيها [2]، فبدأ الخليفة العمل على مسارين متوازيين، الأول يتمثل في القضاء على الحركات الانفصالية من خلال القضاء على زعماء الفتنة والثاني يتمثل في مواجهة الخطر الفاطمي الماثل في جنوب الأندلس، والخطر المسيحي في الشمال، ففي المسار الأول استعمل الخليفة أسلوب الترهيب والترغيب، حيث وعد الانفصاليين الذين يعودون للطاعة بالأمان على أرواحهم أموالهم وعيالهم، وانذر العصاة بسوء العاقبة، وقد استجاب اغلب الثوار لنداء الطاعة إلا زعيم الفتنة وإمام الثوار عمر بن حفصون الذي تحصن في مدينة بيشتر في كورة رية، والذي كانت تحت سلطته اكبر مدن وسط الأندلس الواقعة بين رية والجزيرة الخضراء من جهة، وألبيرة واحواز قرطبة من جهة أخرى [3]، وقد كان ابن حفصون على اتصال وثيق بالفاطميين الشيعة في المغرب الذين دعموه وأرسلوا إليه كل ما يحتاجه عبر مراكب تصله من العدوة، وكان لا بد للأمير أن يبادر بقطع الاتصال بين ابن حفصون وأعوانه في المغرب، فشرع الخليفة الناصر في حرق هذه السفن [4]، وفي العام الموالي وصل عبد الرحمن إلى الجزيرة الخضراء "وضبط البحر ونظر في أساطيله، واستكثر منه، ومنع ابن حفصون من البحر" [5]، وبعد ذلك قام الأمير بتوزيع أسطوله على

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 353.

[2]- محمود علي مكي: التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954، ص 112.

[3]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص 282.

[4]- ابن عذارى: ج 2، ص 247.

[5]- ابن خلدون: العبر، ج 4، ص22.

السواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة حتى يمنع وصول الإمدادات من القيروان إلى عمر بن حفصون[1].

ومنذ ذلك الوقت بدء الأمير في الاهتمام بشكل جدي بتقوية البحرية الأندلسية لدرء الخطرين الفاطمي في الجنوب والنورماندي في الشمال، فقد بدا الأمير بتنظيم البحرية واستكمالها فأكثر من بناء السفن الحربية ومهد لهذا بإنشاء عدد كبير من دور الصناعة في مدن الأندلس المختلفة مثل المرية، وطرطوشة، والجزيرة الخضراء[2]، ومالقة [3]، ولقنت وشلب وقصر أبي دانس بالبرتغال، ودانية[4]، ومدينة الزهراء، وشنتمرية[5] وشلطيش [6].

وفي أيامه وضحت القوى البحرية وازداد عدد قطعها بحيث تجاوز المائتي سفينة إذ يشير ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك فيقول "وانتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها"[7] والأغلب أن ابن خلدون يقصد هنا المراكب الغزوية المخصصة للقتال في البحر مثل الحراريق[8] والاغربة المقاتلة وإلا فإن الرقم يقل عما كان عليه زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن.

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 174.

[2]- ذكر الحميري أن عبد الرحمن الناصر هو من أمر ببناء دار صناعة الجزيرة وأتقن بناءها وعلى أسوارها، كما ذكر أن هذه الدار اتخذت في زمن الفتنة قصرا، انظر الحميري: ص 76.

[3]- مالقه Malaga: مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط تقع جنوبي شرق اسبانيا، أسسها الفينيقيون وأطلقوا عليها اسم مالكو Malako، ومعناه المملح نسبة إلى مستودعات السمك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ بها، ولها قصبة منيعة في شرقيها وهي في غاية الحصانة والمنعة، ولها ربضان كبيران بهما الفنادق والحمامات واشتهرت كذالك بما كانت تحويه من شجر التين المنسوب إليها. انظر الإدريسي: المرجع السابق، ص 204. والجميري: المرجع السابق، ص 546.

[4]- دانية: Denia على ساحل البحر المتوسط جنوبي بلنسية شرق الأندلس، واسم المدينة العربي والاسباني مشتق من اسمها الروماني القديم Danium ويشرف على دانية جبل مرتفع هو جبل « قاعون »، والمدينة محاطة بغابات كثيفة من شجر الصنوبر الذي تصنع منه السفن في دار صناعة دانية، وكانت دانية قاعدة بحرية هامة منذ عهد الأمويين واشتهر أمرها عندما انتزى بها مجاهد العامري انظر الإدريسي: المرجع السابق، ص 192، الحميري: ص 259.

[5]- شنتمرية: مدينة في الأندلس من مدن اكشبونة على البحر الأعظم وبها دار صناعة الأساطيل، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 375.

[6]- شلطيش: وهي جزيرة بالقرب من مدينة لبلة، بها دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد، وهي صنعة المراسى التي ترسوا بها السفن، وهي كثيرة السفن وبها دار صناعة لإنشائها، الحميري: الروض المعطار، ص 371.الإدريسي: المرجع السابق، ص 179.

[7]- ابن خلدون: المقدمة، ص 629.

[8]- الحراريق: نوع من أنواع السفن الحربية التي ترمي بالنيران كالنار الإغريقية. انظر محمد احمد أبو الفضل: المرجع السابق، ص 60.

كما حرص الناصر على تزويد أسطوله بكل أنواع السفن الحربية حيث يوكل لكل منها مهمة في القتال ومن أمثلة هذه السفن الحربية، الحراريق التي كانت تصنع في دار صناعة المرية [1]، ومالقة والجزيرة ولقنت [2]، والاغربة والبطس [3] والحمالات [4] والشلندي [5] والطرايد [6] والشواني [7] والقراقير [8] والمسطحات [9].

وقد ساعد الناصر على إتمام مشروعه الطموح توفر الأندلس على المواد اللازمة لبناء السفن خاصة الأخشاب، حيث اشتهرت مدن الأندلس وخاصة طرطوشة بجودة خشب الصنوبر الذي تحتويه غاباتها [10].

وما أن تهيأ للخليفة إعداد أسطول ضخم حتى بدأ يتحرش بالفاطميين ويناوئهم، وبادر سنة 314 للهجرة 926 م بالاستيلاء عل طنجة ومليلة [11]، ثم على سبتة [12] في صدر ربيع الأول سنة 319 للهجرة

---

[1]- العمري (ابن فضل الله): مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، الجزء الخاص بوصف افريقية والأندلس، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس، ص 4.

[2]- الحميري: الروض المعطار، ص 539.

[3]- البطس: جمع بطسه، وهي من السفن الحربية العظيمة الحجم تشتمل على عدة طبقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها، وتسيرها فلوع كثيرة، وكانت تستخدم في شحن الغلال والأقوات والمير والأموال والنفقات علاوة على آلات الحرب والقتال في البحر، أنظر: العدوي: المرجع السابق، ص 168.

[4]- حمالات: جمع حمالة من مراكب النقل، وكانت تستعمل لحمل الغلال وهي ملحقات الأسطول الحربي، مخصصة لنقل مؤونة الجيش، وازواده والصناع والخدم الملحقين بالجيش والأسطول.أنظر:

Dozy: supplement aux dictionnaire arabes I. p. 327.

[5]- الشلندي: والجمع شلنديات، وهي مراكب حربية مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتستخدم كذالك في نقل البضائع أنظر:

Dozy: op.cit. p 459 .

[6]- الطرايد: جمع طريدة أو طراد وهي سفن صغيرة سريعة، عرّفها دوزي بأنها من المراكب الحربية أكثر شبها بالبرميل الهائل منها بالسفينة.أنظر:

Dozy: op.cit. p 34.

[7]- الشواني: جمع شيني، وهي السفينة الحربية الكبيرة وكانت مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتجذف بمائة وو ثلاثة أربعين مجدافا.أنظر:

Dozy: op.cit. p717 .

[8]- القراقير: جمع قرقور وهي من السفن الضخمة التي تحمل المؤن للأسطول.أنظر:

Dozy: op.cit. p.335.

[9]- المسطحات: جمع مسطح، وهي من السفن الحربية الكبيرة، وهي من اكبر سفن الأسطول الإسلامي، راجع درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام، 1974، ص 141.

[10]- الحميري: الروض المعطار، ص 419.

[11]- مليلة: مدينة مغربية على ساحل البحر المتوسط من أعمال مدينة طنجة وهي قريبة من مصب نهر ملوية، وهي مدينة، مسورة بسور منيع، وداخلها قصبة منيعة، وفيها مسجد جامع وحمامات وأسواق، لها عمارات متصلة ووزراعات كثيرة وعيون كثيرة الماء، انظر الحميري: ص 573، الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 171.

[12]- سبتة: مدينة عظيمة في المغرب عند مضيق الزقاق تقابل مدينة الجزيرة الخضراء في الأندلس وبينهما ثمانية عشر ميلا، والبحر يحيط بسبته من جميع الجهات وليس لها إلى البر غير طريق واحد من جهة الغرب، ومدينة سبته تقوم على سبعة جبال صغيرة لها من الغرب إلى الشرق حوالي الميل، ويتصل بها من جهة الغرب وعلى ميلين منها جبل موسى وهذا الجبل منسوب إلى موسى بن نصير، والمدينة كثيرة المزارع والبساتين كما تكثر بها

مارس 931 م [1] وبذلك أصبح يمتلك معبري الأندلس، ثم شك سبتة بالرجال وجعلها مفتاحا للمغرب والعدوة من الأندلس [2]، وفي هذا العام أرسل الخليفة أسطوله بقيادة أحمد بن محمد بن الياس ويونس بن سعيد "في عدة مراكب جملة ورجال كثير وصنوف من البحريين والمقاتلين، فجازا مرسى الجزيرة، واحتلا العدوة وحاصرا ابن أبي العيش" [3]، ويبدو أن الناصر هو الذي أمر بتأسيس دار الصناعة طنجة ودار صناعة قصر مصمودة القريبة من سبتة [4].

وعندما استنجد موسى بن أبي العافية بالخليفة عبد الرحمن الناصر، ليمده بقوة عسكرية تمكنه من القبض على الحسن بن عيسى بن أبي العيش، بعث الخليفة إليه بقوة عسكرية غادرت إلى مياه العدوة المغربية بواسطة الأسطول الأندلسي، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأول سنة 319 للهجرة مايو 931 م [5]، وقد وصف ذلك الأسطول بأنه أفخم أسطول أجراه ملك من قبل، فقطعه متكاملة وعدده متواترة، وانتهى عدد قطعه إلى مئة وعشرين قطعة، مع الحمالة والفتاشة وقوارب الخدمة، وكان عدة من ركبه نحو سبعة آلاف رجل، خمسة آلاف من البحريين، وألف من الحشم، وغزا فيه من وجوه أهل بجانة وألمرية تطوعا في مراكبهم تسعة رجال [6]، وتولى قيادة الأسطول أحمد بن محمد بن إلياس وسعيد بن المنذر بن سعديل [7].

وبعد ذلك أخذت مرافئ العدوة المغربية تخضع تباعا لكلمة الخليفة عبد الرحمن الناصر، وذلك بفضل وجود أساطيل قوية تحت سيطرته وقادة أكفاء ورجال بحر مدربين، ففي سنة 322هـ- 934 م اتجه عبد الملك بن سعبد بن حمامة على رأس الأسطول الأندلسي فأخضع أصيلة [8]، وفي العاشر من من رمضان من العام الموالي صدر أمر الخليفة الناصر للقائد ابن أبي حمامة بالتوجه إلى سبته وطنجة فسارع بتنفيذ الأوامر رغم أنه

عيون المياه العذبة، كما تشتهر المدينة بمصايد السمك حيث ويصاد بها منه حوالي مئة نوع، انظر الحميري: ص 331، الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص 167.

[1]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص 40.

[2]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 176.

[3]- ابن عذارى: البيان، ج 1، ص 208.

[4]- الإدريسي، المرجع نفسه، ص 168.

[5]- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 104.

[6]- منهم محمد بن الرماحس، وإبراهيم بن يزيد الرداد، وقاسم بن عبد الرحمن وغيرهم، انظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص 313

[7]- ابن حيان: المصدر السابق، ص 312- 313

[8]- ابن حيان: نفسه، ص348

كان عند صدور الأمر إليه في برشلونة يؤدي مهمة عسكرية كان قد بدأ منذ شهر رجب من نفس السنة [1]، فتمكن القائد ابن أبي حمامة من إخضاع طنجة، وظل مترددا بين المرافئ الساحلية للمغربين الأقصى والأوسط إلى ضمن خضوعها لسيطرة حكومة قرطبة ثم عاد إلى الأندلس في شهر صفر من سنة 224 للهجرة يناير من سنة 936 م [2] وما كاد الأسطول الأموي يعود إلى الأندلس حتى أمر الخليفة بإرسال أسطول أخر للإغارة على بقية قواعد الفاطميين في ساحل المغرب الأقصى، حيث وفي سنة 224 للهجرة = 936 م قامت الأساطيل الأندلسية المؤتلفة بغارات واسعة النطاق على ثغور بلاد المغرب الأقصى، بعد أن تجمعت في قاعدة سبتة واندفعت منها كما يقول ابن حيان إلى "مليلة ونكور فافتتحتهما ثم جرى إلى جراوة فافتتحها أيضا، فاعتز بذلك موسى بن أبي العافية، وصارت إليه هذه المدائن، فاستقل من نكبته وقرع هذا الأسطول أعداء الدولة قرعا شديدا، واستتم في غزاته هذه ستة أشهر وقفل"[3].

بعد هذه الانتصارات على الجبهة الجنوبية قرر الخليفة الانتقال إلى مرحلة أخرى من مراحل تطوير قوته البحرية وذلك بأنه قرر أنشاء اكبر قاعدة لأساطيله حيث وقع اختياره على مرية بجانة لما تتمتع به من مزايا تسمح لها باحتضان اكبر قاعدة للبحرية الأندلسية، حيث لم تلبث المرية أن أصبحت من أشهر مراسي الأندلس وأكثرها عمرانا، واتسعت رقعتها، ونما عمرانها، وكان خليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الأسطول الأندلسي[4] فكانت مرفأ أساطيل الأندلس، وكانت دار الصناعة[5] بالمرية تقوم بإنشاء السفن والعدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الأسطول[6]، وكانت هذه الدار تنقسم إلى قسمين متميزين: قسم تصنع فيه المراكب الحربية والآلات والعدد، والثاني يضم القيسارية، قد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها [7]، وكان يحصن دار الصناعة برج يقوم على بابها، مهمته تدعيم أسوارها والدفاع عنها في حالة اقتحام الأعداء.

---

[1]- ابن حيان: نفسه، ص 366.

[2]- ابن حيان: نفسه، ص 462.

[3]- ابن حيان: المقتبس، تحيق لاميتا، ص 382.

[4]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص 78.

[5]- دار الصناعة اسم يطلق على المكان الذي أعد لصناعة السفن، وقد أخذ الأوروبيون الاسم عن العرب وذلك عن اتصالهم بالأندلس فعرفت بالاسبانية Durcinah ثم طرأ على هذا الاسم عدة تغييرات حتى أصبحت تعرف في الاسبانية arsenal وArsenale ثم عاد العرب وأخذوها عن الأسبان بلفظTarsanah ، معتقدين أنها تركية فعربوها إلى ترس جانة او ترسانة. انظر جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص161.

[6]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 178.

[7]- العذري: ترصيع الأخبار، ص 86.

وكان لقائد أسطول المرية في عصر الخلافة أهمية خاصة، وقد أشار صاحب كتاب "الأزهار المنثورة في الأخبار المأثورة" إلى أهمية منصب قائد أسطول المرية في الدولة الأموية، فذكر أن أكثر شؤون الخلفاء الأمويين أهمية لم يكن يقطع فيها برأي دون الرجوع إلى ثلاث شخصيات: الأول قائد جيش سرقسطة حاضرة الثغر الأعلى لأهمية موقعها، والثاني قاضي قرطبة، والثالث قائد أسطول ألمرية [1] وهذا يبين ما وصلت إليه البحرية في الأندلس أين أضحت تنظيميا تضاهي اعرق الأساطيل آنذاك.

ويرجع سر اختيار الخليفة عبد الرحمن الناصر لهذه المدينة لتكون مرفأ لأساطيل الأندلس وقاعدة للحط والإقلاع إلى حصانتها من جهة البر، وكثرة الحصون المتوزعة حولها، مثل قصبة المرية المعروفة بقلعة خيران، وحصن برجة الواقع في الجنوب الغربي من المرية في واد شديد إلى الجنوب الشرقي من خليجها كل ذلك ساعد على تدعيم نظامها الدفاعي وزيادة منعتها، والحصانة والمنعة شرط من الشروط اللازم توافرها في المدن في رأي ابن خلدون[2]، وبالإضافة إلى هذا الشرط تمتاز المرية بتوافر شرط آخر وهو أن تقع المدينة بالقرب من نهر وان يكون بإزائها عيون عذبة، والمرية تقع على مصب نهر صغير هو وادي بجانة، وإلى جانب هذه المزايا التي اختصت بها المرية، كان خليجها شديد الاتساع والعمق بحيث يمكنه أن يضم عددا كبيرا من السفن، بالإضافة إلى أنه كان يمتاز بهدوء مياهه وقلة أمواجه [3].

وهكذا لم يكد العقد الثالث من القرن الرابع الهجري يبدأ حتى أضحى أسطول الخلافة الأموية في الأندلس يمتلك زمام الأمور في الحوض الغربي للبحر المتوسط واخذ يسدد ضرباته ضد الفاطميين في الجنوب وضد الفرنجة والأسبان في الشمال، ففي المحرم من سنة 321 للهجرة = 933 م عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده أحمد بن عيسى بن أحمد بن عبده بإصلاح الأسطول بدار الإنشاء بالمرية وتهذيبه والزيادة فيه وتجهيزه وذلك استعدادا لغزو بلاد الفرنجة بالتنسيق مع أسطول جزر البليار وطرطوشة، وبعد أن اعد عامل بجانة أسطول المرية خير إعداد، أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر القائد البحري سعيد بن يونس في 321 للهجرة بقيادة أسطول المرية المكون من عشرة مراكب وخمسة شواني والتوجه إلى جزيرة ميورقة للانضمام إلى أسطولها والتوجه من هذه الجزيرة إلى طرطوشة المحاذية لإمارة قطلونية والإغارة على ثغورها الساحلية بالتعاون مع

---

[1]- Levi Provençal: l ' Espagne musulmane au X^{e} siècle ،pp 85- 86.

[2]- ابن خلدون: المقدمة.

[3]- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية الأندلسية، ص 37.

أسطول طرطوشة، ونفذ القائد سعيد ابن يونس أوامر الخليفة، وتوجه على رأس أسطوله من ألمرية إلى ميورقة، وبعد انضمام أسطول البليار إلى أسطوله أبحر من ميورقة وفي ذلك يقول ابن حيان "يريد بلد أفرنجة إمارة قطلونية فأصابه عند مخرجه من ميورقة هول ارتج به البحر فعطب من مراكبه شيني واحد وقارب، واتجهت سائر القوارب إلى طرطوشة" [1].

وفي عام 323 للهجرة = 934 م غزا أسطول الأندلس بلاد القرنجة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة وكان يتكون من أربعين مركبا وعشرين حراقة مجهزة بالنفط والآلات البحرية، وعشرين مركبا مشحونة بالمقاتلة، وبلغ عدد الجند المقاتلة ألف مقاتل ومن البحريين ألفين، ثم غادر الأسطول ميناء ألمرية في رجب من هذه السنة، مارا بجزيرة ميورقة إلى وصل «بلش» [2]، من بلاد الفرنجة وفيها دارت معركة عظيمة بين المسلمين والفرنجة، انتهت بانتصار المسلمين، وتقدم الأسطول الأموي بعد ذلك إلى ميناء اينش[3] – وهو مرفأ ودار صناعة – فهدمه المسلمون واحرقوا المراكب الراسية به والأرباض الممتدة حوله، وبلغ عدد قتلى الفرنج في هذه المعركة ما يزيد عن أربعمائة قتيل، ثم واصل الأسطول بعد ذلك سيره إلى برشلونة وهناك اعترضه على مقربة منها القائد الفرنجي بليط في جيش كبير التحم مع المسلمين وكان النصر في النهاية حليفا للمسلمين وقتل بليط وأغلب جنده، ثم قفل الأسطول الأموي راجعا إلى بعد غزوته الناجحة إلى طرطوشة سالما غانما [4].

ويذكر العذري أنه وفي عام 328 للهجرة =939 م خرج محمد بن رماحس قائد أسطول المرية زمن الناصر، في حربيين[5] برجالهما من آهل مرية بجانة إلى طرطوشة، وركب من هناك في عشرة مراكب حربية

---

[1]– ابن حيان: المقتبس، ج 5، ص 323.

[2]– بالش: وقد وردت هكذا في المقتبس لابن حيان، وقد أطلق هذا الاسم على أكثر من موضع بالأندلس مع تغيير في رسم الكلمة في كل مرة، فرسمها ابن الآبار بلش في عمل لورقة التكملة لكتاب الصلة، الجزء الأول، ص 321، أما الإدريسي فأورد حصن بالش في إقليم بجانة، صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس، ص 175، ص 195. وورد عند ابن الخطيب بليش من أعمال مالقة، وقد أطلق عليها بليش مالقة لجوارها من مدينة مالقة في حين أن بالش التي يذكرها ابن حيان في موضع آخر لعله جنوب برشلونة استنادا إلى أن الأسطول الأموي أبحر من ميورقة إلى بالش من ارض الفرنجة، وارجح أنها بلد ساحلية في إقليم قطلونية.

[3]– اينش: لم نجد فيما بين أيدينا من مصادر جغرافية وتاريخية ما يدل على موضع هذه المدينة.

[4]– ابن حيان: المقتبس، ج 5. ص 366.

[5]– حربية والجمع حربيات وحرابى، عرف بها المقريزي إذ يقول: "فالحربية هي التي تنشأ لغزو المقاتلة"، المقريزي تقي الدين، طبعة بولاق، القاهرة، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2، ص 189.

وأربعة شواني وفتاش بالإضافة إلى حربيي المرية، وأبحر إلى انبورش [1] فبلغ رأس الصليب [2] على طرف جون انبورش، وبعد أن انهى مهمته عاد إلى طرطوشة مارا ببرشلونة [3].

وفي عام 331 للهجرة = 942م غزا محمد بن الرماحس قائد أسطول المرية إلى أفرنجة مع غالب بن عبد الرحمن وسهل بن أسيد في ثلاثين مركب حربية وستة شواني فخرج من مرية بجانة في من 13 شوال من العام نفسه ولكن سفنه تعرضت لرياح عاتية فرقتها [4].

وفي تلك الأثناء عادت أساطيل الأندلس للإغارة على سواحل الفاطميين في المغرب، حيث وفي سنة 333 للهجرة غزا محمد بن رماحس على الأسطول إلى بني محمد بالعدوة، وكان عدد السفن الأندلسية الغازية 15 مركبا حربية وشينيين وفتاش [5]، وفي العام التالي غزا محمد بن رماحس قائداً على الأسطول من المرية، ولم يلبث النزاع بين الفاطميين في المغرب والأمويين في الأندلس أن تطور إلى صدام بحري مسلح، ففي سنة 344 للهجرة أمر عبد الرحمن الناصر بإنشاء مركب كبير لم يعمل مثله في دار الصناعة في ألمرية، وسير فيه أمتعة إلى بلاد الشرق، فلقي في البحر مركبا يحمل رسولا من الحسين بن علي الكلبي أمير صقلية إلى المعز لدين الله الفاطمي، فقطع عليه بحريو المركب الأندلسي طريقه، واستولوا على ما فيه، كما استولوا على الكتب التي أرسلها الحسين بن علي إلى المعز، فلما بلغ المعز ذلك عمر أسطولا بقيادة الحسين بن علي صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس، فهاجم الأسطول الفاطمي المرية في نفس السنة، ودخل المهاجمون مرسى ألمرية، وحرقوا جميع ما فيه من سفن، واستولوا على المركب الأندلسي الكبير، وكان قد عاد من الإسكندرية مشحونا بأمتعة للخليفة عبد الرحمن وجوار ومغنيات، ثم دخلوا المدينة، وقتلوا ونهبوا ثم عادوا سالمين إلى المهدية [6]، وكان رد الفعل الأموي على هذه الغارة عنيفا فقد هاجم الأسطول الأندلسي بقيادة أمير البحر غالب بن عبد الرحمن سواحل افريقية في العام التالي 245 للهجرة في ستين سفينة، وكان ساحل سوسة هو هدف هذه الغارة [7]، وفي

---

[1]- انبورش ولعل المقصود بها امبورياس Ampurais الواقعة شمال برشلونة على الساحل الشمالي الشرقي لاسبانيا.

[2]- هكذا في الأصل و لم أعرف ما يقابلها فيما بين أيدينا من مصادر تاريخية وجغرافية.

[3]- العذري: ترصيع الأخبار، ص81 .

[4]- العذري: المرجع نفسه، 81.

[5]- العذري: المرجع نفسه، ص 82.

[6]- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أحمد: الكامل في التاريخ، القاهرة، 1353 للهجرة، ج 8، ص 185.

[7]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 221.

أول المحرم سنة 247هـ أمر الخليفة الناصر صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلي بالخروج غازيا إلى سواحل افريقية.

و هكذا أصبح للأسطول الأندلسي الكلمة النهائية في المياه المحيطة بالأندلس من الناحيتين الشرقية والغربية، فالقطع الحربية المرابطة في قاعدة المرية تقف في مواجهة أي اعتداء قد يأتي من قبل العبيديين في حين أن قاعدة اشبيلية البحرية تذوذ عن الساحل الغربي ضد أي هجوم يقوم به النورمانديون.

وعندما تولى الخلافة الحكم المستنصر ازداد اهتمامه بالأساطيل البحرية وأخذت دور الصناعة تنتج المزيد من القطع البحرية فوصل عددها في عهده إلى ستمائة جفن بين غزوي وغيره [1]، ويعود ذلك أولا إلى حرص الخليفة على استمرارية سيطرة الأندلس على مضيق جبل طارق لخشيته من أي هجوم مفاجئ قد يشنه الأسطول العبيدي وثانيا لخشيته من عودة النورماند لمهاجمة السواحل الغربية للأندلس، ولذا نراه يقوم بزيارة تفقدية للقاعدة الرئيسية للأسطول الأندلسي في ألمرية وذلك في شهر رجب من سنة 353 هجري = 964م فوقف على ما تم انجازه من أعمال التحصينات ذلك وشاهد حصن القبطة ونظر في الأسطول المرابط هناك وجدده وكانت عدد قطعه آنذاك ثلاثمائة قطعة [2].

كما حافظ الخليفة الحكم على نهج أبيه الناصر في الاحتفاظ بالقواعد المغربية المطلة على المضيق مثل سبته وطنجة، ومد نفوذه عن طريقها إلى قلب العدوة المغربية، غير أن هذه السياسة لم تلبث أن اصطدمت بمصالح أمراء الأدارسة الذين كانوا يطمعون في استعادة ملكهم في هذه النواحي الشمالية للمغرب فقاموا بثورة عامة بقيادة الحسن بن جنون الحسني في 361 للهجرة = 972 م، وقطعوا الدعوة للأمويين، احتلوا طنجة وتطوان وأصيلا، وسائر المناطق الجبلية الواقعة شمال وادي اللكوس، وجعلوا قيادتهم في قلعة شاهقة الارتفاع في شمال شرق القصر الكبير تسمى حصن الحجر أو حجر النسر كناية عن ارتفاعها [3].

و لم يتردد خليفة قرطبة في إرسال أساطيله وجيوشه عبر المضيق لاستعادة نفوذه في تلك المنطقة وأول من أنفذه إلى المغرب قائده ووزيره محمد بن القاسم بن طلمس الذي عبر المضيق إلى سبتة في شوال من تلك السنة

[1]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج 2، ص 42.

[2]- ابن عذارى: نفس المرجع، ج 2، ص 352.

[3]- ابن أبي زرع: روض القرطاس، ج 1، ص 137.

361 للهجرة، ثم لحقت به الأساطيل الأندلسية بقيادة قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس وحين تكاملت الجيوش والأساطيل معا بسبته، بدأ هجومها برا وبحرا على طنجة، وكان أمير الأدارسة الحسن بن جنون داخلها يشد عزائم أهلها ولكنه فشل في محاولته، واضطر أن يهجر المدينة وفر هاربا.

و لم يجد أهل طنجة بداً من التسليم، فخرج شيخهم ابن فاضل مع جماعة من وجوه المدينة وهم ينادون "الطاعة لله ولأمير المؤمنين الحكم"، ثم تقدم ابن فاضل إلى قائد البحر ابن رماحس وطلب منه الأمان لأهل بلده، فأعطاه إياه ودخل طنجة في شوال من سنة 361 للهجرة = أوت سنة 372 م[1]، أما القائد محمد بن القاسم بن طلمس، فانه تعقب فلول جيش ابن جنون على ساحل المحيط الأطلسي يسنده أسطول سبته حيث استعاد أصيلا ودخل جامعها فوجد منبرا جديدا موسوما باسم معد بن إسماعيل المعز لدين الله فأمر بإحراقه، و لم يستسلم الحسن بن جنون لهذه الهزيمة، فأخذ يجمع شمله ويوحد صفوفه لمعاودة الكرة على الأمويين، حيث لم يلبث أن هاجم الجيش الأندلسي على غرة في مكان يعرف بفحص مهران بضواحي طنجة وانزل به هزيمة ساحقة قتل فيها ابن طلمس وذلك في ربيع الأول سنة 362 = 972 م، ولجأ الفل إلى سبته مستغيثا بالخليفة الحكم [2].

وثارت ثائرة الخليفة الحكم المستنصر لهذه الهزيمة، وصمم على استرجاع كرامته ونفوذه في المنطقة حيث استدعى وزيره وقائده الأعلى غالب بن عبد الرحمن الناصري من ثغر مدينة سالمMedinaceli [3] فوافاه بقرطبة فيمن معه من رجال الثغور في جمادى الآخرة 362 للهجرة، وضم إليه الخليفة جيشا كبيرا وأمره بالتوجه لقتال هذا الثائر قائلا له: سر سير من لا إذن له في الرجوع حيا إلا منصورا، أو ميتا فمعذورا، وابسط يدك في الإنفاق، فإن أردت الطريق بيننا قنطار مال [4].

ثم كتب الخليفة إلى قائد أسطوله المرابط في طنجة عبد الرحمن بن رماحس، والقائدين الذين معه سعد وقيصر، وإلى قواده في أصيلا أمثال عبد الرحمن بن أرمطيل، ورشيق بن عبد الرحمن، ويأمرهم بعدم التعرض

1- ابن حيان: المقتبس في أخبار الأندلس، نشر عبد الرحمن الحجي، ص 89.

2- ابن حيان: المرجع السابق، ص 69.

3- مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 294.

4- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 265- 267.

لقتاله حتى يصل القائد غالب بجيوشه، ثم طلب منهم العمل على معرفة أخبار الحسن وبث الجواسيس لتتبع حركاته" [1].

ثم أبحر غالب بجيوشه من الجزيرة الخضراء يريد طنجة في رمضان 362 للهجرة ثم تقدم لقتال الأدارسة في معاقلهم الشاهقة في شوال من تلك السنة، وفي نفس هذا الوقت اتجه قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله من طنجة إلى أصيلا كي يتعاون مع الأسطول الأندلسي المرابط هناك، ولكي يكون قريبا من القائد الأعلى غالب، ولقد بارك الخليفة هذه الحركة بخطاب وجهه إلى ابن رماحس يقول له فيه: "أن اجتماع الأسطولين فيه صواب التدبير"[2]، وبهذه السياسة الحكيمة الحازمة شدد الأمويين الحصار حول حصن ابن جنون المعروف بحجر النسور، فاشتد الأمر عليه واضطر إلى الاستسلام وطلب الأمان فأجيب إلى طلبه ودخل غالب الحصن حيث صلى في مسجده صلاة الجمعة مع الأمير الإدريسي، ودعى يومئذ عل منبره للخليفة المستنصر [3].

وبإخماد هذه الثورة استطاع الخليفة المستنصر أن يضمن سيطرته على مضيق جبل طارق، وأن يحمي بلاده من أي خطر شيعي أو زيري يمكن أن يتهددها من ناحية المغرب.

أما الخطر الثاني الذي دفع الحكم المستنصر إلى الاهتمام بتقوية أسطوله وتحصين سواحله، فهو خطر الغزو النورماندي الذي كان لا يزال يهدد ثغوره وسواحل بلاده، خاصة بعد أن أصبح لهم قاعدة ثابتة بالقرب من السواحل الغربية للأندلس، وهي ولاية نورمانديا غرب فرنسا، وقد فصلنا في الفصل السابق الجهود التي بذلها الخليفة وقادته من أجل حماية سواحل الأندلس من هذا الخطر.

وبعد وفاة الخليفة المستنصر وتولي ولده هشام المؤيد الخلافة وتسلط الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر عليه واستبداده بجميع أمور الدولة، واصل المنصور الاهتمام بالأساطيل وتطويرها ويبدوا أنه حقق في هذا المجال الشيء الكثير وانشأ من السفن أنواعا عديدة فأصبح الأسطول بمراكبه حديث المجالس [4].

---

[1]- ابن حيان: المرجع السابق، ص 97.

[2]- ابن حيان: نفس المرجع، ص 115.

[3]- ابن عذارى: نفس المرجع، ج 2 ص 266.

[4]- المقري: نفح الطيب ج 4، ص 87.

ونظرا لإتباع المنصور سياسة سلفيه المستنصر والناصر تجاه المغرب فقد اتخذ من سبته قاعدة بحرية حربية تنطلق عمليات رجاله في العدوة ولقد اهتم بتحصينها اهتماما كبيرا وتجلى كل هذا الاهتمام بصورة واضحة عندما زحف الأمير بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي صاحب افريقية فهزم زناتة وأجلاها عن عن أماكنها فاجتاز أمراءها البحر إلى المنصور بن أبي عامر مستغيثين به، فشمر للأمر وانتقل بعساكره وأجناده إلى الجزيرة الخضراء، ثم أرسل جيشا إلى سبته بقيادة جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي [1] ثم أصبح المدد يأتي بانتظام من الجزيرة الخضراء إلى سبته حتى أن البحر أصبح ابيضا من كثرة المراكب الأندلسية التي تعبر المضيق جيئة وذهابا[2]، فلما اشرف الأمير بلقين بقواته من أعلى جبل النور المطل على سبته وشاهد عظم تحصينها وكثرة العساكر وتوالي المدد القادم عبر البحر إلى سبته أدرك أنه لا طاقة له بها، وتكررت استعانة المنصور بالأسطول مرة أخرى وذلك عندما ثار الحسن بن جنون ضد الدولة الأموية بالمغرب فعسكر بالجزيرة الخضراء واتخذها قاعدة عسكرية له يعد منها المعارك ويشرف على سيرها ثم أرسل الأساطيل إلى العدوة المغربية تحمل الرجال والأموال والسلاح فتم القضاء على ابن جنون وجيئ برأسه إليه في جمادى الأول من سنة 375 هـ = سبتمبر 985 م [3].

وبالإضافة إلى ما سبق نجد المنصور بن أبي عامر يستخدم الأساطيل لتقل قواته إلى العدوة المغربية وذلك للقضاء على حركة الزعيم المغراوي زيري بن عطية عندما أعلن تمرده ضد المنصور سنة 386 هـ = 996 م [4]، وبعد معارك طاحنة تمكن الجيوش الأندلسية من إخضاع المتمرد وقتله وذلك سنة 389 هـ = 999 م [5].

وكما استخدم المنصور الأسطول في نقل قواته ومستلزماته إلى العدوة المغربية فكذلك استخدم الأسطول في نقل الأطعمة والأسلحة والعدد في غزوته الثامنة والأربعين التي شنها ضد جيليقية في صائفة سنة 387 هـ = 998 م، إذ أمر قائد الأسطول أن يسبقه فيدخل من المحيط الأطلسي ويستمر في مسيره إلى موضع حدده له

---

[1]- ابن القائد علي بن حمدون مؤسس مدينة المسيلة بالمغرب الأوسط، خدم مثل أبيه الفاطميين ملوك المغرب، ولما استولى المعز الفاطمي على مصر وقرر الانتقال إليها عرض على جعفر أن يصبح نائبه في حكم المغرب، لكن ابن حمدون اشترط أن يكون شبه مستقل في ولايته فرفض المعز ذالك وعين على افريقية الأمير بلقين بن زيري الصنهاجي وقد آثار هذا التعيين غضب ابن حمدون ففر هاربا إلى الأندلس هو وأخوه يحي ودخل في خدمة الخليفة الحكم المستنصر.

[2]- مفاخر البربر لمؤلف مجهول: نشر ليفي بروفنسال، ص 24.

[3]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 281.

[4]- مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص 28.

[5]- مفاخر البربر، ص 28- 34.

على نهر دويره بحيث يتم الالتقاء عند هذه النقطة وقد قام الأسطول بنقل أفراد الجيش إلى الجانب الأخر من النهر حيث انطلق المنصور بجيوشه حتى بلغ شنت ياقوب [1]، وقد شرح ابن عذارى الدور الذي قام به الأسطول في تلك الحملة الشهيرة "وكان المنصور تقدم بإنشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل عرب الأندلس، وجهزه برجاله البحريين وصفوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة إلى أن خرج بموضع برتقال على نهر دويره، فدخل في النهر في المكان الذي عمل المنصور على العبور منه، فعقد من هذا الأسطول جسرا بقرب الحصن الذي هناك، ووزع المنصور ما فيه من الميرة على الجند فتوسعوا في التزود منه في أرض العدو، ثم نهض يريد مدينة شانت ياقوب قاصية غليسية".

وفي وصف الأسطول الذي أنشاه المنصور ابن أبي عامر يقول الشاعر ابن دراج القسطلي:

تحمــــــل منـــه البحر بحـــرا من القنــــــا	بـــــروع بـــــها أمـــــواجه ويهـــــول
بكـــل ممــــــالات الشــــــرع كأنهـــــا	و قـــد حمـــــلت أســــد الحقـــائق غيل
إذ ســــــابقت شـــاو الريـــــح تخيـــلت	خيـــــولا مــــــدي فرســـانهن خـــيول

وعندما أخذت الخلافة الأموية في الأندلس تتدهور بعد سقوط الدولة العامرية وما تبع ذلك من أحداث انتهت بسقوط الخلافة الأموية سنة 422 للهجرة = 1031 م، اختفت البحرية الأموية تماما، فقد أعقب سقوط الخلافة الأموية واختلال ميزان النظام والأمن في البلاد، وتفتت الوحدة السياسية للأندلس أن تجزأت البلاد إلى دويلات مستقلة حافظت كل منها على استقلالها في إمكانياتها المحدودة، و لم تعد هذه الدويلات تحتفظ بأساطيل قوية تحركها الحكومة المركزية في قرطبة، كما كان الحال في عصر الخلافة، وإنما اعتمدت هذه الدويلات وخاصة الساحلية منها، ومعظمها كانت تخضع لعناصر صقلبية، على أساطيل محلية صغيرة هي أجزاء من الأسطول الأندلسي الذي اقتسمته فيما بينها [2] و لم تلعب هذه الدويلات دورا ذا قيمة في الصراع البحري يومئذ في الحوض الغربي للبحر المتوسط باستثناء دويلات قليلة كان لها دور بحري واضح في أحداث هذا

---

[1]- ابن عذارى: نفس الرجع، ج 2، ص 295.

[2]- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 201.

العصر، ونخص بالذكر منها دولة بني عباد باشبيلية ودولة بني صمادح بالمرية، وعلى الاخص دولة مجاهد العامري في دانية والجزائر الشرقية الذي يعتبر أكثر ملوك الطوائف جميعا عناية بالأساطيل، والذي لعب دورا هاما في الجهاد البحري في البحر المتوسط الغربي.

وقد كان مجاهد العامري وقت سقوط الخلافة الأموية وقيام الفتنة مقدما على جزر البليار الثلاث فلما استقل بها بادر بضم دانية في سنة 413 للهجرة وتسمى بالموفق بالله [1]، ومن جزر البليار غزا جزيرة سردانية سنة 406 للهجرة في أسطول من 120 سفينة [2] فاقتحمها، وتغلب على اكثرها، ويبدو أنه اغار منها على سواحل ايطاليا وهاجم لوني وما حولها من المناطق الساحلية [3]، وقد أثارت فتعاونوا على ردعه، وخرجوا بأسطول كبير، [4] هذه الغارات عليه غضب اهالي جنوة وبيشة لمهاجمته في سردانية، واشتبك أسطول الموفق مع أساطيل جنوة وبيزا في موقعة مهولة انتهت بهزيمة أسطول مجاهد العامري، حيث لم ينج من أسطوله الضخم إلا عدد يسير من القطع لا يتجاوز خمسة مراكب وقد عاد الموفق منكوبا من هذه الغزوة [5]، ولم تثنه هذه الهزيمة الشنعاء عن معاودة الجهاد والغزو البحري، لكن وبالرغم من مجهوداته فان بلاد الأندلس كانت آنذاك قد فقدت سطوتها البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط الذي أصبح آنذاك تحت سيطرة أساطيل جنوة وبيزا، ولعل اصدق مثال يصور هذه االحالة، هو ما ذكره أبو الاصبغ نبانة الحارثي الأندلسي، من أن المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية بعث إلى الشاعر الصقلي أبي العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الزبيري مبلغ خمسمائة دينار بصقلية وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه، فكتب إليه أبو العرب معتذرا بقوله:

لا تعجـــــبن لرأســـــي كيـــف شـــاب أسى	وأعجب لاسود عيـــــني كيف لم يشب
البحــــر للـــروم لا يجـــــري السفيــــن به	إلا على الغـــــرر [6] والبـــــر للعــــرب

[1]- ابن عذارى: البيان المغرب، باريس، 1920، ج 2، ص 155.

[2]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص 219 .

[3]- أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص 314.

[4]- بيشة: آو بيزا من قواعد بلاد الروم كثيرة القطر، عامرة الأسواق والديار، كثيرة البساتين والجنات، مشهورة الذكر، ولأهلها مراكب ولهم استعداد، متصلة الزراعات، معاقلها كثيرة وأرضها خصبة، ومياهها مغدوقة وأثارها عجيبة لركوبه وقصد البلاد، وهي على نهر يأتي من جهة جبال انكبرده، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 120.

[5]- ابن الخطيب، المرجع السابق ص220.

[6]- الغرر بفتح الغين والراء تعني التعرض للهلاك.

المبحث الثاني: تطور حركة الرباط الساحلي في الأندلس

لم يقتصر تأثير غارات النورماند على الأندلس على تطور الأساطيل والقواعد البحرية، بل تعداه إلى انتشار الرباطات والمحارس على طول سواحل شبه الجزيرة، ولقد اعتبر عمل المرابطين على السواحل رباطا وجهادا في أن واحد وقد ورد في القرآن الكريم ما يحث عليها ويرغب فيها لقوله تعإلى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1]، والمراد بالمرابطة هنا – كما ورد في بعض المصادر – المداومة في مكان العبادة والثبات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وقيل بالمرابطة هاهنا مرابطة الغزو في نحو الأعداء وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها من دخول الأعداء إلى حوزة المسلمين [2]، وعندما تعرض الطرطوشي لمعنى «المرابطة» اختار ما يدل على أن المراد بها «الجهاد»[3] وهو ما ذهبت إليه المعاجم من أن المرابطة ملازمة الثغور والمخافة، وأن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه، ولذلك يسمى المقام في الثغر رباطا.

وقد وردت عدة أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تحض على المرابطة في سبيل الله وتُرغب فيه، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة﴾[4]، وبذلك اتخذ المسلمون المرابطة نظاما حربيا، فاجتهدوا في اتخاذ المحارس والقلاع على طول خطوط المواجهة الأمامية سواء الساحلية منها أو الداخلية.

ونظرا لأن السواحل الشمالية الإفريقية كانت عرضة للهجمات البحرية البيزنطية والصقلية أو تلك القادمة من جنوب ايطاليا، لأجل هذا اعتبرت ثغورا لا بد من القيام على التواجد فيها لحماية للمسلمين، ومن هنا نشأت الأربطة بتلك المنطقة[5]، فبنيت أربطة عدة كانت تعرف بالقصور والمحاريس[6]، ثم انتقل هذا النظام إلى المغرب الأقصى فبني المغاربة ربطا كثيرة لعل من أقدمها وأشهرها رباط آصيلا الذي بني زمن الأمير عبد

[1]- سورة آل عمران الآية رقم 200.

[2]- تفسير ابن كثير: ج 1 ص444.

[3]- أبو بكر الطرطوشي سراج الملوك ص179.

[4]- إسناده حسن، انظر: الإمام الحافظ أبو بكر احمد بن أبي عاصم الشيباني، كتاب الجهاد، تحقيق مساعد بن سليمان الحميد، دار القلم، دمشق، ط الأولى 1989، ج 2، ص 680.

[5]- أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني: رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب: الدار العربية للكتاب، تونس 1981، ص 32.

[6]- أبو محمد التجاني: نفس المرجع، ص 33.

الرحمن الأوسط وذلك بعد أن طرق النورماند أراضي تلك المنطقة [1]، ومن خلال هذا التدرج في انتشارها أدرك الأندلسيون أهميتها، وتسابق المجاهدون منهم إلى أعمارها والحرص على جعلها عقبة كئودا أمام الأعداء، لكي لا يروعوا المسلمين الآمنين في داخل البلاد، وقد سجل عصر عبد الرحمن الأوسط البدايات الأولى للأربطة في الأندلس، إذ بعد أن عانى المسلمون هناك من شدة الغزوة الأولى للنورمان، أخذت الأربطة تظهر تباعا على طول السواحل الشرقية والجنوب الشرقية للأندلس فعرفت في تلك المنطقة الشاسعة عدة أربطة من أشهرها: رباط مرية بجانة في جنوب شرق الأندلس وهو نواة ثغر المرية Almeria، وكان الناس يرابطون على حاشية البحر المتوسط لحماية مدينة بجانة المجاورة له غربا من غارات النورماند وغيرهم، ويقول الحميري: "وكان المجوس لما قدموا المرية وتطوفوا يساحل الأندلس، فاتخذها العرب مرأى، وابتنت بها محارس، وكان الناس يرابطون فيها"[2].

وفي شرق المرية وجد رباط ساحلي آخر عرف برابطة القابطة أو القبطة، ولعلها قابطة بني الأسود التي أشار إليها البكري كموضع بجوار مرية بجانة [3]، ويرى ليفي بروفنسال أنها تقابل اليوم المكان المعرف Cabo De Catta، وقد زار الخليفة المستنصر هذا الرباط في بداية عهده وتفقد أحواله وأحوال المرابطين فيه، كما وجدت عدة أربطة أخرى بالقرب من المرية، كانت مثوى عدد من المجاهدين مثل عمروس ورباط الخشني [4].

وهناك مدينة دانية التي استفادت كثيرا من جبل يعرف «بجبل قاعون» لكونه مشرفا عليها، وفائدته تتمثل في أن المرابطين فيه يستطيعون اكتشاف العدو القادم عن طريق البحر من مسافة بعيدة[5]، كما أن حصانته تتيح لمن حوله فرصة الاختباء به، ولذا نجد أن رباطا قد أقيم فيه لا تزال أثاره قائمة إلى اليوم ويعرف ذلك باسم الآمبوري Almbroy [6].

[1]- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 112.
[2]- الحميري: الروض المعطار، 183.
[3]- البكري: المرجع السابق، 84.
[4]- مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 289.
[5]- الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 557.
[6]- احمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، ط الأولى، 2000 م، ص 31.

وعلى ساحل مدينة مالقة أقيم رباط على جبل «فارة»[1] ولأهمية الموقع الذي كان يتميز به الجبل فقد كان اهتمام المسلمين به كثيرا ولذا أقاموا عليه عدة حصون ومحارس استمر تواجدهم فيها إلى سنة 892 هـ =1487 م كما أن تسمية الجبل باسم فارة لا زالت قائمة إلى اليوم إذ لا يزال يعرف اليوم بجبل فارو [2] Gibralfaro.

وهناك حصن شنفيره Sanfiro الذي كان يقع بجوار مدينة مرسيةMurcia شرق الاندلس، الذي اشتهر بالارتفاع والمنعة [3]، وتجدر الإشارة إلى أن الأربطة لم يقتصر تواجدها على الساحل الشرقي والجنوبية الشرقية للأندلس فقد وجدت أربطة عديدة في الساحل الغربي لشبه الجزيرة، فهناك رباط روطة الذي لا يزال حصنه قائما عند مدخل ميناء قادس ويعرف باسم Castillo de Rota، وكان هذا الرباط مقصدا للصلحاء والمتصوفة وقد زاره الصوفي الأندلسي المعروف محي الدين ابن العربي سنة 594 للهجرة = 1197[4] كذلك يشير ابن بشكوال إلى مجموعة من الربط الساحلية الغربية التي رابط فيها بعض فقهاء القرنين الرابع والخامس الهجريين ومثال ذلك قوله: "ورابط ابن محمد الشنجيالي ت 436 = 1045م ببطليوس[5] Badajoz وموجيق Monchique وشلب Silves ورباط الريحانة من عمل شلب وروي عنه بتلك الجهات" [6].

وفي هذه المنطقة أيضا وجد رباط التوبة على ساحل المحيط قبالة مدينة ولبة[7] Huelva وقد تحول هذا الرباط فيما بعد إلى دير للفرنسيسكان وما يزال يعرف إلى اليوم باسم الرابطة La Rabita، والجدير بالذكر أنه في هذا الحصن أقام الرحالة المشهور كريستوفر كولومبس قبل قيامه برحلته التي اكتشف فيها أمريكا سنة 1492م.

أما عن هيئة الرباط فنقول أن الرباط يتكون من عدة عناصر هي:

[1]- الإدريسي: المرجع السابق، ص 570.
[2]- مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 299.
[3]- الحميري: الروض، ص، 367.
[4]- محي الدين بن العربي: الفتوحات الملكية، ج 1، ص 242.
[5]- بطليوس: مدينة كبيرة بغرب الأندلس، قرب مدينة ماردة وبينهما أربعون ميلا، تأسست المدينة على يد القائد عبد الرحمن بن مروان الجليقي بأمر من الأمير عبد الله بن محمد في القرن الثالث الهجري، والمدينة تقع على وادي آنة وبينها وبين اشبيلية مسيرة ستة أيام، انظر الحميري: الروض المعطار، ص 93.
[6]- ابن بشكوال: الصلة. ترجمة رقم 597.
[7]- مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 300.

"الخندق": ويتم حفره حول السور ككل، أو في النقطة الضعيفة، وتكون الحراسة حوله مشددة، ومن الضروري وجود ما يمكن تسميته بالجسر المتحرك يوضع على الخندق ويرفع عند اقتراب الأعداء منه لعدم تمكينهم من العبور [1].

"المدخل" عبارة عن سقيفة بعد سقيفة، ومن اجل زيادة التحصين يكون باب السقيفة من حديد متين ويتم تثبيت الباب بطرقة قوية ومحكمة فيكون فتحه متعذرا بأي صورة كانت.

"الحسك": باب فولاذي مكون من جرات كأنها السكاكين، وفيها يد وسلسلة ومتى ما قبض على اليد وجذبت السلسلة وانغلقت تلك الجرات على بعضها البعض فإنها تقطع ما وقع بين أجزائها، وهي على نوعين عمودي وأفقي يغرس على الأرض.

"صحن الرباط": وهو الفناء الذي تربط فيه دواب المرابطين بالإضافة إلى أنه توجد فيه المرافق في حين أن غرف المرابطين والجامع الكبير المخصص للصلاة وإلقاء الدروس توجد في الطابق الأول [2].

ومن البديهي أن تكون الحراسة متواجدة في أعلى مكان في الرباط أو ملحقة به، وذلك لكشف الأعداء القادمين من مسافة بعيدة، بحيث تكون هناك فرصة جيدة لإعلان الإنذار فيأخذ المدافعون أهبتهم ويعرف الحراس الليليون باسم " السمار"[3]، والرباط مزود بمنارة أو منار، فإذا كان الوقت ليلا وأحس أولئك السمار باقتراب سفن الأعداء في البحر أوقدوا في تلك المنارة نارا بكيفية معلومة، فيراها السمار والملازمون للمنار في الرباط المجاور فيشعلون النار مثل سابقيهم وهكذا يتم الإعلان عن الخطر القادم بصورة سريعة، وان كان الوقت نهارا يتم إثارة الدخان[4]، أو استخدام المرايا[5] إلى جانب استخدام الطبل والنفير لتحذير أهالي المدن المجاورة من غارة العدو[6]، وبهذه الطرق التي تشبه صفارات الإنذار في الوقت الحالي كان من الممكن إرسال تحذير أو إنذار عبر المغرب كله من الإسكندرية إلى طرطوشة في ليلة واحدة.

[1]- سالم بن عبد الله الخلف: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، المدينة المنورة، 2003، ص613.

[2]- سالم عبد الله الخلف: المرجع السابق ، ص613.

[3]- ابن عذارى: البيان المغرب، ج 4، ص461.

[4]- مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 301.

[5]- سالم عبد الله الخلف: المرجع نفسه، ص614.

[6]- سالم عبد الله الخلف: المرجع نفسه، ص615.

أما فيما يخص حياة المرابطين داخل الأربطة فقد كانت حياة منظمة جدا، فالمرابطون وطدوا أنفسهم على الوقوف في وجه الأعداء، فكانت الأربطة تتعاون فيما بينها للدفاع عن المسلمين، فإذا لاح الخطر، وأعطيت الإشارات على اقترابه، آوى المرابطون إلى رباطهم يعتصمون به من العدو، وأغلقوا الأبواب في وجهه، وعملوا كل ما في وسعهم لدفعه وإحلال الهزيمة به.

و قد اخضع الوافدون الجدد على الأربطة لتدريب عسكري شاق ليكون الكل جاهز لصد عادية الغزاة، كما أن المرابطين يحيون حياة اجتماعية تعاونية، وهذا مطلب ضروري لبعدهم عن الحواضر.

و بصفة عامة فقد تميزت حياة المرابطين بالتقشف، فهي بعيدة كل البعد عن الملذات، أما اللهو والمجون فلا سبيل لتواجدهما بالقرب من الرباط فضلا من أن يكون فيه شيء من ذلك [1].

كما حرص المرابطون على أن تكون قراءة القرآن من ابرز سماتهم، لأجل هذا، كانت تدوي بقراءة القرآن، وتعج بالحفاظ، ويقوم المرابطون بذكر الله تعإلى بصوت مرتفع، وقد ذكر ابن زمنين عن الفقيه عبد الملك بن حبيب قوله: "ورأيت هل العلم يستحبون التكبير في العساكر ووالثغور والمرابطات دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيرا عاليا ثلاث تكبيرات ولا يزال ذلك شان الناس قديما"[2].

ولقد اقتبس الأسبان عن جيرانهم المسلمين نظم المرابطة منذ وقت مبكر، فدخل لفظ رباط العربي في اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebatoأي الرباط وArrebatar أي يرابط ويقاتل Tocar Robato el، وتعني الإنذار بغارة معادية، كذلك استخدموا نفس الوسائل والأدوات بأسمائها العربية مثل الطلائع Talaya والمنارة Almenara والنفير Anafir إلا أنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التي تقابل الطبول عند المسلمين حيث وضعوا في كل حصن من حصونهم الساحلية ناقوسا سموه ناقوس الرباط.

[1]- ورد لدى المالكي أن الأمير إبراهيم بن احمد الأغلبي نزل يوما في قصره بسوسه، فاظهر بعض من كان معه، من الحشم وغيرهم شيئا ن اللهو والعزف بآلات الطرب، فاحتج على ذالك آهل الرباط المجاور، وسار كبارهم إلى قصر الأمير مطالبين بإبطال تلك الملاهي، ورفضوا مغادرة القصر حتى خرج الحاجب إليهم وابلغهم على لسانه أنه لن يحدث شيئا تكرهونه بعد اليوم. انظر رياض النفوس، ص 393.

[2]- ابن آبي زمنين: كتاب قدوة الغازي، دراسة وتحقيق د، عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 182.

المبحث الثالث: سفارة يحي بن الحكم الغزال إلى ملك النورماند سنة 230 للهجرة = 845 م

كان من بين نتائج غارة النورماند على بلاد الأندلس حدوث سفارة دبلوماسية بين قادة الدولتين وتذكر المراجع التاريخية أنه في عام 230 للهجرة = 845 م وصلت رسل ملك النورماند هوريك الأول إلى بلاط الأمير عبد الرحمن الأوسط في قرطبة تطلب الصلح بعد الغارة الغادرة التي قام بها رجال الشمال على السواحل الأندلسية، وتذكر المصادر أن الأمير الأموي استقبل السفارة أحسن استقبال وقبل المصالحة ورد على هدايا ملك النورماند بأحسن منها كما قام بإرسال سفارة من لدنه إلى ملك الدنمارك وذلك لتأكيد المصالحة وفي ذلك يقول المؤرخ ابن دحية الكلبي في مؤلفه «المطرب في أشعار آهل المغرب»: "و لما وفد على السلطان عبد الرحمن رسل ملك المجوس، تطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية، وإيقاعهم بجهاتها ثم هزيمتهم بها، وقتل قائد الأسطول فيها، رأى أن يراجعهم بقبول ذاك فأمر الغزال أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم، لما كان الغزال عليه من حدة الخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب والنجدة والإقدام والدخول والخروج من كل باب، وصحبته يحي بن حبيب[1]، فنهض إلى مدينة شلب، وقد أنشئ لهما مركب حسن كامل الآلة، وروجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته"[2].

وقد اختلف الباحثون في سبب إرسال ملك النورماند هوريك سفارة إلى البلاط الأندلسي فالأستاذ صالح البنداق مثلا يرى أن هوريك أدرك مدى قوة المسلمين، واعتقد أنهم سينتقمون منه ومن شعبه فبادر فورا إلى توجيه سفارة لأمير الأندلس عبد الرحمن يطلب الصلح وتوطيد العلاقات.

ولا أدري على أي أساس يقدم هذا الباحث هذا الرأي، فإذا كان الملك هوريك يقطن في شمال أوروبا فما الذي يزعجه من قوات الأمير عبد الرحمن الأوسط وقواته، حيث تفصل بينهما مساحات شاسعة جدا وعقبات لا يمكن تجاوزها، خاصة وانه مدرك لمدى ضعف البحرية الأندلسية آنذاك.

[1]- ذهب الدكتور البنداق إلى أن ابن حبيب هذا هو الشهير ب "صاحب المنيقلة" حيث خرج من ذالك بنتيجة مؤداها أن وجوده في السفارة مهم جدا إذ أن معرفته بالفلك تمكنه من دراسة طريق بلاد النورمان، انظر محمد صالح البنداق يحي بن الحكم الغزال بيروت، دار الأفاق الجديدة 1979، ص 150.

[2]- ابن دحية الكلبي: المطرب في أشعار أهل المغرب المطبعة الأميرية، القاهرة، 1954، 139.

ولعل الأولى بالقبول في سبب وصول وفد النورمانيين إلى قرطبة هو ما ذهب إليه الدكتور حسين مؤنس، فقد ذكر أنه كان للملك هوريك علاقات واضحة مع بعض ملوك أوروبا في ذلك الوقت، فليس من المستبعد أن يقوم بمراسلة الأمير عبد الرحمن الأوسط وهو قائد دولة من أقوى دول العالم آنذاك.

ويجب ألا ننسى أنه ربما كان يرغب في الحصول على بعض طرف الأندلس من الثياب وغيرها والتي كان غزاة النورمانيين يحرصون عليها بشدة ويرغبون بها عن الذهب والفضة [1]، وقد أتحف الأمير الأندلسي ملك النورماند بالكثير من تلك الطرف واللطائف حيث سر بها بشدة، بالإضافة إلى أن الملك هوريك اعتاد أن يكتب إلى جيرانه بعد كل حادثة يقوم بها قراصنته ضد أولئك الجيران، متنصلا من تبعتهم له، ومعتذرا عما اقترفوه، فلماذا لا يكون الأمير عبد الرحمن الأوسط من بين أولئك الجيران [2].

وقد رأينا في الفصل الثاني كيف كان الملك هوريك يتنصل من أفعال القراصنة النورماند الذين يهاجمون أراضي دولة الفرنجة في سفاراته التي يبعث بها إلى الإمبراطور لويس الأول التقي.

ومن خلال النص يتضح أن الأمير عهد إلى أثيره يحي بن الحكم الجياني الملقب بالغزال القيام بهذه السفارة، و لم يكن اختيار الأمير للغزال اعتباطيا فقد كان الغزال رجلا فطنا فصيحا عالما بأصول اللباقة وقد عهد إليه الأمير قبل هذه السفارة بمهمة دبلوماسية في بلاط الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس [3]، وقد حضي يحي الغزال بمكانة عظيمة عند أهل الأندلس آنذاك ويقول عنه الحميدي في كتابه جذوة المقتبس: "يحي بن حكم المعروف بالغزال رئيس، كثير القول، مطبوع النظم في الحكم، والجد والهزل، وهو مع ذلك جليل في نفسه، وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده"[4]، ووصفه ابن دحية الكلبي في المطرب بأنه "شاعر ذلك الأوان "[5] وهذا بالإضافة إلى أنه حكما نقديا، وصف لمكانة الغزال في شعراء عصره.

وبالعودة إلى السفارة تقول المصادر أن مركب الغزال ومرافقه إضافة إلى سفن النورماند تحركت من قاعدة شلب جنوب البرتغال متجهة شمالا صوب بلاد النورمان، ويذكر ابن دحية أن الأسطول تعرض

---

[1]- ابن القوطية المرجع السابق، ص 65.
[2]- حسين مؤنس: غارات النورمانديين على الأندلس، ص 40.
[3]- محمد رضوان الداية ديوان يحي بن حكم الغزال، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت، 1993 ص 16.
[4]- الحميدي. جذوة المقتبس، ص 394.
[5]- ابن دحية: المرجع السابق، ص 133.

لعواصف شديدة كادت تأتي عليه وفي ذلك يقول: "ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاؤوا فيه مع مركب الغزال، فلما حاذوا الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي هو حد الأندلس في جهة الغرب، وهو الجبل المعروف بألوية، هاج عليهم البحر، وعصفت بهم ريح شديدة وحصلوا في الحد الذي وصفه الغزال في قوله:

قـــال لي يحـــيى وصـــر	نا بين مـــوج كالجبـــال
و تولـــتنا ريـــ،ــاح	مـــن دبـور وشمـــال
شقــت القلعيـــن وانـــب	ثت عـــرا تلك الجبـــال
و تمطــى ملــك المـــوت	إلينـــا عـــن حيـــال
فرأينا المــوت رأي العـــي	ن حـــالا بعــد حـــال
لم يكـــن للقـــوم فينـــا	يا رفيقـــي رأس مـــال

وما يثير الانتباه في هذا النص هو أنه يتوافق مع الطبيعة المناخية للمنطقة التي يتحدث عنها، فالمنطقة التي تلي شمال غرب الأندلس من جهة البحر هي خليج البسكاي[1]، ويتميز هذا الخليج برياحه العاتية، وأمواجه العاصفة وهو ما يظهر صدق رواية ابن دحية الكلبي ويدحظ رأي المستشرق ليفي بروفنسال الذي أنكر وجود هذه السفارة أصلا وادعى أن الغزال قام بسفارة واحدة وكانت إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس[2] Théophile وقد استند بروفنسال في رفضه لحدوث رحلة الغزال إلى بلاد الدنمارك على مخطوطة عربية عثر عليها هو، كما يقول في تونس، ولكنه لم يذكر اسمها، و لم يتعرف عليها أحد غيره من الباحثين، وهذا ما جعل الباحث السويدي ستيك ويكاندر يقول: "لقد دعم المؤرخ الفرنسي ليفي بروفينسال الزعم بذلك بسرد أكثر تفصيلا عن تلك السفارة البيزنطية والذي وجده في مخطوط عربي بتونس، والآن فإن المخطوطة التي اقتبس منها ليفي بروفنسال لم يعثر عليها ثانية، ولا توجد منها ولا حتى ترجمة لها فيما خلفه من وثائق"[3]، كما أن جمهور المؤرخين العرب وخاصة الذين درسوا الموضوع دراسة معمقة مثل العلامة الدكتور حسين مؤنس في بحثه حول

---

[1]- خليج بسكاي آو خليج الغاسكون امتداد للمحيط الأطلسي، على الساحل الغربي لأوروبا، ويقع إلى الغرب من فرنسا وشمال اسبانيا، ويبلغ طول شاطئ خليج بسكاي حوالي 640 كلم، وبأخذ الخليج اسمه من الباسك، وهم قوم يعيشون على امتداد صخور الشاطئ الاسباني، ويتميز خليج بسكاي برياحه العاتية وأمواجه العاصفة لذالك فالملاحة فيه من الصعوبة بما كان، وفي عام 1588 م بعثرت عاصفة في خليج بسكاي أسطول الأرمادا الاسباني الضخم الذي كان متوجها لغزو إنجلترا.

[2]- محمد رضوان الداية: المرجع السابق، ص 15

[3]- انظر

Vikings Society for Northern Research. Sagas book.volume XXVIII.London University college. 2004. P 11

غارات النورماند والدكتور عبد الرحمن علي الحجي في مؤلفه القيم الذي كتبه باللغة الانجليزية تحت عنوان العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وأوروبا الغربية Andalusian diplomatic Relations With Western Europe

والذي نال على أثره شهادة الدكتوراه في التاريخ عن جامعة كامبردج يؤكدون صحة قيام يحي بن الحكم الغزال بسفارته إلى الدنمارك حيث ملك القراصنة هوريك Harek أوHoric كما تكتب بالسويدية، تلك السفارة التي كتب عنها الحجي ما يلي: "انتهى هجوم القراصنة الأول، وقد تواروا عن سواحل الأندلس منتصف ربيع الأول سنة 230 للهجرة = نوفمبر – ديسمبر 844 م، وعندما وصلوا إلى وطنهم اخبروا ملكهم ومستشاريهم سير الوقيعة، ولذا صمم هو بعد ذلك على قيام علاقات حميمة ووطيدة مع الأندلس، وكل هذا قد استغرق بعض الشهور، معتبرين أن السفارات الطوال للقراصنة تكون مع بداية فصل الربيع، وعليه تكون سفارة القراصنة قد حطت في قرطبة خلال ذلك الفصل وفي شهر شعبان من سنة 230 للهجرة/ مارس 845 م، بينما غادرت السفارة الأندلسية بقيادة الغزال بحرا في صحبة مبعوثي النورماند في حوالي شهر رمضان سنة 230 للهجرة / ابريل سنة 845 م" [1].

وبالعودة إلى خبر سفارة الغزال ينقل لنا ابن دحية: "أن الغزال سلم من أهوال تلك البحار، وركوب الأخطار، ووصل أول بلاد المجوس إلى جزيرة من جزائرها فأقاموا فيها أياما وأصلحوا مراكبهم وأجموا أنفسهم، وتقدم مركب المجوس إلى ملكهم، فأعلمه بلحاق الرسل معهم، فسر بذلك وأرسل فيهم فمشوا إليه في مستقر ملكه وهي جزيرة عظيمة في البحر المحيط، فيها مياه مطردة وجنات، وبينها وبين البر ثلاث مجار، وهي ثلاثمائة ميل، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم، وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة، منها صغار وكبار، أهلها كلهم مجوس، وما يليهم من البر أيضا لهم مسيرة أيام وهم مجوس، وهم اليوم على دين النصرانية وقد تركوا عبادة النار، ودينهم الذي كانوا عليه، ورجعوا نصارى، إلا أهل جزائر منقطعة لهم في البحر لا زالوا على دينهم الأول من عبادة النار ونكاح الأم ووغير ذلك من أصناف الشنار" [2]، وهنا أيضا نلاحظ دقة الوصف الذي ينقله لنا ابن دحية، حيث أن هذا الوصف لا يختلف كثيرا عن الطبيعة التي عليها الدنمارك الآن

[1]- El Hajji Abderrahmane: Andalusian diplomatic relations with western europe during The Umayyad Period ،Cambridge ،1970 ،P 182.

[2]– ابن دحية المرجع السابق ص 140.

فهي دولة تقوم على شبه جزيرة هي جوتلاند Jutland وعلى جزر أخرى متناثرة منها الكبيرة مثل جزيرة سيلاند Sjaelland وفيوني Fionie ولولاند Lolland، ومنها الصغيرة، كما أن وصف ابن دحية لديانة النورماند فيه جانب كبير من الصحة، حيث أن النورماند على زمن يحي الغزال كان كلهم على دين الوثنية وكانوا حتى ذاك الوقت رافضين لآي محاولة لحظهم على تبني الديانة المسيحية، وقد رأينا ذلك من خلال فشل كل من القديسين انسكار Saint Anschaire ولودجرSaint Ludger مبعوثي الإمبراطور لويس الأول التقي في تحويلهم إلى دين النصرانية، لكن وعلى زمن ابن دحية الذي عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين 1149م- 1235م كان اغلب سكان الدنمارك قد تبنوا ديانة النصارى فيما عدى سكان الجزر النائية والبعيدة الذين بقوا على دينهم الأول، وهو ما يظهر دقة رواية ابن دحية وإلمامه بأوضاع بلاد الدنمارك آنذاك.

و من خلال نص ابن دحية نفهم أن الغزال ورفيقه قد وصلوا إلى مقر مُلك هوريك الأول والذي تذكر المصادر التاريخية أنه كان في مدينة هيدابي[1] Hedeby، والتي تقع آثارها اليوم في جنوب شبه جزيرة جوتلاند وبالضبط في مقاطعة سلسفيج الألمانية[2] Schleswig عند الحدود الدنماركية، هذه المدينة التي زارها قرنا بعد ذلك الرحالة إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي أثناء سفارته التي قام بها بأمر من الخليفة الحكم المستنصر إلى أوتوا الكبير Otto I إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة سنة 354 للهجرة = 965 م.

وفي عاصمة النورماند هيدابي حظي السفير المسلم ورفيقه باستقبال حافل من قيل ملك النورماند وفي ذلك يقول ابن دحية: " فأمر لهم الملك بمنزل حسن من منازلهم، واخرج إليهم من يلقاهم، واحتفل المجوس لرؤيتهم، فرأوا العجب العجاب من أشكالهم وأزيائهم، ثم أنهم انزلوا في كرامة، وأقاموا يومهم واستدعاهم بعد يومين إلى رؤيته"[3]، وقد اظهر هذا الاستقبال السمعة العالية لتي تمتعت بها الدولة الأموية في الأندلس آنذاك،

[1]- تأسست مدينة هيدابي على يد الملك الدنماركي جودفريد في بداية القرن التاسع الميلادي، وقد قامت المدينة على نتوء مرتفع يمتد في مياه بحر البلطيق من شبه جزيرة جتلاند، والمناطق المحيطة بها عبارة عن ارض مستوية لا غابات فيها ولهذا المعنى يشير اسمها، ذلك الاسم الذي عرفت به سنة 804 م، وقد أصبحت المدينة محطة مهمة تتقاطع فيها الطرق التجارية البحرية والبرية على حد سواء، فهي تربط بين بحر البلطيق حيث تقع على خليج صغير من خلجانه وبين المحيط الأطلسي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالمدينة ايضا كانت تربط بين دول أوروبا الجنوبية ودول اسكندنافيا تعرضت لحريق أتى عليها سنة 1050 م.

[2]- سلسفيج: إقليم يقع شمال ألمانيا يحده شمالا مملكة الدنمارك، وشرقا بحر البلطيق وجنوبا إقليم هامبورج ومقاطعة سكسونيا السفلى وغربا بحر الشمال.

[3]- ابن دحية: المرجع السابق، ص141.

هذه السمعة جعلت من السفير يحي يفرض شروطه على ملك النورماند خاصة فيما يتعلق باحترام أصول عقيدته الإسلامية، حيث رفض السفير السجود للملك عند الاستقبال وهو شرط لم يكن ليقبله ملك مثل ملك النورماند على ما هو عليه من تكبر وشراسة في الطباع والأخلاق لولا إدراكه لمكانة الدولة التي يمثلها السفير الشاعر يحي الغزال وفي ذلك يقول ابن دحية في مطربه: "واستدعاهم بعد ذلك لرؤيته، فاشترط الغزال عليه ألا يسجد له، ولا يخرجهما عن شيء من سنتهما، فأجابهما إلى ذلك" [1]، وتم الاستقبال على أحسن ما يكون، وفيه اظهر الغزال دروبا من الحكمة وحسن الجواب والمحاورة مما أفضى إلى نجاح السفارة وبلوغ الغاية منها، وقد نقل لنا ابن دحية شيئا مما دار أثناء حفل الاستقبال حيث قال: "فلما جاز الباب استوى واقفا، والملك قد اعد له واحفل في السلاح والزينة الكاملة، فما هاله ذلك ولا ذعره، بل قام ماثلا بين يديه، فقال: السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك، والتحية الكريمة لك، ولا زلت تتمتع بالعز والبقاء والكرامة الماضية بك إلى شرف الدنيا والآخرة، المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم، الذي كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع ففسر له الترجمان ما قاله، فأعظم الكلام، وقال: هذا حكيم من حكماء القوم، وداهية من دهاهم، ثم دفع إليه الغزال كتاب السلطان عبد الرحمن، وقرئ عليه الكتاب، وفسر له، فاستحسنه وأخذه في يديه فرفعه ثم وضعه في حجره، وأمر بالهدية ففتحت عيابها، ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب والأواني، فأعجب بها، وأمر بهم فانصرفوا إلى منزلهم ووسع الجراية عليهم" [2].

ويذكر ابن دحية بعد ذلك أن الغزال بقي مدة في بلاط ملك النورمان، استغلها في محاورة علمائهم ووكهنتهم حيث أبان في تلك المناظرات على باع طويل في العلوم العقلية منها والنقلية وهذا ليس بغريب عن أمير شعراء الأندلس آنذاك [3].

و لم تكن شهرة سفارة الغزال مقتصرة على نجاحها في إقامة مصالحة بين النورماند في الدنمارك والمسلمين في الأندلس طيلة عهد الملك هوريك الأول، بل تعدته إلى تزويدنا بمعلومات مهمة عن العادات الاجتماعية للمجتمع الارستقراطي النورماندي آنذاك، حيث ومن خلال المحادثات التي دارت بين السفير المسلم وبين

[1]- ابن دحية: المرجع نفسه، ص 141.

[2]- ابن دحية: المرجع نفسه، ص 142.

[3]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة دار الثقافة، بيروت1969 ص169.

ملكة النورماند "نود" تمكنا من معرفة جانب من حياة طبقة لنبلاء النورمان، هذه المحادثات التي أبان خلالها الغزال عن علو طبقته في الشعر من خلال آبيات قالها في الملكة [1].

وقبل أن نتطرق إلى فحوى النقاش الذي دار بين شاعرنا وبين الأميرة الاسكندينافية، يجب أن نذكر أن العديد من الباحثين في التاريخ تطرقوا إلى اسم ملكة النورماند التي ذكرها ابن دحية في روايته التي نقلها عن تمام بن علقمة معاصر يحي الغزال وراوي رحلته إلى الدنمارك، حيث خلص الكثير من الباحثين أنه مشتق من لقبDanebod " أفضل الدان " الذي حمله الكثير من ملوك وملكات الدنمارك آنذاك [2].

أما عن فحوى النقاش الذي دار بين الغزال والملكة فيقول ابن دحية أن الملكة استدعت السفير العربي لمقابلتها لما انتهى إليها من أخباره وما اشتهر به سعة العلم وحسن القول وفخامة الهيئة والشكل.

حيث يقول ابن دحية « ولما سمعت امرأة ملك المجوس بذكر الغزال وجهت فيه لتراه » [3]، وبعد مجاملات متبادلة بين الطرفين [4]، تحدث الغزال والملكة عن سير المسلمين وحضاراتهم في بلاد الأندلس، حيث دهشت الملكة من مدى تطور العرب، كما دهش الغزال من التحرر الذي يتميز به المجتمع النبيل عند النورماند حيث قالت الملكة نود « ليس في ديننا نحن هذا، ولا عندنا غيرة، ولا نسائنا مع رجالنا إلا باختيارهن، تقيم معه المرأة ما أحبت » [5]، وتفارقه إذا كرهت، ثم يقول ابن دحية « وأما عادة المجوس قبل أن يصل إليهم دين رومة، فالا يمتنع أحد من النساء على أحد من الرجال، إلا أن يصحب الشريفة الوضيع، فتعير بذلك، ويحجره عليها أهلها » [6]، وهنا أيضا نرى مدى إلمام المسلمين بأوضاع بلاد النورماند في شمال أوروبا، حيث تتوافق هذه المعلومات

---

[1]- تعتبر قصيدة الغزل التي قالها الغزال في الملكة نود من أجمل ما قيل في هذا اللون في عصر الإمارة في الأندلس وفي مطلع القصيدة قال شاعرنا:

كلفت يـا قلـبي هـوى متعـبا	غـالبت منه الضيغـم الأغلـبا
إنـي تعلقـت مجوسيـة	تـأبي لحسن الشـمس أن تغربـا
أقصـى بلاد الله لي حيـث لا	يلقـى إليهـا ذاهـب مذهبـا
يا نـود يا رود الشـباب التي	تطلـع من أزرارهـا الكـوكبا

[2]- سهر العامري: رحلة الغزال إلى الدنمارك، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2092، 2007/11/07.

[3]- ابن دحية: المرجع السابق، ص 142.

[4]- ابن دحية: المرجع السابق، ص 146.

[5]- ابن دحية: المرجع نفسه، ص 143.

[6]- Adam Kristof Fabricus: l’ambassade d 'al – Ghazal Auprès de roi des Normands ،Leide ،1890 ،p 16.

مع ما ذكره المؤرخون الغربيون عن سهولة طلاق الزوجين عند الطبقة الارستقراطية الدنمركية آنذاك [1]، وفي النهاية نقول أن سفارة يحي الغزال وعلى الرغم من نتائجها الظرفية حيث ضمنت السلم بين النورماند والمسلمين في الأندلس لمدة قصيرة، إلا اكتسبت أهمية بالغة لكونها مثلت أول اتصال دبلوماسي مباشر بين المسلمين وشعوب شمال أوروبا.

[1]- Vikings Society for Northern Research ،Sagas book ،p 19.

خاتمة

لقد أمكننا التوصل من خلال هذه الدراسة التي تناولت موضوع الغزو النورماندي لفرنسا وشبه الجزيرة الأيبيرية إلى عدد من النتائج منها:

– أن النورماند القدامى الذين سكنوا شبه جزيرة اسكندنافيا كانت لهم طريقة حياة خاصة منسجمة مع طبيعة البلد الذي وجدوا فيه، فقد تميز النورماند عن بقية سكان اوروبا بخبرتهم ومهارتهم في ركوب البحر مما أهلهم للمهمة لتي اضطلعوا بها فيما بعد.

– عرفت نهاية القرن التاسع الميلادي موجة غارات نورماندية كبيرة في شرق وغرب أوروبا، حيث قام النورماند مدفوعين بعوامل اقتصادية اجتماعية وسياسية دينية بهجرات واسعة.

– كانت مملكة فرنسا من أكثر الممالك التي تعرضت لهمجية الغزو النورماندي فمنذ بداية القرن التاسع الميلادي أصبحت هذه المملكة الغنية مسرحا لغارات النورماند المستمرة حيث تعرضت اغلب مناطق هذه المملكة في الشمال والغرب والجنوب لهمجية النورمان.

– مرت غارات النورماند في بلاد الفرنجة بثلاث مراحل أساسية: ففي البداية كانت هذه الغارات استكشافية وفصلية ومكونة من أعداد متوسطة من المقاتلين، ثم أصبحت شاملة وتتم بأعداد كبيرة من المقاتلين حيث أقام النورماند مراكز لهم في الجزر الواقعة على مجرى أهم الأنهار في فرنسا، وانطلاقا من هذه المراكز شن رجال الشمال غاراتهم على مختلف المدن الفرنسية، ثم انتقل النورماند نحو مرحلة الاستقرار حيث أسسوا إمارة شبه مستقلة لهم في شمال غرب فرنسا وحملت هذه الإمارة تسميتهم " نورمانديا ".

– نشأ في إمارة نورماندي مجتمع جديد مكون من السكان الأصليين آي الفرنجة والوافدين الجدد من النورمان، وحدث تمازج حضاري بين العنصرين الإفرنجي والنورماندي حيث اخذ كل منهما عن الأخر صحيح أن النورماند اصطبغوا بصبغة الفرنجة من حيث تبنيهم للغة الفرنسية والديانة المسيحية إلا أن أبناءهم وهم نتاج تزاوج النورماند مع الإفرنجيات حافظوا على الكثير من صفات إبائهم كحب المغامرة وحياة الغزو، وظهر هذا من خلال قيام أحفاد النورماند بغزو صقلية وجنوب ايطاليا.

– تعرضت شبه الجزيرة الأيبيرية مثل فرنسا للغزو النورماندي، حيث كانت الإمارات المسيحية في الشمال وبلاد الأندلس الإسلامية في الغرب والجنوب مسرحا لغارات عنيفة من طرف رجال الشمال.

- كان لجهود الأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس دور كبير في صد هذه الغارات والتقليل من حدها حيث حرص الأمويون بعد الغارة الأولى على تقوية وتحديث الأسطول بأن أقاموا العديد من دور الصناعة كما شجعوا إقامة الرباطات عند السواحل من اجل حماية أهم الثغور من غارات النورمان.

- نتج عن غارة النورماند ضد بلاد الأندلس حدوث أول سفارة دبلوماسية بين المسلمين والنورماند حيث انها وان كانت ذات نتائج ظرفية إلا أنها مثلت حدثا تاريخيا مهما باعتبارها مثلت أول اتصال بين المسلمين والنورمان.

و أخيرا ارجوا أن أكون قد وفقت فيما توصلت إليه من نتائج في هذه الدراسة.

والله اسأل أن يكتب لي التوفيق والنجاح

الملاحق

الملحق الأول:



شبه الجزيرة الايبيرية في عهد الامارة الأموية

الملحق الثاني:



شبه الجزيرة الايبيرية في عهد الخلافة الأموية في الاندلس

الملحق الثالث:



خط سير حملة النورماند الأولى على شبه الجزيرة الايبيرية

خط سير حملة النورماند الثانية على شبه الجزيرة الايبيرية

خط سير حملة النورماند الثالثة على شبه الجزيرة الايبيرية

مراحل الغزو النورمندي لشبه الجزيرة الايبيرية

الملحق الرابع:

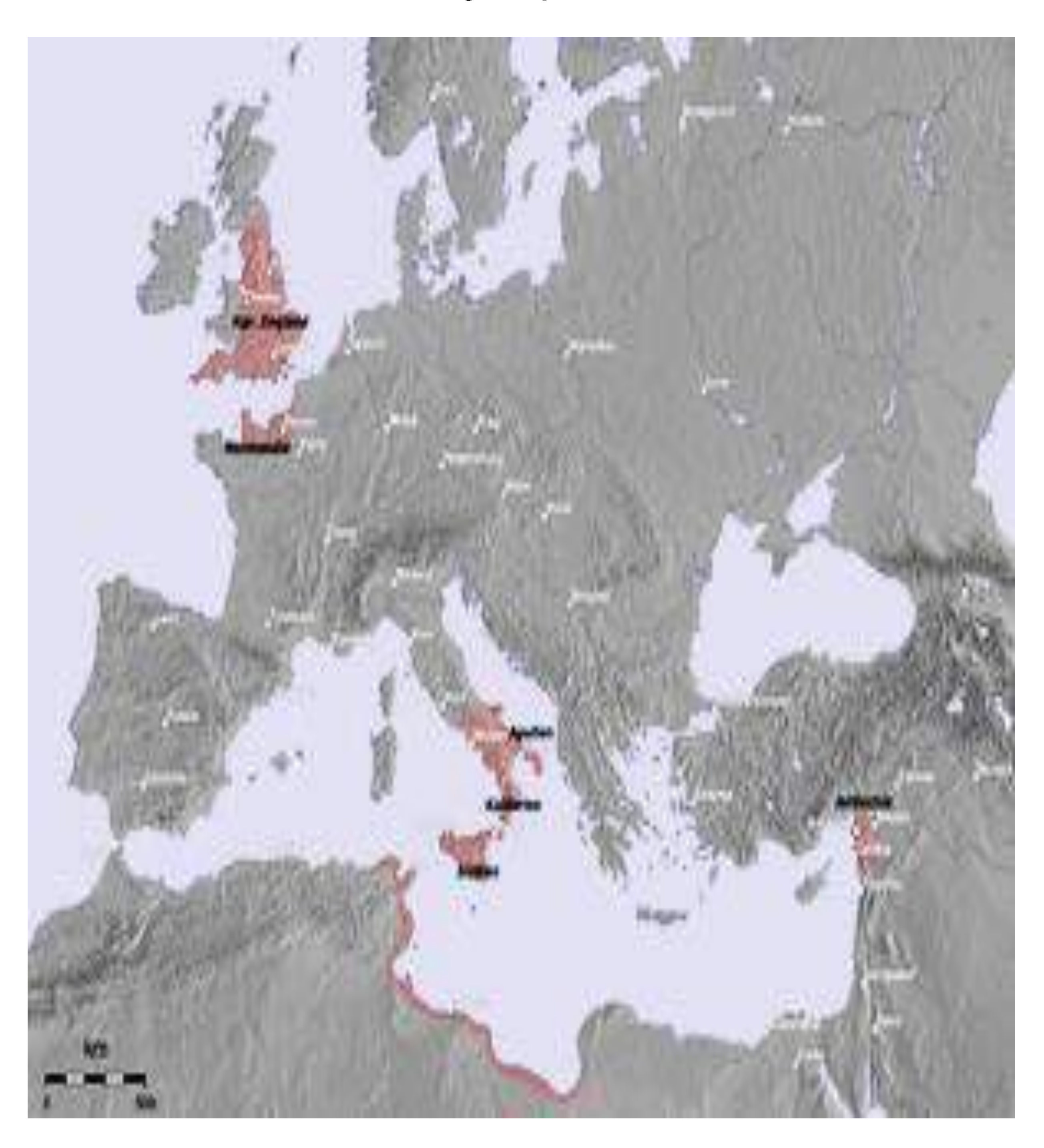
أمراء بني أمية في الأندلس:

عبد الرحمن الأول	138هـ-756م
هشام الأول	172هـ-788م
الحكم الأول	180هـ-796م
عبد الرحمن الثاني	206هـ-822م
محمد الأول	238هـ-852م
المنذر	273هـ-886م
عبد الله بن محمد	275هـ-888م

خلفاء بني أمية في الأندلس:

عبد الرحمن الثالث	300هـ-912م
الحكم الثاني المستنصر	350هـ-961م
هشام الثاني المؤيد	366هـ-976م
محمد الثاني المهدي	399هـ-1009م
سليمان المستعين	400هـ-1009م
محمد الثاني(مرة ثانية)	400هـ-1010م
هشام الثاني(مرة ثانية)	403-407هـ/ 1013-1016م
سليمان المستعين (مرة ثانية)	403-407هـ /1013-1016م
عبد الرحمن الرابع المرتضى	409هـ-1018م
عبدالرحمن الخامس المستظهر	414هـ-1023م
محمد الثالث المستكفي	414هـ-1024م
هشام الثالث المعتمد	418-422هـ/ 1027-1031م

الملحق الخامس:



مناطق استقرار النورمنديين في أوروبا والعالم الاسلامي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر التاريخية:

1- ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، ت658هـ/1260م): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963 م.

2- ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، دار بيروت، 1385 للهجرة – 1965 م

3- البلاذري(أبو الحسن، وقيل أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، ت 279هـ/ 892 م): فتوح البلدان، ت صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة العربية.

4- ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد الفاسي القرطبي، ت456هـ/1064م): جمهرة انساب العرب، ت لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983 م.

5- ابن حيان(أبو مروان حيان بن خلف بن حسين، ت 469هـ/ 1076 م): المقتبس في أخبار الأندلس، (360 – 365) م، ت عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965 م.

6- ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، ت776هـ/1378م): أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، 1956 م.

7- ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت808هـ/1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979 م.

8- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي السبتي، ت633هـ/1235م): المطرب في شعار أهل المغرب، إبراهيم الابياري، حامد عبد المجيد، احمد بدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1993 م.

9- ابن أبي زمنين: كتاب قدوة الغازي، دراسة وتحقيق، عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986

10- ابن الشباط (محمد بن علي بن عمر ت 681 هـ/ 1282م): قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط في شرح سمط الهدى في الفخر المحمدي، ت احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971 م.

11- الشيباني (الإمام الحافظ أبو بكر احمد بن أبي عاصم): كتاب الجهاد، تحقيق مساعد بن سليمان الحميد، دار القلم، دمشق، ط 1، 1989.

12- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ت 310هـ/ 923 م): تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، 1399 للهجرة، 1979 م.

13- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد ت328هـ/939م): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الابياري، عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي

14- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، كان حيا سنة712هـ/1312م): البيان المغرب: تحقيق ج س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، 1983 م

15- العذري(احمد بن عمر بن انس العذري الدلائي): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، ت عبد العزيز الاهواني، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965 م.

16- ابن القوطية(أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، ت 367 هـ/ 977 م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، 1402 للهجرة - 1982 م.

17- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القريشي الدمشقي، ت774هـ/1373م): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت1977 م.

18- ابن الكردبوس(أبو مروان عبد الله بن محمد بن ابي القاسم، ت بعد 575 هـ/ 1179 م): قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ت أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971 م.

19- المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين، ت647 هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ت محمد العريان، محمد العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978 م.

20- مجهول: أخبار مجموعة ف فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية، 1981 م.

21- مجهول: مفاخر البربر لمؤلف، نشر ليفي بروفنسال.

22- المقري (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني، ت1041هـ/ 1632م): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، 1995 م.

23- المقريزي(أبو العباس أحمد بن علي الحسيني البعلي، ت845هـ/1441م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج 2 طبعة بولاق، القاهرة.

24- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، ت 733 هـ): نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق احمد كمال زكي، محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980 م.

المصادر الجغرافية :

1- البكري(أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/1094م): جغرافية الأندلس أوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد 1968 م.

2- التجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، ت717هـ/1317م) :الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981

3- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، البغدادي، النصيبي، ت367هـ/977م): صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

4- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، ت749هـ/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، الجزء الخاص بوصف افريقية والأندلس، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس.

5- ابن فضلان(أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي): رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر الروس والصقالبة

المراجع العربية:

1- أبو الفضل محمد احمد: تاريخ مدينة المرية الأندلسية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1996 .

2- أبو الفضل محمد احمد: دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1996 .

3- ألسمرائي خليل إبراهيم: الثغر الأعلى الأندلسي، مطبعة اسعد، بغداد، 1976 م.

4- البنداق محمد صالح: يحي بن الحكم الغزال، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1979.

5- الخلف سالم بن عبد الله: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، المدينة المنورة، 2003.

6- الداية محمد رضوان: ديوان يحي بن حكم الغزال، دار الفكر المعاصر، ط 1، بيروت، 1993. عباس إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، 1969.

7- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، الإسكندرية، 1984 .

8- شلبي أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ط 4، 1975.

9- الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة، الجامعة الليبية، كلية الآداب .

10- طرخان إبراهيم علي: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى دار النهضة العربية القاهرة، 1958.

11- عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

12- العبادي احمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1969 م.

13- السيد عبد العزيز سالم، العبادي أحمد مختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، 1969.

14- العبادي احمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الإسكندرية، ط الأولى، 2000 م.

15- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1988م.

16- مكي محمود علي: التشيع في الأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، 1954.

17- النخيلي درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام، 1974.

المراجع المعربة:

1- فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصفى زيادة، السيد الباز العريني، دار المعارف، القاهرة، مصر 1968 م.

2- هادريل: أوروبا في صدر العصور الوسطى، ترجمة، حياة ناصر الحجي، مؤسسة الصباح، الكويت، ط1، 1979.

3- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة، زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

مجلات ودوريات:

1- الكبسي خليل: غزوات النورمانيين على الأندلس في عصر الإمارة، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، السنة الرابعة عشر، العدد 40، 1989 م.

2- مؤنس حسين: غارات النورمانيين على الأندلس بين (229 – 245 للهجرة / 844 – 859 م)، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، 1949 م.

المراجع الأجنبية:

1- Adam Kristof Fabricus: l’ambassade d 'al – Ghazal Auprès de roi des Normands Leide. 1890.

2- Adrian P: Histoire de l’armée et de tous les régiments. Paris 1860.

3- Capefigue. B: Essai sur les invasions maritimes des Normands dans les Gaules .

4- De Lunblad.J.F: Histoire De Danemark et de Norvège. Paris.1825.

5- Depping.B: Histoire des expéditions maritimes des Normands dans les Gaules.Bruxelles .

6- Dozy (R.): Recherches sur l 'Histoire et la littérature de L ' Espagne. Amsterdam. Tome .

7- El Hajji Abderrahmane: Andalusian diplomatic relations with western europe during .

8- Ernest Lavisse: Histoire de France. Librairie Hachette. Paris. 1901.

9- Eyries (M. J. B): Danemark. Paris. 1827.

10- Frantin.F: Louis le Pieux et son siècle. Paris. 1839.

11- Geffroy. A: Histoire des Etats Scandinavie. librairie Hachette. Paris. 1851.

12- Guizot.F: Collection des mémoires relatifs a L Histoire de France. Paris. 1825.

13- Guizot.F: collection des mémoires relatives a l histoire de France. Paris

14- Henri Wheaton: Histoire des peuples du Nord. Paris. 1844

15- Le petit larousse. Paris. Edition 2005

16- Mallet P H: Histoire de Danemark. Genève.1787

17- Mallet P H: introduction a Histoire de Danemark. Genève.1763.

18- Mawer (A): The Vikings. Cambridge. 1930.

19- Moore.W.G: The penguin encyclopedia of places.Great Britain.1978.

20- Provençal (L.): Histoire de l'Espagne musulmane: Leiden. 1950.

21- Ricard S: Précis de la mythologie scandinave.Hagerup libraire.Copenhague.1863

22- Tacite: La Germanie. Traduction de Panckoucke. Paris. 1827. Stephenson (C): Médiéval History. New York. 1943

23- The Cambridge Médiéval History.Cambridge At the university press. 1957.

24- The Umayyad Period. Cambridge. 1970

25- Thompson (J. W): Economic and social History at the middale Ages. New York.1959.

26- Vikings Society for Northern Research. Sagas book. volume XXVIII. London University college. 2004

الفهرس